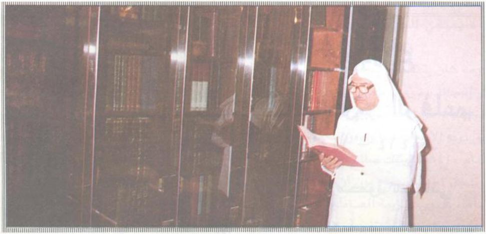


والنجم إذا هوى

عبدالعزيز الرفاعي .. رجل كبير رحل

عبدالرحمن بن فيصل المعمر

أردى الردى وطوى الثرى رجلاً اجتمعت فيه كل خصال الرجال ، فجع العقل والفكر ورزء الأدب والشعر ، وروعت الثقافة والنشر في رائدٍ من روادها وعلم من أعلامها وشخص كان يؤمن بشرف المهنة وحسن الهدف واتجاه القصد ..

فقدت البلاد رجلاً كان يحمل بين جنبيه هموماً وآمالاً وتطلعات كباراً، غاب بالأمس القريب رجل كافح أكثر من نصف قرن في ميادين الثقافة الرفيعة والأدب المكين والنشر النظيف والتعامل الشريف .

اندك طود من أطواد المرؤة وهوى نجم من نجوم الشهامة ، وطوي علَمٌ من أعلام الرأي والمشورة .

فقدت بلادنا بغياب الأستاذ / عبدالعزيز الرفاعي نموذجًا رفيعًا من الرجال ، فقد أجمع الناس على أنه كان أُمةً في رجلٍ ، وجيلاً في واحدٍ ، وقبيلاً في فردٍ .

(ودار ثقيف للنشر والتأليف ومجلة عالم الكتب) التي أسسها المرحوم إذ تنعي فقيد البلاد الكبير لترجو الله أن يتغمدهُ بعظيم عفوه وواسع رحمته ويدخلهُ مدخلاً كريمًا ؛ ففيه يصدق قول القائل :

يجل الخطب في رجل جليل
وتكبر في الكبير النائبات



في وداع
عبدالعزيز الرفاعي
١٣٤٣ – ١٤١٤هـ

يحيى محمود ساعاتي

توفي عبدالعزيز أحمد الرفاعي بعد صراع طويل مع المرض الذي ظل يقاومه في شجاعة وبسالة غير عاديتين ، فحتى لحظاته الأخيرة كان متماسكًا غير وجل أو مرتاع ، لم تفارق شفتيه الابتسامة المعبرة عن الرضى والقناعة .

كان أستاذنا وشيخنا يحتضر والمحيطون به يظنون أنه يتماثل للشفاء ؛ يجامل زواره ويلاطفهم كما اعتاد طيلة حياته ، يرحب بهم وهو على سرير الموت هاشًا باشًا تُجهد نفسه في الالتفات إلى كل واحد منهم متحدثًا يناقش ، ويبدي رأيه في موضوعات منشورة في صحف أو دوريات أو كتب حديثة ، لم يمنعه المرض من قراءتها واستيعاب محتواها . كان ذهنه الحاد متيقظًا حتى النهاية لم يفقد ذاكرته ؛ بل كأنما بذاكرته وقد أصبحت أكثر حدة وتوقدًا قبل بضعة أيام من وفاته .

جلست إليه في واحدة من الزيارات الأخيرة فالتفت يحدثني عن موضوع الدكتور محمد العزام الذي نشر في العدد الرابع من المجلد الرابع عشر من عالم الكتب ، وكان الموضوع قد استهواه فأظهر إعجابًا به وأبدى ملاحظات دقيقة على بعض ما ورد فيه ، فأخبرته بأننا سننشر تعقيبًا عليه أعده الدكتور عبدالعزيز المانع في العدد الخامس فطلب نسخة منه فجئت إليه بالموضوع ، فوضعه بجوار رأسه وفي اليوم التالي أطرى موضوع المانع وأظهر إعجابه بمساجلة العزام والمانع ، وأخذ يستعرض موقف كل منهما من (معجز أحمد) الذي حصل عليه الخلاف ، وكان له رأي مؤيد لما ذهب إليه المانع وختم الحديث بأنه سيعقب على الموضوع لو كتبت له الحياة ويومها خرجت من لديه متفائلاً ، وشعرت أن شيخنا وأستاذنا قد بدأ يخرج من محنته وما كنت أعرف بأن المرض قد استشرى في جسده ، وذهب التفاؤل عندما سمعت بخبر موته وقد انقطعت عنه خمسة أيام لسبب قاهر .

ومثل غيري من محبيه وتلاميذه أحسست بعظم فقده ، فقد كان الرجل منذ عرفته في عام ١٣٩٠هجرية ، مؤثرًا بعلمه وخلقه وكرمه ، لا يشعر جليسه بشيء من الملل أو السأم عند ما يصغي إليه :

فتراه يصغي للحديث بطرفه
وبسمعه ولعله أدرى

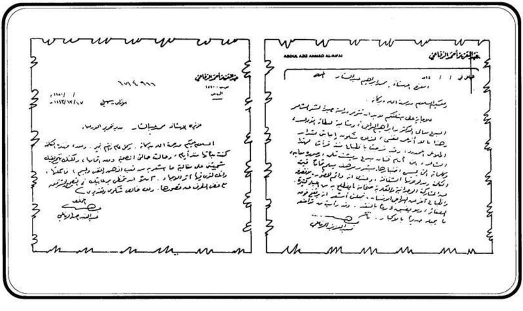
وما كان يتكلف أو يتصنع حديثًا ، وما كان يذكر إنسانًا بسوء ، يُعْرِض سمعه عن النميمة ويَعُفّ لسانه عن القدح والغيبة ، ومنذ أن أسس ورفيق دربه الأستاذ عبدالرحمن المعمر عالم الكتب في عام ١٤٠٠هـ توثقت صلتي به فقد كان يوجه دون تدخل ؟ ويقترح دون أن يفرض رأيًا أو اتجاهًا، يقوي عزيمة العاملين في المجلة عند الشدائد ويصلح بين المختلفين ، يتفاعل عندما تشتد الأزمات المالية على المجلة .

كان الرفاعي بمثله وأخلاقه مدرسة لرواد منتداه ، ومن عمل معه في دار الرفاعي أو عالم الكتب ، وجد أن صوته لا يرتفع عندما يتحدث ، وأن وجهه لا يقطب أبدًا ؛ بل كانت الابتسامة المشرقة سمته ، ظلت ترتسم على محياه حتى أن فارق الحياة .

نتذكر الرفاعي اليوم أستاذًا ومعلمًا وقدوة ونشعر بعظم المسؤولية التي كان يحملها وصدقه وحرصه على أدائها بإخلاص وأمانة ، وبعزيمة لا تفترّها الشدائد والعقبات أي كان نوعها .

لقد فقدت الثقافة العربية طودًا شامخًا منحها عمره قارئًا وكاتبًا وناشرًا وعضوًا فاعلاً في مجامع ومؤسسات ثقافية وعلمية رائدة مثل مجمع اللغة العربية في القاهرة وغيره ، وفوق كل ذلك فقدت عنصرًا إيجابيًا كان التفاؤل بمستقبل ثقافي مشرق هو محور رؤيته ومحط فكره ، لم يغلبه اليأس وهو يواجه مثبطات وشرورًا اجتماعية كما غلب غيره من الأعلام الذين ركنوا إلى العزلة والانطواء والانكفاء على الذات ، ويكفي أنه ظل متفاعلاً فكريًا وثقافيًا حتى انتقال روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى .

رحم الله أبا عمار وأثابه على جهوده الخيرة .



نظرة على وثائق أرشيف بوتسدام المتعلقة بتاريخ المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز

فهد بن عبدالله السماري
أستاذ مساعد – قسم التاريخ – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض

لاتزال مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث بحاجة ماسة إلى المزيد من الجهد لإبرازها والاستفادة منها في كتابة جوانب ذلك التاريخ، خصوصاً المصادر المحلية سواء الوثائق أوالشعر العامي، أو روايات المعاصرين الشفهية التي تعد من أهم تلك المصادر، والتي تتطلب جهداً متميزاً من الباحثين لسد الفراغ الكبير الذي تعاني منه معظم الكتابات الموجودة عن تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث. وفي ظل غياب استخدام تلك المصادر المحلية المهمة والضرورية سيطرت المصادر العربية والأجنبية على تلك الكتابات. كما أن استخدام المصادر الأجنبية يعاني أيضاً من التركيز على الوثائق البريطانية وإهمال بقية الوثائق الأوربية الأخرى التي لا تقل عنها أهمية.

وتعد الوثائق الألمانية من بين تلك المصادر الأوربية المهمة التي أهملها الباحثون لمدة طويلة رغم ما تحويه من معلومات وتقارير ذات أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ المملكة العربية السعودية الحديث. ومن الأماكن التي تحتفظ بجزء كبير من الوثائق الألمانية وأصبح أخيراً في متناول الباحثين «أرشيف بوتسدام» الذي سوف يكون محور هذه الدراسة.

إن الأرشيف الاتحادي الألماني في بوتسدام -BUNDESARCHIV- ABTEILUNG POTSDAM الذي سأركز عليه في هذه الدراسة المتواضعة والقصيرة يعدّ واحداً من مراكز حفظ الوثائق الألمانية المتعددة. وتنطلق أهمية هذا الأرشيف من وجود العديد من الوثائق التاريخية الألمانية المتعلقة بتاريخ المملكة العربية السعودية الحديث من بين محفوظاته، تلك الوثائق التي لم يتم استخدامها من قبل بسبب سياسة ما كان يعرف سابقًا بألمانيا الشرقية التي كانت تشرف عليه وقامت بمنع الكثير من الباحثين الذين ليس لموضوعاتهم ارتباط بالأيديولوجية الشيوعية من الاطلاع على محتوياته. لقد واجهتني هذه المصاعب شخصياً عندما كنت أقوم بإعداد أطروحة الدكتوراه بعنوان «العلاقات السعودية – الألمانية السياسية والاقتصادية خلال الفترة من ١٩٢٦ – ١٩٣٩م» (١). وعندما تم توحيد شطري ألمانيا في عام ١٤١١هـ – (١٩٩٠م) أصبح هذا الأرشيف جزءاً من الأرشيف الاتحادي الألماني الذي بلاشك يتيح للباحثين فرصة الاطلاع على الوثائق الألمانية الموجودة في فروعه المختلفة دون أية صعوبات على الإطلاق.

ولقد أدركت أهمية الوثائق المحفوظة في أرشيف بوتسدام عندما كنت أقوم بالاطلاع على الوثائق المحفوظة في الأرشيف الألماني الاتحادي في كل من «بون»، و «فرايبورج»، و «كوبلنز» لإعداد تلك الأطروحة، حيث لاحظت من خلال بعض الإشارات في تلك المصادر أن هناك المزيد من الوثائق التي تتعلق بالنشاط الاقتصادي الألماني في الجزيرة العربية، والتي ربما تكون موجودة في «بوتسدام». وعندما قمت بزيارة «أرشيف بوتسدام» بعد توحيد شطري ألمانيا وانتهاء السيطرة

الروسية على ألمانيا الشرقية (سابقًا) في عام ١٤١١هـ (١٩٩٠م)، وجدت أن هناك الكثير من الوثائق المهمة التي تتعلق بتاريخ المملكة العربية السعودية، والتي يمكن الإفادة منها للكشف عن المزيد حول موضوع تطور الاهتمام الألماني بمنطقة الجزيرة العربية، خصوصًا في الجوانب التي لم تتطرق لها الوثائق الألمانية المحفوظة في الأرشيفات الألمانية الأخرى.

من هذا المنطلق رأيت إعداد مثل هذه الدراسة بهدف إلقاء نظرة موجزة على محتويات «أرشيف بوتسدام» من الوثائق التي تتعلق بتاريخ المملكة العربية السعودية في عهد «الملك عبدالعزيز» - رحمه الله -، وذلك لإعطاء صورة واضحة عن أهمية تلك الوثائق وأنواعها نظرًا لأهميتها التاريخية.

أشرت في دراسة سابقة إلى أهمية الوثائق الألمانية وأهم مراكز حفظ تلك الوثائق في شطري ألمانيا - سابقًا- الشرق والغرب، مع التركيز على المجموعات الوثائقية المحفوظة في كل من «بون»، و«كوبلنز»، و«فرايبورج» (٢). فالوثائق الألمانية تعد - بلا شك - من المصادر المهمة التي بدأت أخيرًا تستقطب اهتمام الباحثين الذين انشغلوا في المدة الماضية بالوثائق البريطانية فقط، وانعكس ذلك في غالبية مؤلفاتهم وبحوثهم المتعلقة بتاريخ الجزيرة العربية الحديث. كما وجدت من خلال الاطلاع على الوثائق الألمانية أن الاهتمام الألماني بمنطقة الجزيرة العربية لم يكن ضعيفًا بالصورة التي تبرر تجاهل الباحثين في السابق للمصادر الألمانية الوثائقية المتعلقة بمنطقة الجزيرة العربية منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري. ولا يعني هذا - بطبيعة الحال - أن الاهتمام الألماني كان موازيًا، من حيث القوة والأهمية، للاهتمام البريطاني، ولكن الاهتمام الألماني بمنطقة الجزيرة العربية كان موجودًا وبصورة ملحوظة، وهو يستحق الدراسة والاهتمام من قبل الباحثين الذين تجاهلوه إما بسبب عدم الإلمام باللغة الألمانية، أو الاعتقاد السائد لدى الكثير منهم بأن ألمانيا لم يكن لها اهتمام يذكر في الجزيرة العربية.

وقبل أن نبدأ في استعراض محتويات «أرشيف بوتسدام» من الوثائق التي تتعلق بتاريخ المملكة العربية السعودية ينبغي إعطاء خلفية موجزة عن ذلك الأرشيف من حيث الموقع والتطور التاريخي. يقع هذا الأرشيف في ضاحية «بوتسدام» التي هي - حاليًا - جزء من مدينة «برلين»، ويعود الفضل في إنشائه إلى «أوتوفون بسمارك» - مؤسس وموحد ألمانيا في القرن التاسع عشر الميلادي - في عام ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) ليكون المقر الرئيس للمحفوظات الألمانية. ظل هذا الأرشيف يحتفظ بمسئوليته كمقر مركزي للمحفوظات الألمانية منذ تأسيسه حتى عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) عندما انتهت الحرب العالمية الثانية، وتم تقسيم ألمانيا إلى شطرين رئيسيين هما: الشطر الشرقي الذي سيطر عليه الاتحاد السوفيتي (سابقًا)، والشطر الغربي الذي سيطرت عليه الولايات المتحدة الأمريكية وبقية دول الحلفاء؛ ولأن «أرشيف بوتسدام» كان يقع في الشطر الشرقي من مدينة «برلين»، فلقد أصبح جزءًا من الدولة الجديدة - «جمهورية ألمانيا الديمقراطية» أو كما كان يطلق عليها أيضًا «ألمانيا الشرقية».

وفي عام ١٤١١هـ (١٩٩٠م) تم توحيد شطري ألمانيا وأصبح «أرشيف بوتسدام» جزءًا من الأرشيف الاتحادي الألماني BUNDESARCHIV مع بقائه في مكانه في تلك الضاحية التاريخية الجميلة. وبسبب هذه التحولات التي مر بها أصبح «أرشيف بوتسدام» اليوم مركزًا مهمًا للباحثين بسبب ما يحتفظ به من وثائق متنوعة ومهمة لم يطلع على معظمها من قبل. كما أسهم هذا التطور التاريخي في احتفاظ هذا الأرشيف بنوعيات متعددة من المجموعات الوثائقية المهمة التي تتعلق بالفترات التاريخية المختلفة التي مرت بها ألمانيا مثل: فترة الإمبراطورية الألمانية ١٨٧١ - ١٩١٨م (١٢٨٨ - ١٣٣٧هـ)، وفترة الفايمار ١٩١٨ - ١٩٣٣م (١٣٣٧ - ١٣٥٢هـ)، وفترة الاشتراكيين الوطنيين ١٩٣٣ - ١٩٤٥م (١٣٥٢ - ١٣٦٤هـ)، وأخيرًا فترة جمهورية ألمانيا الشرقية ١٩٤٥ - ١٩٩٠م (١٣٦٤ - ١٤١١هـ).

ومن بين محفوظات هذا الأرشيف الوثائق التي تتعلق بتاريخ المملكة العربية السعودية في عهد «الملك عبدالعزيز»، خصوصًا ما يتصل بالعلاقات الألمانية السعودية خلال تلك المدة. ومن خلال استعراض تلك الوثائق يتضح لنا أن التركيز ينصب على الجوانب السياسية والاقتصادية التي كانت تعكس الاهتمام الألماني بالمملكة العربية السعودية خلال الفترة من ١٣٤٣ - ١٣٦٤هـ (١٩٢٤ - ١٩٤٥م). وتتنوع هذه الوثائق حيث تشمل خطابات، ومذكرات

دبلوماسية ، ومراسلات ، وقصاصات صحف ، وتقارير مختلفة .

ولكي نصل إلى صورة واضحة حول محتويات وموضوعات تلك الوثائق فإنه سوف يتم استعراضها من خلال مجموعاتها الرئيسة التي تحويها ، ومن أهمها ما يأتي :

مجموعة وزارة الخارجية
AUSWARTIGES AMT

تعدّ مجموعة وزارة الخارجية من المحفوظات المهمة في هذا الأرشيف نظراً لأنها تشتمل على عدد من الوثائق السياسية – وإن كانت قليلة – التي لا توجد نسخ منها في الأرشيف السياسي بوزارة الخارجية في «بون» حيث توجد الغالبية العظمى من الوثائق السياسية الخاصة بالوزارة ، وذلك ربما لأنها دمرت أثناء الحرب العالمية الثانية .

ومن أهم وثائق هذه المجموعة التي تتعلق بالمملكة العربية السعودية في عهد «الملك عبدالعزيز» تقرير «فريتز جروبا» (٣) السري الذي أعده في ٥ فبراير ١٩٤٢م (١٣٦١هـ) خصيصاً لوزارة الخارجية الألمانية بشأن إمكانية تقدم القوات الألمانية إلى المنطقة العربية أثناء الحرب العالمية الثانية VORDRINGEN DEUTSCH-LANDS UBER DEN KAUKASUS NACH DEM ARABISCHEN RAUM (٤) ويعد هذا التقرير من الوثائق الألمانية المهمة التي تعكس محاولات بعض الدبلوماسيين الألمان بوزارة الخارجية الألمانية توجيه سياسة «برلين» الخارجية نحو دعم القضية العربية أثناء الحرب العالمية الثانية . والدكتور «جروبا» يعد واحداً من الذين كانوا يؤيدون توثيق صلة ألمانيا بالدول العربية خصوصاً المملكة العربية السعودية لأهداف استراتيجية وسياسية كان يرى أنها مهمة .

ويكفي وضوحاً ما أشار إليه «جروبا» في مذكراته معبراً عن موقفه الموالي للعرب عموماً وللمملكة العربية السعودية خصوصاً في إطار السياسة الخارجية الألمانية . ففي الإشارة الأولى نجده يقول : «فإذا كانت ألمانيا والحالة هذه على استعداد لإسناد العربية السعودية في بنائها لكيانها الداخلي وفي مساعيها للاستقلال التام ؛ فإن حكومة العربية السعودية ستشد من أواصر الصداقة والتعاون مع ألمانيا في شتى المجالات . ذلك لأن للعربية السعودية ولألمانيا أعداء مشتركين ولهما المشكلات نفسها وعليه فلابد لهما من التعاون المشترك» (٥) .

وفي الإشارة الأخرى يقول «جروبا» : «لم نستغل خلال الحرب العالمية الثانية فرصة وجود روح الصداقة القائمة بين العرب وألمانيا لأننا لم نعد العرب بالاستقلال الذي كان شرطاً مسبقاً لاستعدادهم للقتال إلى جانبنا» (٦) .

ويشتمل تقرير «جروبا» هذا – الذي يقع في حوالي ١٨ صفحة – على جزأين ، يعالج في الأول منهما الأوضاع السياسية في العراق والمملكة العربية السعودية واليمن ومصر ، ومدى إمكانية وصول القوات الألمانية إلى المنطقة العربية عبر القوقاز وإيران . ويلاحظ أن «جروبا» في هذا الجزء يعول كثيراً على رغبة العرب في التعاون مع ألمانيا نظراً لعدم وجود تاريخ استعماري لها في المنطقة . ويتناول «جروبا» في الجزء الثاني من التقرير المسائل التنظيمية لتنفيذ التقدم الألماني العسكري نحو المنطقة العربية مع الإشارة إلى الدبلوماسيين المرتبطين بالمنطقة والعارفين بها ، والذين يمكن أن يسهموا في إنجاز ذلك المشروع العسكري الكبير .

ومن السمات التي تميز مجموعة وزارة الخارجية هذه احتواؤها على محفوظات «قسم الأخبار والصحافة» NACHRICHTEN - UND PRESSABTEILUNG التابع لوزارة الخارجية الألمانية ، الذي كان يتابع ما ينشر في الصحف المختلفة في العالم حول القضايا ذات الاهتمام بالنسبة للحكومة الألمانية . وتحتوي ملفات هذا القسم على مجموعة كبيرة من القصاصات الصحفية ، من صحف بريطانية وأمريكية وفرنسية وألمانية وإيطالية وهولندية ، تتعلق بالمملكة العربية السعودية في عهد «الملك عبدالعزيز» . تتناول هذه القصاصات المختلفة أخبار التطورات السياسية والاقتصادية للمملكة العربية السعودية خلال الفترة من ١٣٥٨ – ١٣٦١هـ (١٩٣٩ – ١٩٤٢م) . ومن موضوعات تلك القصاصات : تطور إنتاج وصناعة النفط في المملكة العربية السعودية وموقف المملكة العربية السعودية من ميثاق سعد آباد ، وشخصية «الملك عبدالعزيز» ، وعلاقات المملكة بألمانيا والعراق وبريطانيا ، والحج في عام ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) (٧) .

وتوجد مجموعة أخرى من قصاصات الصحف المتعلقة بالمملكة العربية السعودية في عهد «الملك عبدالعزيز» في المجموعة ذاتها – أي مجموعة وزارة الخارجية الألمانية – قسم «الأخبار والصحافة» ، محفوظة في ملف آخر يشتمل في معظمه على مقالات وأخبار حول الاتصالات السعودية بألمانيا ، وزيارة «خالد الهود» (٨) إلى «برلين» . ويصل مجموع هذه القصاصات إلى حوالي المئة قصاصة مأخوذة من صحف فرنسية وبريطانية وهولندية وألمانية وغيرها ، وتغطي العديد من الموضوعات المتعلقة بسياسة «الملك عبدالعزيز» وعلاقاته المختلفة بالدول الأخرى (٩) .

كما توجد مجموعة أخرى من القصاصات الصحفية عن المملكة العربية السعودية في مجموعة المعهد الألماني العلمي للشئون الخارجية DEUTSCHES AUS LANDSWISSENSCHAFTLICHES INSTITUT الذي كان يهتم بمتابعة الأوضاع السياسية في بعض المناطق المهمة . وتتركز موضوعات القصاصات الصحفية المحفوظة في ملف هذه المجموعة حول العلاقات السعودية العراقية ، والعلاقات السعودية البريطانية خلال الفترة من ١٣٤٩ – ١٣٦٠هـ (١٩٣٠ – ١٩٤١م) (١٠) .

وتكمن الفائدة من هذه القصاصات الصحفية للباحثين في أنها توفر مادة علمية مهمة تتضمن متابعة صحفية واسعة للأوضاع السياسية في المملكة العربية السعودية في عهد «الملك عبدالعزيز» . والذي لاشك فيه هو أن وجود هذه المتابعة الصحفية لمعظم ما يتعلق بالمملكة العربية السعودية من أخبار ومقالات تم نشرها في صحف متعددة وبلغات مختلفة في مجموعة واحدة يعد خدمة للباحثين .

كما تتضمن وثائق مجموعة وزارة الخارجية المحفوظة في هذا الأرشيف عدداً من المراسلات والتقارير حول العلاقات التجارية بين إيطاليا والمملكة العربية السعودية في عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) ، ومن أهمها رسالة السفير الألماني في «روما» شوبيرت SCHUBERT التي أحاط فيها وزارة الخارجية الألمانية بتوقيع الاتفاقية السعودية الإيطالية في شوال ١٣٥١هـ . ولقد أشار «شوبيرت » في هذه الرسالة إلى أن هذه الاتفاقية التجارية – حسب رأيه – سوف تعزز موقف الإيطاليين في البحر الأحمر وفي مستعمراتهم الأفريقية (١١) .

وفي المجموعة الخاصة بوزارة الخارجية ذاتها نجد أيضاً العديد من المراسلات التي بعث بها الممثلون الألمان في «القدس» ، و «القاهرة» إلى وزارة الخارجية في «برلين» حول الأوضاع في منطقة الحجاز خلال الفترة ١٣٤٢ – ١٣٤٤هـ (١٩٢٣ – ١٩٢٥م) ، الشيء الذي يعكس اهتمام ألمانيا بالأوضاع في الجزيرة العربية خلال تلك المدة بخلاف ما هو سائد لدى بعض الباحثين . ومن أهم هذه المراسلات ما بعث به القنصل الألماني في «القاهرة» من رسالة إلى وزارة الخارجية في «برلين» في ٣ مايو ١٩٢٣م (١٣٤١هـ) يحيطها بالوضع في منطقة الحجاز والموقف البريطاني والفرنسي من القضية العربية التي كان يتزعمها «الشريف حسين» (١٢) .

كما أسهم القنصل الألماني في «القدس» في عملية تغطية أحداث الحجاز حيث بعث بعدد من الرسائل إلى وزارة الخارجية في «برلين» يصف فيها التطورات السياسية على الساحة في مدينة «جدة» ، خصوصاً تنازل «الشريف حسين» عن حكم الحجاز ومغادرته على متن سفينة بريطانية المنطلقة إلى منفاه الجديد عبر «العقبة» (١٣) .

ومن الوثائق المهمة في هذه المجموعة – أي مجموعة وزارة الخارجية الألمانية – المراسلات الصادرة من القنصل الألماني في «القاهرة» حول المساعدات العسكرية الألمانية لحكومة الأشراف في الحجاز أثناء حصار «الملك عبدالعزيز» لجدة . كما تشتمل هذه الوثائق على تقارير للرائد العسكري الألماني المتقاعد «هانز ستفن STEF-FEN HANS» الذي كان مسئولاً عن تزويد «الملك علي» في الحجاز بالأسلحة العسكرية وبالطيارين الألمان من أجل محاولة فك حصار قوات «الملك عبدالعزيز» حول مدينة «جدة» في عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) (١٤) . وتعد هذه الوثائق مهمة للكشف عن الدور الألماني في دعم حكومة الأشراف في الحجاز أثناء محاصرة القوات السعودية بقيادة «الملك عبدالعزيز» منطقة الحجاز .

وانطلاقاً من أهمية هذا الدور فلقد أفردت لهذا الموضوع دراسة مستقلة تعتمد على ما ورد في هذه الوثائق من معلومات وحقائق ؛ التي ربما تضيف شيئاً

جديداً إلى تاريخ المنطقة لا سيما أن موقف ألمانيا من الأوضاع في الحجاز في آخر عهد الأشراف لم يدرس بعد .

مجموعة وزارة الاقتصاد REICHSWIRTSCHAFTSMINISTERIUM

تشتمل هذه المجموعة على رسالة من القنصل التجاري الألماني - في «جدة» - «دي هاس DE HAAS» (١٥) إلى وزارة الخارجية الألمانية في ١٧ نوفمبر ١٩٣١م (١٣٥٠هـ) يشرح فيها الأوضاع الاقتصادية في الحجاز ، ويرفق بها ترجمة للخطاب الذي وجهه «الملك عبدالعزيز» إلى الشعب السعودي في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٥٠هـ بشأن الأوضاع الاقتصادية في البلاد والإجراءات التي سوف تتخذها الحكومة لتلافي الأزمة (١٦) . كما تتضمن هذه المجموعة رسالة من القنصل الألماني في «القدس» بشأن العلاقات السعودية البريطانية خصوصاً موضوع القرض البريطاني المقترح تقديمه للملك عبدالعزيز في عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م (١٧) .

وتعد الوثائق الموجودة في هذه المجموعة والمتعلقة بالشئون الاقتصادية للمملكة العربية السعودية قليلة جداً مقارنة بالأرشيف السياسي بوزارة الخارجية في «بون» الذي يحتوي على العديد من الملفات التي تتناول الجوانب الاقتصادية المختلفة للمملكة في عهد «الملك عبدالعزيز» نتيجة للعلاقات الاقتصادية السعودية الألمانية خلال تلك المدة .

مجموعة شركة صناعة الأصباغ - قسم الشرق I . G . FARBENINDUSTRIE

تتضمن هذه المجموعة أوراق شركة فاربن للأصباغ الألمانية I . G FARBEN التي أسست في عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) بعد دمج معظم الشركات الألمانية السابقة والمتخصصة في صناعة الأصباغ والأدوية في هذه الشركة التي أصبحت لها الشهرة العالمية الواسعة في إنتاج تلك المواد (١٨) . وتكشف أوراق هذه الشركة عن وجود نشاط تجاري متميز في الجزيرة العربية عموماً وفي المملكة العربية السعودية خصوصاً خلال المدة التي سبقت الحرب العالمية الثانية . ومن أهم وثائق هذه المجموعة المحفوظة في «أرشيف بوتسدام» ما يتعلق بقسم الشرق ABTEI-LUNG ORIENT التي تتناول تطور اهتمام هذه الشركة بمنطقة الحجاز من الناحية التجارية .

وتعد هذه المجموعة من أكبر المجموعات الوثائقية التي تتعلق بتاريخ المملكة العربية السعودية في هذا الأرشيف من حيث الحجم والأهمية . وتزداد هذه المجموعة أهمية إذا أدركنا أن وثائقها تتناول جانباً من الجوانب الاقتصادية من تاريخ المملكة العربية السعودية في عهد «الملك عبدالعزيز» الذي لايزال بحاجة إلى المزيد من الدراسة والبحث . فالموضوع الذي تركز عليه وثائق هذه المجموعة في الغالب هو علاقة شركة «فاربن I.G FAR-BEN» بالمملكة العربية السعودية خلال الفترة من ١٣٤٤-١٣٥٩هـ(١٩٢٦ - ١٩٤٠م) ، وذلك من خلال سياسة الشركة الرامية إلى الحصول على نفوذ داخل أسواق المملكة لزيادة مبيعاتها خصوصاً في مجال الأصباغ والأدوية والمواد الكيميائية (١٩) .

كما تحتوي هذه المجموعة على تقارير ومراسلات متنوعة حول مبيعات الشركة في منطقة الجزيرة العربية خلال الفترة من ١٣٥٤ - ١٣٦٩هـ (١٩٣٥ - ١٩٤٠م) . وتعد هذه التقارير من الوثائق المهمة ؛ لأنها تعكس التطور الاقتصادي في المنطقة ومدى استيعاب المنتجات الألمانية المتقدمة من المواد الكيميائية والأصباغ . ومن محتويات هذه المجموعة أيضاً مراسلات الشركة مع بعض التجار المحليين في الجزيرة العربية مثل «أبوبكر حبشي» - مدير مدارس الفلاح بجدة ، و«محمد فاضل عبدالله عرب» في جدة ، و«عبدالسلام البخاري» في مكة المكرمة ، و«فيض الله حسام الدين استامبولي» في مكة المكرمة (٢٠) . ومن الاتصالات التي ركزت عليها الشركة مع بعض التجار المحليين تلك التي كانت مع «عبدالله عبدالرحمن شمس» في مكة المكرمة وذلك خلال الفترة من ١٣٥٢ - ١٣٥٨ / ١٩٣٣ - ١٩٣٩م من أجل اختياره ممثلاً لشركة «فاربن» في مكة المكرمة (٢١) .

ومن الوثائق المهمة في هذه المجموعة بيان إحصائي بمبيعات الشركة في الجزيرة العربية من عام ١٣٤٢/

١٩٢٣ إلى عام ١٣٥٦ / ١٩٣٧م عن طريق ممثلها في «عدن» . ويعكس هذا البيان ارتفاع حجم مبيعات الشركة قبيل الحرب العالمية الثانية (٢٢) .

وهكذا نلاحظ أن هذه المجموعة من الوثائق الألمانية التي تتعلق بتاريخ المملكة العربية السعودية في عهد «الملك عبدالعزيز» والمحفوظة في الأرشيف الاتحادي الألماني في «بوتسدام» تعد من المصادر التاريخية المهمة التي تستحق الاهتمام والدراسة . والذي نلاحظه أيضًا في وثائق هذا الأرشيف هو أنها تعد جزءًا مكملا للوثائق المحفوظة في الأرشيفات الاتحادية الألمانية الأخرى التي أصبحت بسبب انضمام «أرشيف بوتسدام» إليها ذات أهمية أكبر للباحثين . ويبقى الدور على الباحثين المتخصصين في تاريخ الجزيرة العربية الحديث للالتفات نحو هذه المجموعات الوثائقية في «أرشيف بوتسدام» وبقية الأرشيفات الأخرى في ألمانيا من أجل دراستها وتوسيع دائرة الاعتماد على المصادر الأجنبية خصوصاً الوثائق المتعلقة بتاريخ تلك المنطقة حتى تشمل الوثائق الألمانية والفرنسية والإيطالية والهولندية بدلاً من البريطانية فقط .

كما أن الرجوع إلى هذه الوثائق سوف يسهم في إتاحة الفرصة بصورة أوسع لتوثيق معظم المعلومات والاتجاهات السياسية والتطورات المختلفة التي وردت في الوثائق البريطانية واعتمد عليها الباحثون لمدة زمنية طويلة من جهة ، ولإضافة المزيد من المعلومات حول النشاط الألماني في الجزيرة العربية من جهة أخرى .

الهوامش

١ - تم إعداد هذه الأطروحة في جامعة كاليفورنيا - ريفرسايد بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٤١٠هـ (١٩٨٩م) بعنوان "SAUDI ARABIAN-GERMAN POLITICAL AND ECONOMIC RELATIONS 1926-1939"

٢ - فهد بن عبدالله بن عبدالعزيز السماري . «تاريخ الجزيرة العربية الحديث في الوثائق الألمانية» **الدارة** السنة ١٦ العدد ٣ (ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤١١هـ) ص ٤٩ - ٥٩ .

٣ - فريتز جروبا FRITZ GROBBA : من الدبلوماسيين الألمان المخضرمين الذين عاصروا التحولات السياسية في ألمانيا ، ومن المهتمين بالقضايا العربية نتيجة لخبرته الطويلة في وزارة الخارجية الألمانية بوصفه مشرفًا على الشئون الشرقية فيها . كما حفلت حياته الدبلوماسية بالعديد من المناصب من بينها تعيينه قنصلاً في «القدس» ، وقائمًا بالأعمال في «كابل» بأفغانستان لمدة عامين ونصف العام خلال الفترة من ١٣٤٢ - ١٣٤٥هـ (١٩٢٣ - ١٩٢٦) ثم مسئولاً عن قسم شئون الشرق بوزارة الخارجية الألمانية خلال الفترة من ١٣٤٢ - ١٣٥١هـ (١٩٢٦ - ١٩٣٢م) ، ثم قائمًا بالأعمال وسفيرًا في «بغداد» بالعراق ١٣٥١ - ١٣٥٨هـ (١٩٣٢ - ١٩٣٩م) . وعين في عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م قنصلاً في «جدة» مع احتفاظه بمنصبه في «بغداد» .

لمزيد من التفصيل حول «جروبا» انظر :

فريتز جروبا . **رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق** ترجمة فاروق الحريري (جزآن) بغداد : مطبعة عصام ، ١٩٧٩م .

٤ - انظر الوثيقة رقم 164 VII - الملف رقم ٦١١٢٣ ، مجموعة وزارة الخارجية AUSWARTIGES AMT - الأرشيف الاتحادي الألماني - بوتسدام .

٥ - فريتز جروبا . رجال ومراكز قوى (ج١) ص ١٨٦ - ١٨٧ .

٦ - المرجع السابق ، (ج٢) ص ٤٤٥ .

٧ - انظر الملف رقم ٥٨٤٣٣ - مجموعة وزارة الخارجية AUSWARTIGES AMT الأرشيف الاتحادي الألماني - بوتسدام .

٨ - خالد الهود (ويطلق عليه أيضًا «القرقني» ، و «أبو الوليد») : أحد المستشارين السياسيين للملك عبدالعزيز ، ليبي الأصل لجأ إلى مصر بسبب مناهضته للإيطاليين الذين استعمروا ليبيا . وأصبح في عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) المساعد الأول للنائب العام في الحجاز ، ثم عينه «الملك عبدالعزيز» مستشارًا سياسيًا له . ومن المهمات السياسية التي قام بها زيارة «برلين» في عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) ضمن سياسة الاتصال بألمانيا التي كان ينتهجها «الملك عبدالعزيز» .

٩ - انظر الملف رقم ٦٠٠٥٨ - مجموعة وزارة الخارجية AUSWARTIGES AMT الأرشيف الاتحادي الألماني - بوتسدام .

١٠- انظر الملف رقم ٧٠٧١ - مجموعة المعهد الألماني العلمي للشئون الخارجية -DEUTSCHES AUSLANDS- - WISSENSCHAFTSLISCHES INSTITUT الأرشيف الاتحادي الألماني - بوتسدام .

١١- انظر الوثيقة رقم III. O. 665 - الملف رقم ٤٠٨٩٧ - مجموعة وزارة الخارجية AUSWARTIGES AMT الأرشيف الاتحادي الألماني - بوتسدام .

١٢- انظر الوثيقة رقم III. E 1415 - الملف رقم ٤٣٥١٤ بقسم شئون الدول الثالث - مجموعة وزارة الخارجية -AUS WARTIGES AMT الأرشيف الاتحادي الألماني - بوتسدام .

١٣- انظر الوثيقة رقم 111. O. 1725 - الملف رقم ٤٣٥١٤ بقسم شئون الدول الثالث - مجموعة وزارة الخارجية AUSWARTIGES AMT الأرشيف الاتحادي الألماني- بوتسدام .

١٤- للاطلاع على هذه الوثائق انظر الملف رقم ٤٣٥١٤ بقسم شئون الدول الثالث - مجموعة وزارة الخارجية -AUS WARTIGES AMT الأرشيف الاتحادي الألماني - بوتسدام .

١٥- دي هاس DE HAAS هو القنصل الألماني في «جدة» الذي تم تعيينه في عام ١٣٤٩هـ (١٩٣١م) واستمر حتى عام ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) ، وكان نشطاً في مجال التجارة في الحجاز بالإضافة إلى عمله الرسمي . لمزيد من التفصيل انظر أطروحة الدكتوراه للباحث المشار إليه أعلاه .

١٦- انظر النص لهذا الخطاب في صحيفة أم القرى (٣ رجب ١٣٥٠هـ) .

١٧- انظر الوثيقة رقم III. O. 4177 ، والوثيقة رقم 111.O. 983 . - الملف رقم ٢٠١٩٠ - مجموعة وزارة الاقتصاد -REICHSWIRTSCHAFTSMI- NISTRIUM الأرشيف الاتحادي الألماني - بوتسدام .

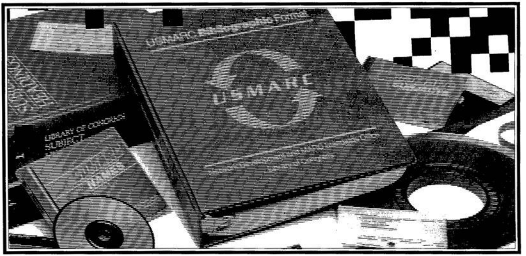
١٨- انظر : KOPPEL S . PINSON. MODERN GERMANY(NEW YORK: MACMILLAN, 1966) P . 451 .

١٩- انظر الملف رقم ٦٧٤ - مجموعة شركة فاربن للأصباغ I. G. FARBEN - الأرشيف الاتحادي الألماني - بوتسدام .

٢٠- انظر الملف رقم ٥٥٧٧ - مجموعة شركة فاربن للأصباغ I. G. FARBEN - الأرشيف الاتحادي الألماني - بوتسدام .

٢١- انظر الملف رقم ٤٢١٧ ، والملف رقم ٣٠٨٣ - مجموعة شركة فاربن للأصباغ I. G. FARBEN - الأرشيف الاتحادي الألماني - بوتسدام .

٢٢- انظر الملف رقم ٥٢٨٢ - مجموعة شركة فاربن للأصباغ I. G. FARBEN - الأرشيف الاتحادي الألماني - بوتسدام .



مشكلات الكتاب العربي من الصناعة إلى القراءة



عبدالوهاب عبد السلام أبو النور

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم المكتبات والمعلومات - جامعة الملك عبدالعزيز

لا شك أن الحديث عن الكتاب العربي حديث مهم ، كيف لا ، وقد كان الكتاب وسوف يبقى وعاء الثقافة الرصينة والفكر المستقر ، ومهما تعددت أوعية الثقافة ووسائلها فسوف تبقى للكتاب مكانته .

ثم إننا نقصد في حديثنا هذا المعنى الواسع لكلمة كتاب ، فالفعل كتب يعني دوَّن أو سجل ، وعلى هذا فإن كلمة كتاب يمكن أن تتسع لتشمل كل ما هو مكتوب أو مدون أيًا كان الشكل الذي ظهر عليه . وسوف نجد في هذا الصدد أشكالاً متعددة مثل المواد المطبوعة : الكتاب ، والمجلة ، والتقرير ، والصحيفة ، ... إلخ ؛ وأشكالاً غير مطبوعة مثل الأشرطة والأفلام ، وغيرها . وعلى ذلك ، فإن كلمة مكتبة بهذا المفهوم يمكن أن تتسع لتشمل كل أنواع المكتبات .

والكتاب بهذا المفهوم الشامل يستوعب كل مصادر المعرفة والمعلومات . ونريد من هذا التوضيح بيان أمرين في الغاية من الأهمية بالنسبة لموضوعنا :

أولهما : أن المشكلات التي سوف نتحدث عنها مشكلات عامة تصدق على الكتاب كما تصدق على غيره من مصادر المعلومات . ولما كان الكتاب هو الوسيلة الأقدم ، فإن ما يصدق عليه يصدق بصورة أكثر حدَّة على غيره من المواد .

وثانيهما : أن مصادر المعلومات هي أوعية العلم والثقافة والفكر ، ولذلك فإن الحديث عن مشكلاتها هو حديث عن هموم العلماء والمثقفين والمفكرين ، فإن المشكلات التي يعاني منها هؤلاء تؤثر في دورة الإنتاج الفكري .

أي أن حديثنا سوف ينصب على مشكلات العلم والثقافة والتعليم والبحث التي هي نفسها مشكلات الكتاب العربي ، وهي جميعًا قضايا حيوية لأنها ركائز الحياة في العصر الحديث .

ومما يزيد في أهمية الموضوع أننا نعيش الآن عصر المعلومات ، فقد أصبحت المعلومات تلعب دورًا هائلاً في كل مجالات الحياة . وليس معنى هذا أن المعلومات لم يكن لها الدور نفسه في الماضي ؛ فالمعلومات كان لها دور حيوي في كل عصور الحضارة . وقد كانت الحضارة الإسلامية حضارة كتاب ، فمعجزة الرسول ﷺ هي القرآن الكريم ، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونتاج هذه الحضارة علوم وكتب ملأت الدنيا شرقًا وغربًا .

لكننا نقصد بعصر المعلومات تعاظم الدور الذي تلعبه المعلومات في الوقت الراهن ، فالعصر عصر العلم ، أي أن الإنسان قد اعتمد المنهج العلمي أساسًا لحل مشكلاته في جميع المجالات : السياسية ، والاقتصادية ، والصناعية ، ... إلخ ، كما أصبح يعتمد على العلم والمعلومات في اتخاذ القرارات . ومما لا شك فيه أن المعلومات هي إحدى

الركائز الأساسية للدول المتقدمة ، كما أن نقصها أو القصور في انسيابها وتنظيمها من الأسباب الرئيسة لتخلف الدول المتخلفة .

وإزاء أهمية الموضوع من ناحية وضخامة المجال من ناحية ثانية فسوف نركز على القضايا العامة دون الدخول في التفاصيل الدقيقة حتى لا نتجاوز حدود الحيز .

أبعاد الإنتاج الفكري العربي

يمكن أن نحدد مجالات أو أبعاد الإنتاج الفكري العربي على النحو الآتي :

١ – المادة التي ظهر عليها الإنتاج الفكري العربي ؛ وتشمل هذه المواد المطبوعة مثل الكتب والمجلات والتقارير والرسائل الجامعية ، ... إلخ ، والمواد غير المطبوعة مثل الأشرطة والأفلام وغيرها . وقد سبقت الإشارة إلى هذه النقطة .

٢ – البعد اللغوي ؛ ويشمل ما يأتي :

أ – ما كتب باللغة العربية لغة العرب سواء نشر داخل البلاد العربية أم خارجها .

ب – ما كتبه عرب بلغات أجنبية سواء نشر بالبلاد العربية أم خارجها .

وبدهي أن ما كتبه العرب حتى ولو كتب بلغات غير العربية هو إنتاج فكري عربي نسبة إلى العرب لا نسبة إلى العربية لغة العرب . ومن المعروف أن كثيراً من المؤلفين وخاصة في المجالات العلمية يفضلون نشر إنتاجهم في المجلات الأجنبية وبخاصة المجلات التي لغتها الإنجليزية . ولهذا الاتجاه أسباب متعددة ، منها أن يُقْرَأ الكاتب ، وأن يؤخذ إنتاجه بعين الحسبان عند تقويمه (الكاتب) ، وأن يلفت إنتاجه القراء في بلاد غير بلده ، وأن يتفادى مشكلات التعريب والمصطلحات ، ... إلخ .

والإنتاج الفكري العربي في المجالات العلمية ، مثل الطب والكيمياء ، ... إلخ ، كثير باللغة الإنجليزية ، ومن الضروري أخذه في الحسبان عند الحديث عن مشكلات الإنتاج الفكري العربي .

٣ – البعد الجغرافي ، ويشمل الدوائر الآتية :

أ – الدائرة القطرية ؛ مثل المملكة العربية السعودية أو الكويت أو مصر أو سوريا .

ب – الدائرة العربية ؛ وتشمل الوطن العربي كله .

ج – الدائرة الخارجية ؛ وتشمل العالم الخارجي .

ومن الواضح أن البعدين اللغوي والجغرافي مرتبطان أشد الارتباط .

٤ – البعد الزمني ؛ ويشمل الإنتاج الفكري العربي طوال أربعة عشر قرناً هي عمر التأليف باللغة العربية . هذه القرون اختلفت فيها حالة الإنتاج الفكري العربي من عصر إلى عصر ، ففي عصر ازدهار الحركة العلمية في العالم الإسلامي لم يكن هناك المشكلات نفسها التي نعاني منها الآن . ثم انتقل زمام الحضارة والعلم إلى الغرب فتقدم العالم الغربي تقدماً علمياً كبيراً كان له أثره بطبيعة الحال على الإنتاج الفكري .

ثم بدأت حركة الإصلاح في العالم العربي والإسلامي في العصر الحديث في محاولة لسد الفجوة الحضارية التي تفصلنا عن العالم المتقدم ، ووجدنا أن من الضروري أن نبدأ من جديد لتعويض التخلف ، وهنا ظهرت المشكلات التي سوف نتحدث عن بعضها فيما بعد ومن أهمها مشكلة تعريب المصطلحات .

ورغم أن المشكلات القائمة حالياً هي من نتاج العصر الحديث إلا أن ثمة جانباً مهماً يجدر الالتفات إليه وهو قضية التراث كنتاج فكري ومادي لعصر الحضارة الإسلامية الزاهر ، وهي قضية تشغلنا كثيراً ، وهي علاقة هذا التراث بالحاضر والمستقبل ، أو ما يعرف بقضية الأصالة والمعاصرة . وسوف نعالج هذه القضية في حينها .

دورة الإنتاج الفكري

ليس من أهدافنا هنا أن نتعرض لدورة الإنتاج الفكري بالتفصيل ، وحسبنا أن نشير فقط إلى أن هذه الدورة تبدأ بإنتاج مصادر المعلومات وتنتهي بالقارئ أو المستفيد ، وأن هذه الدورة تمر بالمراحل الآتية :

١ – تأليف الكتاب .

٢ – النشر والطباعة .

٣ – توزيع الكتاب وبيعه .

٤ – وصول الكتاب إلى القراء عن طريق الشراء ، أو وصوله إلى مؤسسات المعلومات .

٥ - تنظيم مصادر المعلومات في المكتبات .

٦ - الاستفادة من مصادر المعلومات في البحث أو في التثقيف أو في التعليم ، ... إلخ .

ثم تعود الدورة من جديد . وكلما زاد عدد المؤلفين زاد كم الإنتاج الفكري ، وزاد عدد المكتبات وزادت مجموعاتها من الكتب ومواد القراءة الأخرى . وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة عدد القراء ، ومن ثم زيادة عدد المؤلفين لتسرع من جديد دورة الإنتاج الفكري .

وسوف نعود إلى هذه النقطة فيما بعد ، وربما في أكثر من مناسبة عند الحديث على قضية الأمية وأثرها في ضعف الإنتاج الفكري العربي ، ثم قضية الترجمة وعلاقتها بضخامة الإنتاج الفكري المنشور .

وأجد من المناسب قبل أن أتحدث عن كل مرحلة من المراحل السابقة أن أتحدث عن المعوقات التي تعوق العمل العلمي والحركة العلمية إجمالاً ؛ ذلك أن التأليف والترجمة وغيرهما من عناصر المسئولية عن الأعمال العلمية تتأثر بالعوامل التي تؤثر في الحركة العلمية إجمالاً ، وهذا ينصب بدوره على إنتاج الكتاب . ولذلك فيحسن أن نبدأ بالعوامل المشتركة التي تعوق الحركة العلمية .

وأعيد إلى الأذهان ما ذكرته في المقدمة من أن مشكلات الكتاب العربي هي مشكلات العمل العلمي والثقافي بصفة عامة ؛ لأن الكتاب هو نتاج العقل وثمرة الفكر وحصاد العمل العلمي ، وكل ما يؤثر على العلم والفكر والثقافة - إن سلبًا وإن إيجابًا - يؤثر على إنتاج الكتاب ، فالحديث عن معوقات العمل العلمي هو نفسه حديث عن مشكلات إنتاج الكتاب وتفشيه وانسيابه وتداوله أما المشكلات التي يختص بها الكتاب نفسه فسوف نتحدث عنها عند الحديث عن مشكلات صناعة الكتاب .

مشكلات العمل العلمي ومعوقاته في الوطن العربي

١ - تفشي الأمية (١)

الباحثون والعلماء والمثقفون هم إفراز طبيعي للمجتمع المتعلم القارئ . ولذلك فإنه كلما اتسعت قاعدة التعليم وكلما زاد عدد المتعلمين زاد عدد القراء ، وزاد عدد العلماء والباحثين والمثقفين ، وهذا يؤدي إلى زيادة التأليف والمؤلفين ، وهذا بدوره يؤدي إلى تسارع دورة التأليف أو دورة الإنتاج الفكري التي أشرنا إليها من قبل .

ومما لا شك فيه أن زيادة نسبة الأمية في مجتمع من المجتمعات يؤثر تأثيرًا سلبيًا على دورة التأليف والإنتاج الفكري . ولا شك أن تفشي الأمية في معظم أجزاء الوطن العربي هو أحد الأسباب الرئيسة التي تعوق العمل العلمي والتأليف . وهذا يتضح من دراسة سريعة لبعض إحصاءات الإنتاج الفكري .

تقول إحصاءات اليونسكو (Statistical Yearbook) إن إنتاج العالم من الكتب كان في سنة ١٩٥٢م : ٢٦٩٠٠٠ كتاب في السنة ، وقفز في سنة ١٩٦٥م ، أي بعد اثنتي عشر سنة ، إلى ٤٢٦٠٠٠ كتاب في السنة ، أما في سنة ١٩٧٧م فقد قفز إلى ٥٩١ ألف كتاب في السنة . أي أنه خلال أقل من ربع قرن تزايد إنتاج العالم من الكتب بما يزيد على الضعف . وهذا يدل على تسارع دورة الإنتاج الفكري .

ومما يذكر أن أقل من خمس هذا الإنتاج فقط يجيء من العالم الثالث حيث يعيش ثلثا سكان العالم (٢) . وهذا يدل على ضعف إنتاج الكتب في الدول النامية بسبب معوقات العمل العلمي ، التي من أبرزها بلا شك تفشي الأمية .

كذلك يمكن مقارنة إنتاج مصر وهي أكبر الدول العربية بإنتاج بعض الدول التي تقاربها في عدد السكان ، مثل بريطانيا . سوف نجد أن إنتاج بريطانيا يصل إلى ثلاثين ألف كتاب سنويًا ، في حين يصل الإنتاج الفكري المصري في أحسن حالاته إلى خمسة آلاف كتاب في المتوسط . وليست هذه الآلاف الخمسة كلها كتبًا مؤلفة ، وإنما تضم كتبًا مترجمة ، وكتبًا تراثية ليست من إنتاج العصر الحديث . أما من حيث القيمة العلمية فإنها تضم كتبًا دراسية وكتبًا مدرسية ، ... إلخ . ولكننا لا نريد الحديث عن هذا الآن ، وإنما نكتفي فقط بالإحصاءات البسيطة .

فإذا كان هذا هو حال مصر وهي أكبر أقطار الوطن العربي وأكثرها إنتاجًا ، فإننا يمكن أن نستنتج أن إنتاج الوطن العربي في مجمله أقل بكثير مما تؤهله له إمكاناته البشرية والمادية وعدد الجامعات ، ... إلخ . وهذا يدل على ضعف هذا الإنتاج . وسوف نعود إلى هذه النقطة فيما بعد .

٢ – عدم كفاية النظام التعليمي

رغم أنني أعمل في حقل التعليم الجامعي منذ ثلاثين سنة ، إلا أنني لست متخصصًا في مجال التربية . ومما لاشك فيه أن التربويين أقدر مني على معالجة قضية كفاية النظام التعليمي في الوطن العربي من عدمه .

ورغم ذلك ، فإننا يمكن أن ننظر إلى الموضوع من زاوية أخرى ، فلو افترضنا أن نجاح أو فشل النظام التعليمي يمكن قياسه من خلال رصيد النتائج ، فإن من السهل أن نستنتج أن النظام – أو النظم التعليمية في الوطن العربي لم تنجح في أداء رسالتها . ولو أن هذه النظم نجحت في أداء رسالتها لما كنا الآن على الحال التي نحن عليها – أقصد الضعف الذي تتسم به جوانب حياتنا ، ذلك أن التعليم هو أساس كل تقدم وركيزة كل إصلاح .

ومن المعروف أن كل أمة لها فكر أو فلسفة أو عقيدة تشكل أساس حياتها وركيزة وجودها ، وأن كل أمة تحول فكرها إلى أهداف تسعى لتحقيقها ، ثم تعهد بهذه الأهداف إلى مؤسساتها المختلفة لكي تحولها إلى استراتيجيات ووظائف لتحقيق هذه الأهداف .

ويأتي في مقدمة المؤسسات التي يناط بها تحقيق أهداف الأمة ، المؤسسات التعليمية والعلمية والإعلامية ومؤسسات المعلومات والمكتبات ، وهي أركان أربعة لأية نهضة : تعليم ، وعلم ، ومعلومات ، وإعلام ، وكلها مشتقة من فعل ثلاثي واحد : عَلِمَ . وسوف نفرد العلم والمعلومات بحديث منفصل . وأما الإعلام فإن دوره هو أن يهيئ الشعب – من خلال وسائل الإعلام المختلفة – للقيام بالدور المنوط بالأمة .

ويبقى دور المؤسسات التعليمية من مدارس وجامعات ، ودورها هو صناعة العقول ، وهو أهم دور لمؤسسات الدولة ؛ لأن صناعة البشر أصعب من أي شيء آخر . والإنسان يصنع ، فالمولى جلت قدرته يخاطب موسى عليه السلام بقوله : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ ؛ والرسول المصطفى ﷺ يقول عن نفسه : «أدبني ربِّي فأحسن تأديبي» . ولكي تؤدي المؤسسات التعليمية دورها في المجتمع فلا بد أن تتحول المدارس والجامعات إلى مصانع للعقول .

والحالة التي عليها معظم الدول العربية الآن تدل على أن المؤسسات التعليمية لم تؤد دورها على الوجه الأكمل ، مع أن أي حل يجب أن يبدأ مع إصلاح النظام التعليمي من خلال فكر تربوي يشتق أهدافه من فكر الأمة العربية الإسلامية ويسعى إلى تحقيق هذه الأهداف امتثالا لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

فالأمة العربية الإسلامية لها رسالتها في العالم ، فهي خير أمة أخرجت للناس ، ولكن تناسي هذه الرسالة أو نسيانها ، والتماس شخصية أخرى في هذا الفكر أو ذاك يبعدها عن الطريق القويم وهو السبب فيما آلت إليه أحوالنا .

٣ – غياب التنظيم العلمي

الواقع أن هناك عدة قضايا مترابطة تتعلق جميعًا بالعلم والبحث العلمي ، وتتناول جوانب مختلفة للعمل العلمي ، وسوف أتحدث عنها تباعًا . وأبدأ هنا بقضية غياب التنظيم العلمي بوصفها أحد معوقات النهضة العلمية .

يقصد بالتنظيم العلمي أن يكون هناك خطة شاملة للبحث العلمي على مستوى الدولة . Master Plan

والمقصود بالخطة الشاملة خطة تحصر القضايا والمشكلات وتضع برامج زمنية وتنفيذية لبحث هذه المشكلات وتحقيق الإنجازات في كافة الميادين العلمية والتقانية (٣) :

Scientific and Technological

أي أن مجرد وجود مركز للبحوث العلمية والتقانية هنا أو هناك لا يكفي ؛ بل لابد من وجود خطة شاملة للبحث العلمي على المستوى الوطني .

والحق أن قضية البحث هي من أهم عوامل التقدم في المجتمع الحديث . فالعصر الذي نعيشه الآن هو عصر العلم والتقانة ، والتقدم العلمي هو أساس الصراع والمنافسة بين الكتل الكبرى ؛ بل وفي داخل كل كتلة . فكل دولة من الدول المتقدمة تدخل مع غيرها سباقًا لا هوادة فيه كذلك الذي يحدث بين الولايات المتحدة وكل من ألمانيا واليابان ، أو بين ألمانيا وفرنسا ، بل إنه في داخل الدولة الواحدة تتنافس الشركات الصناعية الكبرى فيما بينها في كل مجال من مجالات الصناعة ، مثال ذلك صناعة الطائرات أو السيارات أو الحاسبات الإلكترونية . وهي

تتنافس في الوصول إلى أحدث المبتكرات حتى تسبق غيرها إلى غزو الأسواق العالمية لكي تحقق ما تصبو إليه من ربح .

وعلى مستوى الدول النامية فليس أمامها من طريق إلا أن تتبنى طريق العلم وسيلة لحل مشكلاتها ، وذلك لتعويض التخلف وسد الفجوة الهائلة التي تفصلها عن الدول المتقدمة . وما لم تسرع هذه الدول خطاها فإن هذه الفجوة سوف تتسع ولا تضيق ؛ لأن الدول المتقدمة تملك إمكانات التقدم أكثر من الدول النامية ، ولذلك فهي تتقدم بمعدلات أكبر ، وعلى الدول النامية إذا أرادت اللحاق بركب التقدم أن تسرع في معدلات التقدم ، ولا يتم هذا إلا من خلال التنظيم العلمي ومن خلال التغلب على كل العوائق الأخرى التي ذكرناها .

٤ - عدم كفاية إسهام الدولة .

إذا كنا قد اتفقنا على أن السبيل الوحيد أمام الأمم النامية هو تبني العلم وسيلة للتقدم ، فمعنى ذلك أن الدولة في هذه الأمم يجب أن ترصد لذلك الميزانيات الملائمة . ومن الحقائق المسلمة الآن أن المال الذي ينفق على التعليم والعلم وما يتبعهما من مؤسسات هو استثمار ؛ بل يمكن القول إنه أفضل استثمار . ولذلك نجد أن الدول المتقدمة تخصص جزءًا غير يسير من ميزانياتها للبحث العلمي . كما أن البحث العلمي في الدول المتقدمة لا تنفرد به الدولة ؛ بل تقوم به أيضًا الشركات والمؤسسات الصناعية والاقتصادية المختلفة .

فإذا انتقلنا إلى الأوضاع في الوطن العربي ، فسوف نجد أن البحث العلمي يتأخر كثيرًا في سلم الأولويات حيث يسبقه كثير من المجالات في كثير من الدول العربية ، ويعد في بعض الدول نوعًا من الترف دون عائد حقيقي . ولذلك فمن الضروري أن تتغير نظرة الدولة إلى التعليم والبحث العلمي ، وأن ترصد له الإمكانات اللازمة التي تجعله يؤدي الدور المنتظر منه وأن تعطيه الأولوية على غيره حيث إنه يمثل أفضل استثمار .

٥ - هجرة العلماء

هجرة العلماء - أو نزيف العقول - معناها انتقال العلماء من الدول النامية إلى الدول المتقدمة ، وتعني كذلك انتقال العلماء من دول متقدمة إلى دول أكثر تقدمًا .

وأسباب هجرة العلماء كثيرة ، وقد تكون الظروف الاقتصادية سببًا من الأسباب . ولكن لا شك أن هناك أسبابًا أخرى لعل في مقدمتها أن البيئة العلمية في وطننا العربي هي في حالات كثيرة بيئة غير صحية وغير صالحة لتقدم البحث العلمي ، وخاصة في تلك الدول التي تكثر فيها هجرة العلماء إلى أوطان أخرى أكثر تقدمًا وأصلح بيئة علمية .

ومما لاشك فيه أن المعوقات التي ذكرناها ، والتي سوف نذكرها تعد كلها عوامل تؤثر في البيئة العلمية وتجعلها غير مناسبة للعمل العلمي وغير محققة لطموحات العالم الذي يريد أن يتفرغ للعمل العلمي وأن يعطيه عمره كله ، وقديمًا قال أسلافنا العظام إن العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، فأنى للعالم في وطننا العربي الحبيب أن يعطي العلم كلَّ نفسه وجل عمره في هذه البيئة العلمية .

والمفروض أن العلماء هم أبناء الدولة ترعاهم وتقدم لهم كل مايطلبون ليس لمصلحتهم هم ؛ بل لمصلحة الوطن في المحل الأول ، فالعالم الحقيقي لا يريد أكثر من أن تتاح له الإمكانات المناسبة لكي يتفرغ لعمله ، وهو لا يريد شيئًا من متع الحياة الدنيا الغرور ، بل يريد الظروف المناسبة للعمل حتى لا ينشغل بالجري وراء أمور أخرى تأخذ من وقته وجهده وطاقته وتحد من حركته وتحطم نفسيته وإرادة البحث فيه .. وهذا ما يحدث في كثير من أجزاء وطننا العربي الحبيب حيث نجد العلماء يفتقدون التشجيع المادي والأدبي بحيث يضيع وقتهم وتستنفد طاقتهم في أمور لا صلة لها بالعلم والعلماء .

وهناك أسباب أخرى تجعل العلماء يهربون إلى بيئات أفضل ، ومن ذلك ما يحدث من التحاسد والتباغض والنزوع إلى الفردية ، وهذه كلها أمور ضد العمل العلمي ، حيث إن العمل العلمي في الدول المتقدمة يسوده الآن روح الفريق .

ولا شك أن كل من له صلة بالبيئة العلمية يعرف الآفات التي تجعل هذه البيئة غير صالحة لعمل العلماء الحقيقيين ، وكثيرًا ما يجد المرء العالم نفسه يتمثل قول أبي الطيب المتنبي :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا

وعناهم من أمره ما عنانا

وتولوا بغصة كلهم منه
وإن سر بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لياليه
ولكن تكدر الإحسانا
وكأنا لم يرض فينا بريب الدهر حتى أعانه من أعانا
كلما أنبت الزمان قناة
ركب المرء في القناة سنانا
ولو أن الحياة تبقى لحي
لعددنا أضلنا الشجعانا

وأركز على البيتين الرابع والخامس فهما يعبران تعبيرًا قويًا عما يحدث بين العلماء في كثير من الأحوال. وكأنه لا يكفينا قصور الوسائل والمعوقات الأخرى حتى نفسد بأيدينا حياتنا وندمر بعضنا.

وفرق بين التنافس والتحاسد. فالتنافس صفة محمودة تؤدي إلى سباق مستحب، أما التحاسد فهو صفة مذمومة تأكل في الدين كما تأكل النار في الحطب الهشيم، وكذلك تفعل في الحياة العلمية فهي تجعل العالم ينشغل بدرء الطعنات التي توجه إليه وتوقي الخطر الذي يحيط به.

أين ذلك من العلماء أيام ازدهار الحضارة الإسلامية، فالإمام الشافعي، رضي الله عنه، كان يقول: مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب غيرنا خطأ يحتمل الصواب. هذا هو أدب الخلاف الذي يجب أن يسود حياتنا العلمية. وقد بدأ الشافعي حياته الفقهية تلميذًا للإمام مالك بن أنس – رضي الله عنه – إمام أهل المدينة على ساكنها أفضل الصلوات وأتم التسليم، ثم رحل إلى العراق وتتلمذ على الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة – رضي الله عنهم جميعًا – وكان محمد بن الحسن يصله ويعينه بماله. وخرج الشافعي بعد هذا كله بمذهبه الجديد. هذه هي البيئة العلمية التي تخرج رجالاً من أمثال الشافعي ومالك وأبي حنيفة ومحمد بن الحسن وغيرهم والتي خلفت لنا تراثًا علميًا نزهو به على مر العصور.

أما البيئة العلمية في كثير من أجزاء وطننا العربي فقد ولج إليها من الأبواب الخلفية دخلاء عليها يعرفون هدفهم جيدًا ويصلون إليه بمنتهى الدقة والمهارة وهم ليسوا علماء ولا يريدون أن يعملوا، يسوءهم أن يعمل الناس فيجروهم إلى مسالك غير علمية تستنفد طاقتهم وتضعف من عزيمتهم وتصل بهم في كثير من الأحوال إلى اليأس من صلاح الأحوال والقنوط من العمل، حيث يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون بل ربما فاز الأخيرون بكل شيء. وهذه من علامات الساعة كما أخبر رسولنا الكريم ﷺ حينما أجاب السائل عن الساعة فقال: إذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة، فعاد السائل مستوضحًا: ومتى تُضَيَّعُ الأمانة، فقال الرسول ﷺ: إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة.

وإلى جانب كل ذلك فهناك المشكلات الإدارية والبيروقراطية التي تضيع وقت الباحث في إجراءات تضعف من عزيمته وتضيع وقته وجهده وطاقته.

وليس معنى هذا أننا نوافق على الهجرة أو نؤيد هؤلاء الذين هجروا أوطانهم، فهؤلاء هربوا من الميدان ولم يؤدوا أية خدمة لأوطانهم بل آثروا الراحة العاجلة، وخدموا أوطانًا أخرى ليست في حاجة إليهم مثل حاجة أوطانهم، وأصبحوا عونًا لبلاد ربما تقف في كثير من القضايا موقف العداء لأوطانهم وهم لا يملكون إلا الولاء لها لأنهم أصبحوا من مواطنيها.

وخلاصة القول في هذه القضية قضية هجرة العلماء أن البيئة العربية وخاصة في الأقطار التي يهاجر منها العلماء، وبسبب ما ذكرت من أسباب وظروف، أصبحت بيئة طرد للعلماء، وآثر كثيرون منهم أن يهجروا أوطانهم إلى بلاد أخرى تحقق لهم طموحاتهم وتوفر لهم الإمكانات، وكل بحسب نيته وكل بحسب مَايُسِّرَ له، فمن كان يريد علمًا يجد علمًا ومن كان يريد مالاً يجد مالاً ومن كان يريد مالاً وعلمًا يجدهما وهكذا.

وهذه الهجرة إلى الدول المتقدمة لها أخطر الآثار على الدول النامية؛ لأن هذه الدول في أمس الحاجة إلى خبرة أبنائها لتعويض التخلف وسد الفجوة الحضارية التي أشرنا إليها، فإذا بهم يهجرونها إلى بلاد متقدمة أصلاً، ويسهمون في تقدم تلك البلاد. وأما من بقي من العلماء فهم يصارعون كل الظروف وتختلف إنتاجيتهم بحسب درجة إيمانهم وصلابتهم، وقد تصرعهم الظروف وقد

يصرعونها ويظلون يعملون وينتجون رغم كل شيء ، وقد يصير بهم الأمر إلى العزلة والانكفاء على النفس فتخسرهم أوطانهم .

٦ – ضعف التعاون الإقليمي

كما ذكرنا من قبل فإن البحث العلمي مكلف ، وكثير من الدول قد تقصر إمكاناتها وحدها عن القيام به بالصورة المطلوبة . ولذلك فإن الدول العربية في أشد الحاجة إلى التعاون العلمي فيما بينها حتى تكتل الإمكانات لتحقيق أهدافها . ثم إن التعاون يؤدي إلى عدم تكرار البحوث . والبيئة العربية متشابهة في كثير من الأمور ، ومن ثم تتشابه كثير من القضايا المبحوثة ، وبدلاً من أن تبحث المشكلة نفسها في أكثر من قطر عربي فإن تكتيل الجهود وتقوية التعاون يؤديان إلى عدم إضاعة الوقت والمال في بحث مشكلات بحثت أو تبحث في مكان آخر من الوطن العربي بل نوجه الجهود إلى بحث مشكلات أخرى .

وكما نعلم فإن العصر هو عصر الكيانات الكبيرة . وإن مجال التعاون في البحث العلمي هو من أبرز المجالات التي يمكن أن يتحقق فيها التعاون لتحقيق إنجازات علمية كبيرة لا تقدر عليها كل دولة عربية على حدة .

٧ – مشكلة المصطلحات

ذكرنا من قبل أن ثمة فجوة حضارية تفصلنا عن الدول المتقدمة . والحقيقة أننا لسنا امتداداً لعصر الحضارة الإسلامية الزاهر . فالحضارة الغربية الحديثة هي العصر التالي لعصر الحضارة الإسلامية ، وهي امتداد لنموها وتقدمها ، أما نحن فقد وقفنا عند ما أنتجه أسلافنا العظماء . ولو شاء الله أن يستمر المد الحضاري الإسلامي وأن يكون عصرنا الحديث في الوطن العربي والإسلامي هو امتدادا لعصر أسلافنا لاختلف الأمر . ولكن الذي حدث هو أن الحضارة الأوربية هي التي تعد امتداداً لعصر الحضارة الإسلامية وليست امتداداً للعصور الوسطى الأوربية المتخلفة . فقد أخذ الأوربيون علوم المسلمين وترجموها إلى اللاتينية – لغة العلم آنذاك – ودرسوها في جامعاتهم فكانت أساس نهضتهم وسر تقدمهم في العصر الحديث .

وهذا الأمر لا ينكره المنصفون من مؤرخي العلوم في الغرب ، وعلى أية حال فإن تأثير الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوربية من القضايا الصعبة التي تحتاج إلى جهد خاص منا نحن ، وتحتاج إلى تتبع التأثيرات المختلفة وفي جميع الميادين . وإن قياس التأثيرات الفكرية والحضارية ليس من الدراسات السهلة ؛ لأن التأثير الكيفي ليس شيئاً ملموساً أو محسوساً ، وخاصة في قضيتنا هذه حيث نقلت المؤلفات العربية والإسلامية في العلوم كافة إلى اللغة اللاتينية وليس إلى اللغات الحديثة . كما أن الأغلبية من مؤرخي العلم في الغرب ينزعون إلى أن يعطلوا المسلمين من كل إسهام في الحضارة الإسلامية ويتعمدون إخفاء تأثير المسلمين في علومهم وحضارتهم حتى ينسبوها إلى علمائهم هم وحضارتهم هم .

والأمثلة كثيرة ، فالدكتور علي سامي النشار أستاذ الفلسفة الإسلامية الأكبر يرى أن المسلمين هم الذين ابتكروا المنهج التجريبي وليس فرنسيس بيكون . وقد أثبت ذلك في أحد كتبه المهمة (٤) كما يرى الدكتور عبدالحليم منتصر في كتابه تاريخ العلم (٥) أن مؤرخي العلوم من الغربيين يتجاهلون عصرين من عصور العلم حدثا في منطقتنا ، وهما العصر القديم ؛ أي ما قبل العصر اليوناني ، والعصر الإسلامي ، ويقتصرون في تأريخهم على العصر اليوناني ثم يقفزون إلى العصر الحديث حتى ينكروا أي إسهام للمسلمين في تاريخ العلم .

وهناك أمثلة فردية كثيرة ، مثل ابن النفيس والدورة الدموية ، فمن المسلم به أن الطبيب العربي ابن النفيس هو الذي اكتشف الدورة الدموية ، ولكنهم في الغرب لا ينسبون ذلك إليه ؛ كما أن ابن خلدون هو الذي وضع أسس علم الاجتماع ، ولكنهم في الغرب ينسبونه إلى أوجيست كونت ، وهكذا الكثير . ومؤرخو العلوم في الغرب يهدفون من وراء ذلك إلى إنكار أي إسهام للمسلمين في الحضارة الإنسانية حتى يسيطر اليأس على نفوسهم ويقنعوا بدور المتلقي والمستهلك على طول الخط .

وعلى أية حال ، فقد حدثت فجوة حضارية تقدر بأربعة قرون تقريباً ، حدث فيها تقدم سريع في الغرب كان نتاجه كمًا هائلاً من المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة، ولم تكن هناك عند الدول الغربية مشكلة مصطلحات ؛ لأنها هي التي تنتج المفاهيم والأفكار وتعطيها المصطلحات المناسبة .

ولكن المشكلة تبدأ حينما نحاول نقل هذه المصطلحات إلى العربية ، وليس ذلك بسبب قصور في اللغة العربية ، ولكن بسبب تكاثر هذه المصطلحات بصورة هائلة دون أية ملاحقة حقيقية من جانبنا ، خاصة وأن جهودنا في الأصل قاصرة عن متابعة ما يصدر . وسوف أعود إلى هذه النقطة عند الحديث عن الترجمة سواء ترجمة الكتب أو المواد الأخرى .

ولا شك أن مشكلة تعريب المصطلحات هي من أهم المشكلات التي تجعل الكثير من الباحثين العرب يفضلون كتابة بحوثهم باللغة الإنجليزية فهذا أسهل بالنسبة لهم ، ولا شك أيضًا أن هذه المشكلة من المشكلات الرئيسة التي سوف تواجهنا عند التفكير في إصدار دائرة المعارف العربية الشاملة ، كما أنها مما يعوق تقدم العلم ويؤثر على سيولة الكتاب ويؤخر وجود علوم عربية حقيقية .

وقد مرت الحضارة الإسلامية إبان عصر الترجمة بمشكلة مشابهة ، كما مرت بها الحضارة الأوربية الحديثة التي نقلت علوم المسلمين ، ولكن هذه وتلك تغلبتا على المشكلة في عصر كان الإنتاج الفكري فيه - ومن ثم عدد المصطلحات - لا يقارن بما هو عليه الآن ، وبالتالي فلم تكن المشكلة بالحجم الذي هي عليه الآن .

٨ - عدم كفاية الخدمات المكتبية والببليوجرافية

إن حديثنا هذا موجه إلى علماء وباحثين وأساتذة ومثقفين من جميع المجالات ، ولست أحب حين أتناول النقص في الخدمات المكتبية والببليوجرافية أن أغرق في التفاصيل التي تهم المتخصص في هذه المجالات . ولذلك فسوف أكتفي من هذه القضية بما يمس عامة الباحثين والمثقفين ولا أدخل في التفاصيل الفنية الدقيقة .

وقد تحدثنا من قبل عن ركائز التقدم ، وهي التعليم والعلم والمعلومات والإعلام ، ثم تحدثنا بسرعة عن دور الإعلام ، وأفردنا الصفحات السابقة للحديث عن قضايا التعليم والعلم ، ونتحدث الآن عن المعلومات ممثلة في الخدمات المكتبية والببليوجرافية وخدمات المعلومات .

المعلومات هي كل المعرفة والبيانات والحقائق المدونة في شكل من أشكال التدوين على النحو الذي أشرنا إليه في مقدمة الحديث . وعلم المعلومات هو الجانب المتطور من علم المكتبات ، ومراكز المعلومات هي الصورة المتطورة من المكتبات . ولذلك نفضل أن نسمي علمنا : علم المكتبات والمعلومات .

ويمكن أن نعرف علم المكتبات والمعلومات تعريفًا بسيطًا بأنه مجموع القضايا والعمليات التي تهدف إلى توصيل المعلومات المناسبة للمستفيد المناسب في الوقت المناسب وبالقدر المناسب ، ويتم تحقيق ذلك من خلال سلسلة من العمليات تبدأ بالتخطيط لإنشاء الخدمات المكتبية بكل عناصرها من موقع ومبان وأثاث وتجهيزات وتمويل وقوى بشرية ، ... إلخ ؛ ثم من خلال الحلقات الرئيسة في سلسلة العمليات الفنية ، وهي توفير مصادر المعلومات ، ثم تنظيم هذه المصادر من خلال الفهرسة الوصفية والتحليل الموضوعي بكل عناصره من تصنيف وفهرسة موضوعية وتكشيف ، ثم من خلال تقديم الخدمات المكتبية وخدمات المعلومات من خلال جميع مؤسسات المكتبات والمعلومات . ويدخل في ذلك كله استخدام التقنيات الحديثة وأهمها الحاسب الإلكتروني في جميع مراحل العمل .

وإذا كنا قد نجحنا في تقديم إطار بسيط للخدمات المكتبية ، ... إلخ ، فإننا نذكر الآن أن القصور والنقص يشملان كل جوانب هذا الإطار وكل مراحل العمل بدءًا باختيار الموقع وإقامة المبنى مرورًا بكل العناصر السابقة حتى تقديم الخدمات .

أما عن الخدمات الببليوجرافية فلن نحاول كذلك الدخول في التفاصيل العلمية والفنية ، ويمكن أن نعرف فقط الضبط الببليوجرافي أو التنظيم الببليوجرافي ومن خلال ذلك يمكن أن نتعرف على الخدمات الببليوجرافية .

يمكن أن نعرف التنظيم الببليوجرافي - وهو أوسع من الضبط الببليوجرافي - بأنه دراسة للوسائل التي تمكن من الوصول إلى المعرفة المدونة ، وذلك من خلال السيطرة على السجلات المكتوبة والمطبوعة وحصرها وتنظيمها وتقديمها إلى الباحثين من خلال الأنواع المختلفة من الببليوجرافيات : الوطنية والشاملة والموضوعية وغيرها .
وكل أنواع الببليوجرافيات تلعب دورها ، ولكن النوع الأخير وهو الببليوجرافيات الموضوعية له دور مهم وفعال في البحث العلمي .

وليست البيليوجرافيات بطبيعة الحال شيئًا منفصلاً عن المكتبات ؛ فالخدمات الببليوجرافية تقدم من خلال المكتبات ، وهي تكون جزءًا من الجهاز البيبليوجرافي الشامل للمكتبات الذي يضم إلى جانب ذلك فهارس المكتبات والكشافات . ولذلك سوف نوجد الحديث عنهما .

فإذا انتقلنا إلى دور الخدمات المكتبية والبيليوجرافية في البحث العلمي ، فسوف نجد أن الباحث يبدأ أولى خطواته في البحث بتحديد الموضوع أو المشكلة . وحتى تتضح الصورة أمامه فلا بد أن يقرأ في الموضوع . أي أن البحوث تبدأ فكرتها في المكتبة وأثناء القراءة يتوقف الباحث عند نقطة أو قضية أو مشكلة يبدو له أنها لم تبحث بالقدر الكافي ، وأنها تحتاج إلى مزيد من القراءة والبحث وهنا تكون أولى خطواته في بحثه داخل المكتبة وتتم فيها . وحتى البحوث التطبيقية لا تبدأ في المعمل أو المختبر وإنما تبدأ أيضًا في المكتبة وأثناء القراءة حتى يوسع الباحث من مداركه أولاً ، ثم يدرك المشكلات التي بحثت والمشكلات التي تحتاج إلى متابعة البحث .

فإذا ماتوقف الباحث عند نقطة معينة يدرك أنها في حاجة إلى المزيد من الدراسة والبحث وقرر أن يشرع في بحثها - إذا ما فعل هذا - فإن عليه أن يتأكد أولاً هل هذه المشكلة قد سبق بحثها أم أنها لم تبحث ، وهنا لابد أن يذهب إلى الخدمات الببليوجرافية والتكشيفية في مجال تخصصه . فإذا وجد أن الموضوع لم يتم بحثه والانتهاء منه ، فإن عليه أن يتأكد مرة أخرى إن كان الموضوع قيد الدراسة والبحث وذلك من خلال كشافات أخرى .

فإذا تأكد الباحث أن المشكلة لم تبحث وأنها ليست قيد البحث حينئذ يمكن أن يشرع في دراستها مطمئنًا إلى أنه لا يضيع وقته في بحث مشكلة بحثت أو تبحث . ومن هذا يتضح أن الخطوتين الأولى والثانية في البحث العلمي تتمان في المكتبة ومن خلال مصادرها .

ينتقل الباحث بعد ذلك إلى الخطوة الثالثة أو المرحلة الثالثة وهي جمع ببليوجرافية البحث ، وهذه أيضًا تتم في المكتبة ومن خلال جهازها البيليوجرافي .

ثم تبدأ المرحلة الرابعة وهي جمع المادة العلمية وهذه المرحلة أكثر المراحل اعتمادًا على المكتبة ؛ والباحث في هذه المرحلة يكاد يقيم في المكتبة لكي يراجع مصادره ويجمع مادته وهي أطول المراحل . وإن أي بحث يعتمد على مثلث : الباحث ، الموضوع ، المعلومات ، فإذا افترضنا أن هناك باحثًا جيدًا ؛ فإن هذا الباحث عليه أن يختار موضوعًا جيدًا ، والمكتبة تساعده في ذلك . ثم عليه بعد ذلك أن يقوم بالبحث نفسه ، معتمدًا على مصادر المعلومات . فإذا كانت مصادر المعلومات كاملة فإن دراسته للموضوع سوف تكون كاملة ، وإذا اعتمد على مصادر غير كاملة فإن من المرجح أن بحثه لن يكون كاملاً وهذا أمر بدهي .

والصورة السابقة تتم بحذافيرها في الدول المتقدمة ، حيث تقف المعلومات سندًا للبحث العلمي . أما في الدول العربية وغيرها من الدول النامية فإن القصور يشمل كل جوانب أو مراحل العمل . ولذلك فيمكننا أن نفترض أن الأبحاث التي تعتمد على مصادر معلومات عربية وتتم في المنطقة العربية هي أبحاث غير كاملة ، ذلك لأنها تعتمد على مصادر غير كاملة . فنحن لم ننجح حتى الآن في حصر أو ضبط مصادر المعلومات ، ولم ننجح في تنظيمها ولم ننجح في إنشاء البيليوجرافيات والكشافات بكل أنواعهما . ولذلك فالباحث عندنا يخبط خبط عشواء ، ويعتمد على مصادر غير كاملة وطرق ارتجالية أو عفوية في تتبع مصادر المعلومات .

وتحدث الطامة الكبرى حينما يكون البحث في موضوع يتعلق بالدراسات الإسلامية أو العربية فيذهب الباحث إلى المصادر العربية وهي المصادر الأصلية أو الأولية Primary Material ، فيجدها غير محصورة وغير منظمة ، فيضطر إلى اللجوء إلى المصادر باللغات الأجنبية ، وهي في هذه الحالة تعد مصادر ثانوية Secondary ، وفي هذا ما فيه من خطأ منهجي ، إذ يجب الاعتماد على المصادر الأصلية أو الأولية . وليت الأمر يقتصر على الخطأ المنهجي ؛ بل إن المصادر الغربية الثانوية كتبها مستشرقون غربيون وهي موجهة أساسًا إلى القارئ الغربي ، وكثيرًا مايكون هدفها تشويه صورة الإسلام وأهله أمام القارئ الغربي ، والنيل من المسلمين وتجريحهم ولم يسلم من ذلك كتاب الله العزيز ولا شخص الرسول الكريم ﷺ . ولذلك يقع الباحث العربي المسلم في هذا الشرك فتتلون أفكاره - إلا من عصم الله - بأفكار خبيثة هدفها الطعن في الإسلام ؛ وهذا كله يحدث بسبب النقص في الخدمات المكتبية والببليوجرافية .

وقد أخذنا تأثير الخدمات المكتبية والببليوجرافية في البحث العلمي كمثال لوضوح دورها في هذا المجال بالنسبة للعلماء والباحثين والمثقفين . ولكن دور الخدمات المكتبية والببليوجرافية يشمل كل جوانب الحياة : فالمكتبة المدرسية لها دور مهم في غرس عادة القراءة وعادة التفكير في الطفل ، والمكتبة العامة لها دورها المهم في تثقيف الشعب وفي تعليم الكبار ، والمكتبة الجامعية لها دورها في دعم عملية التعليم الجامعي والبحث العلمي الذي يتم في الجامعة ، وهكذا .

كما أن المعلومات لها دورها في جميع المجالات : السياسية والاقتصادية والزراعية والعسكرية والإدارية ، وفي اتخاذ القرارات ، وما إلى ذلك ، وإنما اكتفينا بمثال واحد فقط منعًا للإطالة .

وسوف نعود إلى هذه النقطة فيما بعد عند الحديث على القراءة .

ومما هو جدير بالذكر أن العوامل السابقة جميعًا والتي ذكرناها على أنها معوقات للعمل العلمي - ومن ثم تأثيرها على الإنتاج الفكري - هذه العوامل تصدق بصورة أو أخرى على أجزاء الوطن العربي ، قد تصدق كلها على جزء واحد من هذا الوطن أو يصدق بعضها في مكان أو آخر ، أو تختلف درجتها هنا أو هناك ، فتكون حادة في مكان وأقل حدة في مكان آخر من الوطن العربي . ولكن هذه العوامل في مجملها موجودة ومؤثرة في كل أجزاء الوطن العربي وتؤثر على مسيرة العلم والثقافة .

ولا ينفي وجود هذه المعوقات وتأثيرها في أجزاء من الوطن العربي أن تكون هناك نماذج مشرفة هنا وهناك . ولكننا في موقفنا هذا لا يمكن أن نتحدث بلغة الخصوص وإنما نتحدث بلغة العموم وإلا لضاق المجال عن استيعاب حديثنا ، خاصة وأننا نتناول موضوعًا شاملاً يكاد يغطي كل قضايانا العلمية والثقافية . ومما لا شك فيه أن من يهمهم هذا الحديث سوف يتجاوبون معه بسرعة ، وأنا على ثقة من ذلك . لأنهم عاشوا كثيرًا من التجارب التي أتحدث عنها وربما عانى منها كثير منهم ، ولذلك فإن الإشارة هنا تكفي .

ونعود الآن إلى : مراحل العمل العلمي فنتناول كل مرحلة على حدة .

التأليف والمؤلفون

المؤلف هو أهم عنصر في عملية إنتاج الكتاب ، فبدون المؤلف لا توجد الحلقات التالية جميعًا من نشر وطباعة وتوزيع وقراءة ، فهذه جميعًا تعتمد على عمل المؤلف .

والمؤلف هو المسئول عن متن الكتاب ، وهناك إلى جانب التأليف أنواع أخرى من المسئولية عن النص : الترجمة ، والتحقيق ، والإشراف ، والتحرير ، والمراجعة ، والجمع ، والتكشيف ، وما إلى ذلك من مشاركات . وكل المعلومات التي ذكرناها في الصفحات السابقة تؤثر على عملية التأليف وما يدخل في حكمه ، كما تؤثر عوامل أخرى كثيرة ، منها : ضعف العائد المادي الذي يحصل عليه المؤلف ؛ ذلك أن تكلفة إنتاج الكتاب تشتمل على نفقات عامة Overhead charges غير قابلة للتخفيض ، مثل ثمن الورق ، وتكاليف الطباعة ، والتجليد ، وحصة الموزع . وهذه العناصر كلها في ارتفاع مستمر . والناشر لا يستطيع أن يتحكم في أي عنصر من هذه العناصر ؛ بل هي التي تتحكم فيه ، فلا يجد الناشر أمامه إلا المؤلف المسكين الذي هو سبب عمل الجميع فيخفض مكافأته على قدر ما يستطيع ، وبعض الناشرين يتمنون أن لو استطاعوا ألا يعطوا المؤلف شيئًا على الإطلاق !! وقد سمعت ذلك بنفسي من أحدهم ، وهو ناشر حظه من التعليم والثقافة يقترب من القاع وكان يتعامل مع بعض عمالقة الفكر في وطننا . وكان يقول : يكفي أنه ينشر لبعض الناس . وكان هذا الناشر يتندر ويحكي الطرف عن بعض تعاملاته مع المؤلفين وكأنه صاحب فضل عليهم !!

وهذا كله يؤثر بطبيعة الحال على المؤلف وعلى إنتاجه فالمؤلف لا يسعده أن يرى عمله يستغل أمامه ، ويستفيد به غيره ولا يحصل هو على ثمرة عمله بينما يحصل غيره ممن لم يبذل الجهد مثله على هذه الثمرة ويحرمه منها ، وقد يكون في أمس الحاجة إلى عائد عمله .

ولذلك فإن الذين يستمرون في بذل الجهد في التأليف والترجمة ، ... إلخ ، هم هؤلاء الذين أقنعوا أنفسهم بالحق الأدبي والمعنوي دون الحق المادي . ولهذا فلم نسمع أن هناك مؤلفًا في وطننا العربي عاش من الكتابة فقط وتفرغ لها ، وإنما هو يحتاج إلى عمل آخر يعيش منه ؛ بل

وأحياناً ينفق منه على إنتاجه العلمي أو الثقافي . وهذا ينقلنا إلى نقطة أخرى ، وهي عدم تفرغ العلماء والمؤلفين . ولهذا يضيع معظم وقتهم في أعمال أخرى وما تبقى من وقتهم يقضونه في التأليف والبحث ، وقد يشغلهم العمل تماماً عن البحث والتأليف وتمتصهم الحياة اليومية والمشكلات المعيشية بأثقالها وهمومها فتستهلكهم تماماً ، فيكون السؤال : أيعيش أم لا يعيش هو وأولاده ؟ ، والإجابة واضحة .

وهذا مصير سيئ جداً للباحث العالم ، وهو يؤثر في مجمله على إنتاج المؤلفين . القضية هي أننا لا نريد أن يكون البحث العلمي والعمل الثقافي مسئولية الإنسان الذي يعمل في هذا المجال وحده ؛ بل يجب أن يلقى المساعدة والتشجيع حتى لا يعمل على مسئوليته ، فإن أجاد كان بها وإن ضغطت عليه ظروفه توقف .

وقد قارنا فيما سبق بين الإنتاج الفكري العربي والإنتاج الفكري الأجنبي ، واتضح من ذلك أن الإنتاج العربي لا يقارن بمثيله في الدول المتقدمة . ولا شك أن ضعف العائد المادي وعدم تفرغ المؤلفين وعدم تشجيعهم ورعايتهم هي من عوامل ضعف هذا الإنتاج من حيث الكم والكيف .

الترجمة والمترجمون

الترجمة هي في الغاية من الأهمية بالنسبة للدول النامية ، وخاصة في المرحلة الأولى من مراحل تطورها ، فهذه الدول يجب أن تبدأ من حيث انتهت الدول المتقدمة ، إذ ليس من المعقول أن توقف عجلة الزمن ، وتبدأ من حيث بدأت تلك الدول وتقضي القرون الطوال في الوصول إلى ما وصلت إليه ؛ لأنها إذا فعلت ذلك تكون الأمم المتقدمة قد سبقتها بقرون أخرى . فإذا أردنا أن تبدأ الدول العربية من حيث انتهت الأمم المتقدمة فلا مفر من الترجمة .

وقد بدأت الحركة العلمية عند المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ ، وفي المدينة المنورة حيث مهاجره ووفاته ، وكان القرآن الكريم وحديث الرسول هما مدار الحركة العلمية فنشأت علوم الدين الإسلامي : علوم القرآن، وعلوم الحديث ، وعلم أصول الفقه ، وعلم الفقه ، ... إلخ . ، كما نشأت علوم اللغة العربية مرتبطة بالعلوم الدينية ، وذلك لأنها ضرورية لفهم الكتاب العزيز وأحاديث الرسول ﷺ ، ولذلك اعتبرها كثير من العلماء مكملة للعلوم الشرعية حيث أن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وبعد أن نشأت العلوم الشرعية واستقرت بدأ المسلمون في القرن الثاني الهجري حركة ترجمة للعلوم التي كانت لدى الأمم التي فتحوا بلادها ، واقتصرت الترجمة بطبيعة الحال على العلوم العقلية ، وهي الشعبة الثانية من العلوم ، وتسمى أحياناً علوم العجم . في مقابل علوم العرب ، وأحياناً تسمى العلوم الحكمية نسبة إلى الحكمة التي هي الفلسفة ، وأحياناً تسمى العلوم الأجنبية أو الدخيلة . ويدخل في هذه العلوم الرياضيات والطب والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم الطبيعية .

فالحركة العلمية بدأت بالعلوم الدينية واللغوية ، وهي العلوم النقلية التي تكون شخصية الأمة ، ولا يجوز للأمة أن تستفيد فيها من المصادر الأجنبية ، ثم انتقلت إلى ترجمة العلوم العقلية التي وجدتها عند أصحاب الحضارات السابقة . ثم هضم المسلمون هذه العلوم واستوعبوها وأضافوا إليها الكثير والكثير من إسهاماتهم الخاصة .

والنوع الثاني من العلوم تشترك فيه الأمة مع غيرها من الأمم ، وهي التي تكون الآن ما يعرف بالعلوم البحتة والتطبيقية ، وهي علوم لا تتصل بذاتية الأمة . وإنما حقائقها مشاع عام يمكن أن تسهم فيه كل أمة بقدر ما يسعفها علمها وبقدر ما تملك من إمكانات بشرية ومادية ، فإذا كانت الأمة متخلفة فيها عن غيرها من الأمم فلا مفر أمامها من الترجمة .

وقد فعل الغربيون في بداية نهضتهم الحديثة الشيء نفسه ، فقد أخذوا علوم المسلمين وترجموها وتعلموها وجعلوها أساس نهضتهم العلمية التي نشهدها الآن .

فلما أفاق المسلمون في العصر الحديث وجدوا أنفسهم وقد تأخروا عن غيرهم بعد أن كانوا سادة العالم علماً وحضارة ، وخاصة في العلوم البحتة والتطبيقية التي هي دعامة الحضارة الحديثة ، حضارة عصر الصناعة . وقد وجدوا في هذا الصدد أنه لا مفر أمامهم من تعلم هذه العلوم ، فوفدوا إليها أو وفدت إليهم وقطعوا في ذلك مراحل متفاوتة ، لكن الطريق أمامهم لا يزال طويلاً .

وهذه العلوم تمر في وطننا العربي بمراحل ثلاث ، وهذه المراحل ليست جامعة مانعة ؛ بل كثيراً ماتكون متداخلة :

١ - مرحلة النقل والترجمة .
٢ - مرحلة المحاكاة والتقليد .
٣ - مرحلة الابتكار والتأصيل .

ولا يمكن الدخول إلى مرحلة التأصيل إلا بعد المرور بمرحلة الترجمة ، اللهم إلا في الأبحاث الأكاديمية الأصيلة وخاصة تلك التي ترتبط ببحث مشكلات أو قضايا محلية . وحتى في هذه الأعمال فلا مفر من استفادة حقائق علمية مما ظهر ونضج في الغرب ، فالباحث هنا يترجم لنفسه .

ولا شك أن جل اعتمادنا في العلوم البحتة والتطبيقية بوجه خاص على حقائق نمت ونضجت في الغرب ، ولكي نصل إلى مرحلة التأصيل فلا بد من النقل أو الترجمة ، سواء أردنا أم لم نرد . وهناك أعمال قد يستنكف البعض من أن يسميها ترجمة ، ويرى أن كرامته العلمية تأبى عليه ذلك ويسميها تأليفاً ، في حين أنها في حقيقتها نقل أو ترجمة ، وليس من الضروري أن يكون النقل أو الترجمة لكتاب واحد معين ، ولكن قد يكون لأفكار من كتب أو مقالات متعددة ، أي يكون عمل المؤلف مجرد عرض للآراء والأفكار . وهذه لا يمكن اعتبارها أعمالاً أصيلة ؛ بل هي ترجمة أو نقل ، أو تقليد في أحسن الأحوال .

فالتأصيل الحقيقي هو أن ننتج أفكارنا نحن وحقائقنا ونظرياتنا وأبحاثنا الخاصة بنا ثم نسجلها في منشوراتنا وهذا ما يحدث في الدراسات التي لها طابع البحث . ومعنى ذلك أن مرحلة الترجمة مستمرة حتى مع دخولنا مرحلة التأصيل ببعض الدراسات والأبحاث ، فهذه الرسالة المستمرة للترجمة : أن يعرف منها ما وصل إليه البحث العلمي في الدول المتقدمة ، ومادامت هذه الدول متقدمة عنا فسوف تستمر الترجمة ؛ بل إنها يمكن أن تستمر حتى بعد ذلك .

وبقدر ما نسرع في الترجمة بقدر ما نضيق من الفجوة التي تفصلنا عن الدول المتقدمة ، الأمر الذي يستلزم وضع خطة شاملة على مستوى الوطن العربي لترجمة كل علم من العلوم وتعريب مصطلحاته . وهذا ينقلنا إلى المشكلات التي تعاني منها الترجمة ويعاني منها المترجمون في الوطن العربي .

أول هذه المشكلات ضخامة الإنتاج الفكري الذي يجب ترجمته قياساً إلى قدرات المترجمين في الوطن العربي . وهذا أمر بدهي ، فإن عدد المؤلفين هناك أكبر بكثير من عدد المترجمين هنا . وقد تحدثنا من قبل عن الإنتاج العالمي من الكتب واتضح أنه يزيد سنوياً على ست مئة ألف كتاب . وهذا الإنتاج يزيد بسرعة هائلة . وحتى تستكمل الصورة ، وحتى نوضح مدى جسامة المسئولية نعطي إحصاءات أخرى .

سوف نأخذ مجالاً واحداً هو الكيمياء : فالإنتاج الفكري في مجال الكيمياء كما تمثله المستخلصات الكيميائية Chemical Abstracts والتي بدأت في الصدور عام ١٩٠٨م ، هذا الإنتاج يعطي دلالات كثيرة على سرعة نمو النشر العلمي من ناحية وعلى كثرة الإنتاج الفكري الحالي من ناحية أخرى :

المليون الأول من المستخلصات استغرق الوصول إليه ٣١ سنة .
المليون الثاني من المستخلصات استغرق الوصول إليه ١٨ سنة .
المليون الثالث من المستخلصات استغرق الوصول إليه ٧ سنوات .
المليون الرابع من المستخلصات استغرق الوصول إليه ٥ سنوات (٦) .

وهكذا ؛ فانظر إلى سرعة الدورة ونمو النشر العلمي. فإنتاج ٣١ سنة في بدايات القرن العشرين يمكن الوصول إليه في النصف الثاني من هذا القرن في أقل من خمس سنوات . والآن هذا المليون يمكن الوصول إليه في أقل من سنتين . وهذا مجال واحد من مجالات العلوم البحتة والتطبيقية ، وهناك مجالات أخرى كثيرة منها الطب والهندسة ، والفيزياء ، ... إلخ .

وهناك التقارير الفنية ، وهي شكل حديث نسبياً من أشكال النشر ، وعلى درجة عالية من الخطورة والأهمية . ويقدر رصيد الإنسان من هذا الشكل بما يزيد على اثني عشر مليوناً والزيادة السنوية تزيد على ست مئة ألف تقرير .

انظر إلى ضخامة الإنتاج ، ثم انظر إلى سرعة النمو ، الأمر الذي يعني ضخامة وتعقد مشكلة الترجمة ، ثم زيادة تعقدها ، لأننا كلما تقاعسنا عن وضع الخطة وعن الإسراع في تنفيذها زاد تعقيد المشكلة حيث ينمو الإنتاج بسرعة مذهلة .

وإذا كانت المشكلة الأولى هي كثرة الإنتاج العالمي ، فإن هناك مشكلات أخرى تزيد من تعقيد قضية الترجمة ، من هذه المشكلات قلة عدد المترجمين بسبب ضعف العائد المادي الذي يحصلون عليه ، والذي لا يتناسب مطلقًا مع الجهد المبذول ، وخاصة في المجالات العلمية بالمعنى العام ومنها أيضًا النظر إلى الترجمة على أنها عمل علمي من الدرجة الثانية ، وعدم تقديره أو الاعتراف به عند تقويم صاحبه ، مع أن الترجمة عمل علمي راقٍ وتنطوي على جهد ومعاناة لا يعرفهما إلا من كابدها . وهي بهذا لا تغض من كرامة العالم ، وخاصة إذا كان يتخذ منها وسيلة لغاية نبيلة وهدف سامٍ هو توطنة أكناف العلم وتمهيد السبيل أمام وجود علوم عربية أصيلة ، وفي هذا الصدد ينطوي تعريب المصطلحات على جهد خاص وله قيمة خاصة .

ورغم هذا فإنني لا أدعو بطبيعة الحال إلى اعتبار الترجمة هي أساس التقويم ، ولكني أدعو إلى النظرة إلى الموضوع من زاوية الأهمية والجهد ، وإلى تقدير المترجمين ماديًا ومعنويًا حتى يقبل العلماء على الترجمة ولا ينصرفوا عنها .

وأختم حديثي عن الترجمة والمترجمين ببلورة بعض المقترحات :

١ - إذا كنا نريد حقًا اللحاق بركب التقدم العالمي فلا بد من وضع خطة للترجمة ؛ لأن الإنتاج الفكري العالمي من الضخامة بحيث لا يمكن مواجهته بالجهود الفردية .

٢ - من الضروري توجيه الاهتمام نحو إعداد المترجمين ، وهذا يتطلب :

(أ) إنشاء معاهد لتأهيل المترجمين .

(ب) الاهتمام بتعليم اللغة العربية واللغات الأجنبية ، حيث إن الترجمة تحتاج إلى تعلم اللغة العربية واللغة المترجم عنها .

(ج) أن يهتم العلماء بتوحيد المصطلحات وتعليمها للمترجمين حتى لا تستمر حالة الفوضى الحالية .

(د) أن يهتم العلماء بنشر تجاربهم في مجال الترجمة والتعريب لإثراء المجال وتشجيع الآخرين على الترجمة .

(هـ) إعادة النظر في القواميس اللغوية بحيث تدخل فيها الألفاظ والاستعمالات الحديثة التي تساعدهم في الترجمة .

(و) الاهتمام بوضع قواميس للمصطلحات في كل علم من العلوم تساعد المترجمين على سرعة الوصول إلى تعريب الألفاظ وتسهم في توحيد المفاهيم والمصطلحات .

(ز) تشجيع المترجمين ورفع قدرهم وتقدير رسالة الترجمة في تقدم العلوم ووضع أسس العلوم العربية في المجالات كافة .

المخطوطات العربية

تمثل المخطوطات العربية البعد الزمني للكتاب العربي ، فهي تشتمل على نتاج أكثر من اثني عشر قرناً ، وهي تضم ثمرة الحضارة العربية الإسلامية . وقد دخلت الطباعة إلى مصر ولبنان أولاً . ويمكن أن نعتبر تأسيس مطبعة بولاق في عهد محمد علي البداية الحقيقية لدخول الطباعة إلى الوطن العربي ، وإن تأخرت عن ذلك كثيرًا في معظم الدول العربية .

ويجب ألا ننظر إلى المخطوطات على أنها ماضٍ نعتز به فحسب ؛ بل إن لها أهميتها في الحاضر والمستقبل ؛ فالمخطوطات هي وعاء الفكر الإسلامي . وخلاصة الفكر الإسلامي أنه مستمد من الإسلام ، ولذلك فإنه يمثل شخصية الأمة الإسلامية ويحدد أهدافها ومبادئها . فإذا أردنا أن تكون لنا أهداف تمثل فكرنا وشخصيتنا فلا مفر من الرجوع إلى التراث المخطوط نجمعه وننشره ونستفيد مما فيه من كنوز فكرية هي أساس حضارتنا في الماضي والحاضر والمستقبل ، وتمثل الجانب الروحي من هذه الحضارة ، كما تمثل العلوم البحتة والتطبيقية الجانب المادي منها .

وهذا هو ما يميزنا عن الأمم الأخرى ؛ أن فكرنا مستمد من الإسلام ، وبالتالي فإن الذي اختار لنا أهدافنا وفكرنا ووظائفنا ودورنا في الحياة هو الخالق العظيم جلت قدرته ، لهذا يجب أن نتلمس رسالتنا في الحياة في تراثنا وألا نلتفت يمنة أو يسرة .

وقضية المخطوطات قضية كبرى تحتاج إلى معالجة مستقلة ، مثلها مثل كثير من القضايا التي وردت في هذه الصفحات ، ولكن قضية المخطوطات لها خصوصية ؛ لأن مشكلات المخطوطات مختلفة عن قضايا الحركة العلمية الأخرى .

ويكفي هنا أن نشير إلى أن الجهود التي تبذل لحصر المخطوطات وجمعها ونشرها وتحقيقها والاستفادة منها ، هذه الجهود على قيمتها وأهميتها لا تزال جهوداً محدودة جداً ، وإذا استمر الإيقاع على هذا النحو فنحن نحتاج إلى آلاف السنين لكي تحل هذه المشكلة . ولذلك فمن الضروري وضع خطة للعمل تشتمل على عناصر متعددة على تفصيل في ذلك لا يتسع المقام له (٧) .

النشر والطباعة والتوزيع

النشر رسالة وصناعة وتجارة . وتعني الرسالة أن للناشر رسالة علمية ، فعليه أن يبحث عن الأعمال الجيدة ، وأن يبحث عن المؤلفين الأفذاذ ، وأن يشجع المؤلفين الناشئين . بل إن رسالة الناشر تعني أن يفكر هو في المشروعات العلمية والأعمال والمراجع ذات القيمة العلمية وأن يتبناها ، ويقدم التسهيلات للمؤلفين حتى يتموها ، وينفق عليها خلال مدة إعدادها التي قد تطول دون انتظار للعائد السريع .

ورسالة الناشر تعني أيضاً أنه قد يتجه أحياناً إلى نشر أعمال علمية ذات قيمة حتى ولو كانت غير مربحة أحياناً . أي أن اهتمام الناشر برسالته قد تجعله يخسر أحياناً في سبيل نشر أعمال علمية محققة القيمة وغير مربحة من الناحية التجارية .

فإذا ما نظرنا إلى عالم النشر في وطننا العربي ، فسوف نجد أن الصورة مختلفة تماماً عما ذكرت . ويمكن أن نقسم الناشرين إلى قسمين : الناشرون التجاريون أو الأفراد أو القطاع الخاص ، والناشرون الحكوميون أو القطاع العام .

فإذا تناولنا الناشرين الأفراد ، فسوف نبحث دون جدوى عن وجود رسالة للنشر لديهم ، إذ أن نظرة هؤلاء الناشرين إلى النشر هي نظرة تجارية في الغالبية العظمى من الحالات ؛ فالغالب على الناشر في وطننا العربي هو جانب التجارة ولا يفكر كثيراً أو قليلاً في الرسالة ، فهو يجري وراء الكتب الرائجة تجارياً ، التي تحقق له أعلى ربح ممكن في أقل مدة ممكنة ، والكثيرون منهم تجار أخطأوا طريقهم إلى السلعة ، فبدلاً من أن يتاجر في أية سلعة أخرى اتجه إلى الكتاب .

والكتب الرائجة هي من خمس فئات ؛ الفئة الأولى : هي الكتب الدينية ، وهذه قيمتها ثابتة ولها جمهورها الثابت والمستمر ؛ لأن نسبة عالية من القراء متدينون . وهذه الكتب يطبع منها أعداد كبيرة جداً بالنسبة لغيرها من الكتب .

والفئة الثانية : هي كتب التراث ، سواء كانت كتباً دينية أو لغوية أو أدبية أو تاريخية أو نحوها . وهذه أيضاً لها جمهورها الثابت والمستمر وتطبع عدداً لا بأس به من النسخ وربما طبعت أكثر من طبعة .

والفئة الثالثة : هي كتب الساعة ، وهي الكتب التي تتناول قضايا جارية يهتم بها جمهور القراء ، وغالباً ما تكون قضايا سياسية أو مذكرات شخصية كتبتها شخصيات سياسية أو صحفية أو عسكرية لعبت دوراً في الحياة العامة . وهذه الكتب ليس لها قيمة دائمة مثل الكتب الدينية وكتب التراث ولكنها توزع عدداً كبيراً من النسخ ؛ لأن جانباً كبيراً من الجمهور العام يهتم بها . وقد كثرت هذه الكتب في العقدين الأخيرين وصدرت منها – ولا تزال تصدر – أعداد كبيرة ، وتبارى الناشرون في الجري وراءها حتى يحققوا لأنفسهم كسباً سريعاً .

والفئة الرابعة : هي القصص التي ينشرها كبار الروائيين ، وهذه أيضاً لها جمهور كبير ، وإن كان جانب كبير من القراء يحصلون عليها من المكتبات العامة .

أما الفئة الأخيرة – الخامسة – : فهي الكتب الدراسية ، وهي توزع عدداً كبيراً من النسخ كل سنة وخاصة في التخصصات ذات الأعداد الكبيرة وإن كانت قيمتها العلمية محدودة .

ويحاول كل ناشر أن يسند نفسه من خلال نشره كل سنة لعدد من الكتب من هذه الفئة أو تلك من الكتب الرائجة ؛ ولذلك فإن السؤال الأول الذي يسأله كثير من الناشرين إذا عرض عليه كتاب ينشره – هذا السؤال الأول هو أن يسأل المؤلف : كم تتوقع أن يوزع من هذا الكتاب ، هل هو كتاب دراسي ؟ ... إلخ .

ولسنا نريد أن نقسو على الناشرين ، وليس هدفنا مطلقاً نقدهم أو تجريحهم فهذا شيء لم يخطر بالبال ، وإنما هدفنا أسمى من ذلك بكثير : أن نشخص المشكلات التي يعاني منها العمل العلمي ، والنشر جزء مهم أو حلقة مهمة فيه .

والناشر على أية حال قد يكون معذوراً فهو لا يريد أن ينفق ماله في كتب يكدسها في مخازنه . ولكن كنا نريد منهم أن يعطوا شيئًا من الاهتمام لرسالة النشر ، وأن يقدموا إلى عالم النشر والكتاب أعمالاً علمية لها قيمة محققة ولكن ليس لها جمهور كبير .

وأنا أكتب هذا الكلام ويحضرني عدد قليل من الناشرين اهتموا برسالة النشر وقدموا أعمالاً علمية لها قيمة محققة دون أن ينظروا إلى العائد المادي . ويحضرني في هذا الصدد الناشر الذي اهتم بطبع كتب الجغرافي العربي العبقري الأصيل ، أستاذنا الدكتور جمال حمدان ، فقد استمر في طباعة كتبه حتى بعد أن ترك العمل في الجامعة ولكن وجود حالة أو حالتين لا ينفي القاعدة بل يثبتها .

وهذا ينقلنا إلى أهمية وجود الناشر الحكومي الكفء . والحق أن الكتاب ليس شيئًا عاديًا فهو غذاء العقل ، ومن ثم فهو أهم من الخبز للناس ، ثم إنه بالنسبة للأمة أفضل استثمار . فإذا كانت الدول النامية تدعم الخبز والسلع الاستهلاكية الأساسية ، فإن من الضروري أن تدعم الكتاب أيضًا . ويكون هذا الدعم في صور متعددة :

١ - تبني المشروعات العلمية الكبيرة ، مثل دوائر المعارف والقواميس وغيرها من الأعمال التي يحجم الناشرون الأفراد عن تبنيها ؛ لأنها تحتاج إلى وقت وجهد ومال ولا تحقق عائداً سريعًا . وهذه المشروعات العلمية تفتقر إليها المكتبة العربية بشدة ، وهي مسئولية الدولة ولا يقدر عليها الأفراد .

٢ - تبني الكتب العلمية الجيدة التي ليس لها جمهور كبير من القراء . أي أن يكون الناشر الحكومي ناشر من لا ناشر له ، وإلا فأين يذهب مؤلف جيد ليس لكتبه جمهور لأي سبب من الأسباب ؟

٣ - تبني قضية الترجمة ، وقد تحدثنا عن الترجمة بما فيه الكفاية .

٤ - تبني المؤلفين الناشئين . وهؤلاء هم كتاب المستقبل ومن واجب القطاع العام تشجيعهم حتى يقفوا على أقدامهم .

٥ - دعم سعر الكتاب ، فلعل من الأسباب التي تؤدي إلى عزوف الكثيرين عن القراءة أن أسعار الكتب غالية ، وهي تفوق القدرة المالية لمعظم الناس . وهنا يجب على الدولة أن تدعم سعر الكتاب حتى يصدر بسعر يكون في متناول الجميع .

ومما يؤدي إلى غلاء الأسعار أن مواد صناعة الكتاب من آلات طباعة وأوراق وأحبار وغيرها تخضع للضرائب في بعض الدول ، فالكتاب يعامل في هذه الحالة مثله مثل أية سلعة أخرى : مصدر دخل للدولة . ويمكن أن يتمثل دعم الدولة للكتاب في هذا الجانب في إعفاء الكتاب من أية رسوم حتى بالنسبة للناشرين الأفراد حتى تشجعهم على النشر وتمكنهم من خفض سعر الكتاب .

تلكم هي رسالة الناشر الحكومي ، فكيف الحال في وطننا العربي الحبيب . الواقع أن الناشر الحكومي لا يوجد أصلاً في بعض البلاد العربية ، وإن وجد فهو لا يؤدي رسالته بالصورة التي ننتظرها ، ومن أبرز عيوب الناشر الحكومي أن الأهواء قد تتدخل في بعض الأحيان لإجازة كتاب أو عدم إجازته . ومن المشكلات أيضًا تفشي البيروقراطية وتأخير ظهور الكتب . ولا بأس هنا من أن أروي تجربة شخصية ولكنها ذات دلالة عامة . فقد كتبت في أحد الكتب التي ترجمتها ، وهو من أهم الكتب في مجاله (٨) ، كتبت ما يأتي :

«ولم تكن ترجمة الكتاب بالأمر السهل ، فهو - كما سنرى - كتاب صعب ومركز ، وهو يضم عدداً كبيراً من المصطلحات العلمية والفلسفية التي تتطلب ترجمتها جهداً مضنيًا ، كما استلزم الرجوع إلى الترجمات والتعريفات التي توصل إليها الفلاسفة والمناطقة العرب - قدماء ومحدثين - في مظانها حتى تجيء على وجه الدقة والأمانة».

«وبعد جهد وعناء تمت الترجمة لتبدأ قصة نشر الكتاب . وليس بوسعي أن أحكي الآن تفاصيل هذه القصة ، فلم يحن الوقت بعد لذلك . ولست أشك في أن الكثيرين قد مروا بتجربة مشابهة» .

أريد فقط أن أقول إن هذه القصة تمثل مأساة الكتاب المصري في حقبة من الزمان ومعه مأساة العمل العلمي ، فكل الظروف تقول لك : لا تكتب ، لا تؤلف ، لا تترجم ، لا تعمل ، كلها ظروف تنفرك من بذل الجهد . ويكفي أن أقول في هذا الصدد إن هذا الكتاب قد استغرقت ترجمته ثلاثة شهور ، واستغرق نشره ثماني

سنوات ، وأنه دخل المطبعة وخرج عدة مرات ، وأنه قد أنفق عليه لكي ينشر أضعاف ما أنفق عليه من الوقت لكي يترجم ، بين دهاليز الموظفين وجبابرة المكاتب كما يسميهم الدكتور حسين مؤنس .»

وهذا الكتاب بما تعرض له من معوقات نموذج ممتاز لما يمكن أن يواجه الكتاب العربي في عالم النشر ولذلك فإنني ذكرته هنا كمثال وليس كحكاية شخصية . والجزء الذي حكيته من القصة كان مع ناشر حكومي . وبقية قصة الكتاب مع ناشر تجاري .

والحق أقول إن تجاربي مع النشر والناشرين تحتاج إلى حيز أوسع بكثير وقد يأتي يوم من الأيام تكتب فيه هذه التجارب بالتفصيل أما الآن فتكفي الإشارة .

وخلاصة القول إن الناشر الحكومي ليس في كثير من الحالات أفضل من الناشر الفرد ؛ بل قد يكون الأخير في بعض الحالات - إذا تجاوزنا عن قضية المال - أسرع حسمًا ، ولذلك قد يشجع هذا المؤلفين على الاتجاه إلى الناشر الفرد .

ومن العوامل التي تعوق تداول الكتاب العربي وتدفقه وانسيابه - إضافة إلى ما ذكرت - عدم وجود شبكات المكتبات العامة في كثير من الدول العربية .

ولا نقصد بشبكات المكتبات العامة وجود عدد من المكتبات العامة في أي قطر من الأقطار دون وجود خطة شاملة ؛ بل نقصد وجود شبكات توفر الحد الأدنى من الخدمة المكتبية لكل فرد في الدولة . هذه المكتبات العامة لها وظائف متعددة ، ونخص منها هنا وظيفتين أساسيتين : التثقيف والتعليم ؛ تثقيف جموع الشعب ، فهي جامعات حرة تؤدي دورها في تثقيف وتعليم جموع الشعب دون أي قيد من سن أو جنس أو لون أو دين .

ثم دورها في تعليم الكبار ؛ والكبار هم الذين فاتهم سن التعليم النظامي أو وقفوا فيه عند حد محو الأمية ، ويريدون استكمال تعليمهم . والمكتبات العامة لها دور مهم في تعليم هؤلاء الكبار من خلال برامج وكتب توضع خصيصًا لذلك .

نقول إن المكتبات العامة لها دور كبير في انسياب الكتاب فهي قاعدة قرائية كبيرة ، ومن ثم فهي يمكن أن تشتري عددًا كبيرًا من نسخ الكتاب الذي تختاره وتسهم في توزيعه لمصلحة الناشر والمؤلف وفي هذا تشجيع لهما .

ومن العوامل التي تعوق تدفق الكتب وانسيابها ضعف العلاقات الثقافية بين أجزاء من الوطن العربي ، وخاصة بين المشرق والمغرب . وثمة حادثة لها دلالة ، فقد كنت في سنة ١٩٧٦م أقوم بجولة علمية موفدًا من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للإشراف على تنفيذ أحد المشروعات العلمية الكبرى لتلك المنظمة ، والتفاهم حول كيفية العمل والتنفيذ . وحينما كنت بالمغرب عقدت اجتماعًا مع محافظ دار الكتب الوطنية بالرباط . وقد حملني رسالة شفوية إلى شيخ الأزهر في مصر آنذاك . وكان شيخ الأزهر قد زارهم قبل أن أصل إليهم بمدة وجيزة . وقد طلب مني المحافظ أن أُذكِّر شيخ الأزهر بأن يرسل مطبوعات الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية إلى دار الكتب الوطنية بالرباط ، وكان مما قاله : إن الكتب كانت تصل من مصر إلى المغرب في عهد المخطوطات وأيام كانت تنقل على الجمال أسرع مما تصل الآن في عصر الطباعة والطائرات والاتصالات !!

وإذا كنت قد أعطيت هذا المثال وذكرت هذه الواقعة فلأنها تدل دلالة كبيرة على ضعف العلاقات بين المشرق والمغرب . وهناك حقيقة يعرفها العاملون في أقسام التزويد بالمكتبات العربية ، وهي أنهم لا يعانون كثيرًا مع الكتاب الأجنبي ولكن معاناتهم مع كلها الكتاب العربي في كل مراحله .

ثم نأتي إلى آفة أخرى من آفات النشر في وطننا العربي ، وهي ظاهرة التزوير ؛ وهو يعني تصوير الكتب وبيعها دون إذن من الناشر أو المؤلف . وهذه الآفة عار على عالم النشر في بلادنا ؛ لأنها ظاهرة غير أخلاقية . لقد عرف عالم الفكر ما يعرف بظاهرة السرقات الأدبية Plagiarism . فكان الشاعر يأخذ بيتا أو أكثر أو يسرق معنى بيت من الشعر أو أكثر . وهذه قصص مشهورة في التراث العربي .

ثم عرف عالم الكتب ظاهرة الاقتباس ، ووضعت ضوابط وأصول للاقتباس . أما الآن فإن عالم الكتاب عندنا قد عرف ظاهرتين جديدتين :

اقتباس عمل بأكمله وتضمينه عملاً آخر دون ذكر الأصل مطلقًا ؛ أو تصوير كتب بأكملها وبيعها دون إذن

الناشر أو المؤلف . وفي هذا ما فيه من افتئات على حقوق الاثنين المادية والأدبية .

والمشكلة هي أنك لا تستطيع الرجوع على المزور ؛ لأنه قد يكون في قطر آخر وليس هناك قضاء تلجأ إليه . وقد كان من الممكن حل هذه المشكلة لو وجدت اتحادات حقيقية للناشرين ، ولكن هذه الاتحادات غير موجودة أحيانًا وغير فعالة أحيانًا أخرى . نحن في حاجة إلى مواثيق أخلاقية تضع الأسس لأخلاقيات مهنة النشر لمنع مثل هذه الأعمال .

ونصل في نهاية المطاف مع النشر والطباعة إلى أن الكتاب العربي أيضًا هو دون مستوى الكتاب الأجنبي في الطباعة والتجليد مع أن تقديم المعلومات في وعاء جيد يشجع على القراءة .

القراءة

إن الحلقة الأخيرة في الدورة هي مرحلة القراءة وقبل أن تبدأ دورة جديدة . والقراءة هي الهدف النهائي للتأليف والصناعة ، ... إلخ . فالمؤلف لديه رسالة معلوماتية يريد أن يوصلها إلى القارئ . وكل المراحل التي تقف بين هاتين النقطتين هي وسائل لتحقيق غاية هي القراءة . ومالم يصل الكتاب إلى القارئ فإنه لا يكون أدى رسالته .

وتصل الكتب إلى القـراء عن طريقين : عن طريق الشراء ، وعن طريق المكتبات . والنقطة الأولى تتعلق بتسويق الكتاب أو توزيعه وهي حلقة مكملة للنشر والطباعة . وهذه تتطلب الإعلان عن الكتاب في مكان الطلب عليه حتى يصل إلى القارئ وحينئذٍ يكون أدى رسالته .

والطريق الثاني هو طريق المكتبات . والمكتبات ومراكز المعلومات تشتري الكتب وغيرها من المواد وتقوم بتنظيمها وتقديمها للمستفيدين وهم جمهور القراء ، وعلى اختلاف في ذلك بين أنواع المكتبات : الوطنية والعامة والمدرسية والجامعية والمتخصصة . وقد ذكرنا منذ البداية أننا لن نتعمق في تفاصيل الإجراءات الفنية للمكتبات وأننا سوف نمس الجوانب التي لها علاقة بالبحث والقراءة فقط ، وأشرنا إلى أن القصور يشمل جميع جوانب المكتبات من المباني إلى القراءة والخدمات الببليوجرافية . ذكرنا ذلك عند حديثنا عن معوقات العمل العلمي ، ولا شك أن معوقات العمل العلمي هي معوقات للقراءة .

ولنا بعد كل هذا أن نسأل السؤال المهم :

هل نحن مجتمع قارئ ؟

ولا شك أن قارئ هذه الصفحات يعرف الإجابة !! فهل ننتظر من مجتمع يكتنف العمل العلمي فيه كل هذه العوائق ، ويؤثر على الكتاب والقارئ فيه كل هذه المؤثرات السلبية ، هل ننتظر منه أن يكون مجتمعًا قارئًا . أظن أن الإجابة معروفة .

إن المعوقات السابقة جميعًا قد أدت إلى أن يتشكل فكر المجتمع تشكيلاً معاكسًا للقراءة بحيث إنها في الأعم الأغلب لا تشكل جزءاً من الاهتمامات الأساسية للفرد أو وسيلة من وسائل قضاء وقت الفراغ ، وإنما اتجه أفراد المجتمع إلى وسائل أخرى .

والقراءة – علاوة على كل ما ذكر – تواجه منافسة شرسة من الوسائل الأخرى للتثقيف ، ومن الوسائل الأخرى لقضاء وقت الفراغ ، مثل الإذاعة والتلفزيون والصحافة وغيرها من الوسائل .

هذه الوسائل توجد في الدول المتقدمة إلى جانب الكتاب أيضًا ، ولكن الكتاب يأخذ مكانه الطبيعي بينها . فقد ظهر التلفزيون مثلاً في الدول المتقدمة بعد أن استقرت عادات وتقاليد هذه الدول واستقرت عادات القراءة والبحث والتثقيف فيها ، فكان ظهور التلفزيون طبيعيًا ووجد جنبًا إلى جنب مع الكتاب والمجلة .

أما في بلادنا العربية فقد ظهر التلفزيون مواكبًا لحركة التعليم في كثير من البلاد ، فما كادت هذه الدول تخطو خطواتها الأولى في التعليم والعلم ، وقبل أن يبدأ الأفراد في تكوين عادات القراءة – حتى داهمهم التلفزيون بضجيجه ، فكان الاختيار أمامهم سهلاً حيث إن الكثيرين منهم لم يكونوا قد وصلوا بعد إلى درجة النضج . ولذلك كانت المنافسة غير متكافئة ، فلم يحدث التوازن الذي نجده في الدول المتقدمة .

خاتمة

إن الصورة التي رسمها هذا البحث هي صورة قاتمة إلى حد كبير ، والحقيقة أنني لم أعد بغير الحديث عن الهموم والمشكلات والمعاناة .

والآن هل من سبيل إلى الحل ؟ هل هناك أمل ؟ ؛

الحقيقة أنه لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس ، ومادامت هناك حياة فهناك أمل . ولكن كيف السبيل إلى الحل ، هذا هو السؤال المهم والملح بعد أن طوفنا بالهموم والمشكلات ، ونقول بداية : بضدها تتميز الأشياء ، وأول طريق الشفاء هو تشخيص الداء ، وما دمنا قد عرفنا العوائق والمشكلات فإن حل المشكلات يكون بإزالة العوائق . وهذا كلام جميل ولكنه لا يقدم الحل العملي للمشكلات .

وليس من السهل أن نقدم الحل لأدوائنا في وصفة طبيب وفي كلمات عجلى . فالمشكلات التي تعرضنا لها مشكلات قرون طويلة وآفات أزمان مديدة ، وعقد تكونت في كل مجال من مجالات الحياة .

ويحتاج حل هذه المشكلات إلى أن يجتمع أهل كل علم أو مجال ويحددوا المشكلات ويضعوا الحلول ويبدأوا في التنفيذ .

ولكن هناك أمورًا عامة تضعنا على بداية الطريق . وأول هذه الأمور بلورة فكر الأمة وأهدافها ورسالتها في الحياة ، ثم تحويل هذا الفكر وهذه الأهداف إلى استراتيجيات ووظائف يعهد بها إلى المؤسسات التعليمية والعلمية والإعلامية ومؤسسات المعلومات لتنفيذها .

وفكر الأمة الإسلامية وأهدافها ورسالتها صاغها لنا الحق تبارك وتعالى حيث يقول :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ .

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ .

وإذا كانت الشعوب التي يقال عنها متقدمة قد وضعت فكرها وصاغت أهدافها ورسالتها بمعايير البشر ، فإننا خير أمة أخرجت للناس ليس بمعايير البشر ولا بمعايير القوة في عالم اليوم ، ولكن بقول الحق تبارك وتعالى الذي إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون ، فهل ننهض بهذا الدور ونكون جديرين بفضل الله سبحانه وتعالى .

إن تحديد الدور يجب أن يسبق أي شيء آخر حتى لا نخبط خبط عشواء ونضل الطريق ، فنكون في أحسن الأحوال تابعين لهذه المدرسة أو تلك من المدارس مع أن فكرنا خير فكر لأننا خير أمة أخرجت للناس .

يجب إذن أن نحدد ما الذي يجب أن يكون عليه عناصر الفكر الإسلامي وعناصر الثقافة الإسلامية ، وهذا سوف يحدد لنا الطريق الذي يجب أن نسير فيه لبعث الفكر الإسلامي الحق وإعادة المسلمين إلى عناصر قوتهم ليعودوا كما كانوا عليه من قوة وعزة ومنعة وتقدم وازدهار وليقودوا العالم كما قادوه بالأمس ، فهذه هي رسالة الأمة الإسلامية ، تصديقًا لكلام المولى جلت قدرته .

فإذا نظرنا إلى ما نحن عليه الآن وما يجب أن نكون عليه لوجدنا البون شاسعًا والشقة بعيدة والفجوة هائلة : أمة أراد لها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، هي ما هي عليه الآن من تخلف وتبعية وتشتت وانقسام .

نحن نحتاج إذن إلى أن نحدد أولاً ملامح الفكر الإسلامي الحق ، وملامح الشخصية الإسلامية والثقافة الإسلامية الأصيلة ، وأن نميز الأصيل من الدخيل ، والثمين من الزائف . وهذا يحتاج منا إلى الرجوع إلى ينابيع الفكر الإسلامي الحق ، ثم نعرض عليه مصادر الثقافة المعاصرة ومكوناتها لنميز الخبيث من الطيب ونأخذ ما يتسق معه ونلفظ ما عداه .

وبعد صياغة الفكر وتحديد الأهداف فإن الحل يبدأ بإصلاح التعليم ومعه المكتبات ، ومن هنا تأتي أهمية المكتبات المدرسية لأننا يجب أن نبدأ بتعليم الطفل العربي المسلم لإعادة تجديد الفكر وبناء الإنسان .

والله سبحانه من وراء القصد وهو ولي كل نعمة وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الهوامش

* موضوع محاضرة ألقيت بالكويت في ١٣ / ١١ / ١٩٨٩ .

(١) أثناء إعداد نص هذا البحث نشر في جريدة الوطن بالكويت بتاريخ ١٦/٥/١٩٩٠م أن دراسة صادرة عن منتدى الفكر العربي بعمان حول مستقبل التعليم بالوطن العربي . كشفت عن أن نسبة الأمية ماتزال تشكل ٥٠٪ بالوطن العربي ، كما أوردت الدراسة أن عدد الأميين يتزايد إذا أضيف إليهم نسبة ١٠٪ يصنفون على أنهم يلمون بالقراءة والكتابة ، ولكن هذا

لا يعني سيطرتهم على مهارات القراءة والكتابة .

(2) Donald Davison , Bibliographic Control . 2nd ed. , 1981 . p. 7 - 8 .

(٣) كلمة تقانة هنا تقابل كلمة Technology ومنها تقانية أي تكنولوجية . وقد درج الكتاب والمتحدثون على أن يستعملوا كلمة تقنية أو كلمة تكنولوجيا . وكنت أفعل ذلك أيضًا حتى سمعت حديثًا للشيخ علي الطنطاوي في تلفزيون الرياض ذكر فيه كلمة تقانة كمقابل بدلا من كلمة تقنية ، وهي على وزن صناعة ، وأقنعني هذا الشرح وأعجبني هذا الاشتقاق واستخدمتها لأول مرة في كتاب ترجمته وقت أن كنت أعمل بالرياض وهو : تنظيم المعلومات في المكتبات ومراكز التوثيق ، وجاءت الكلمة في عنوان الفصل الحادي والعشرين وهو عن لغات التكشيف في العلم والتقانة وقد صدر عن دار العلوم بالرياض سنة ١٩٨١م .

(٤) علي سامي النشار . مناهج البحث عند مفكري الإسلام . الإسكندرية : دار المعارف ، ١٩٦٥م .

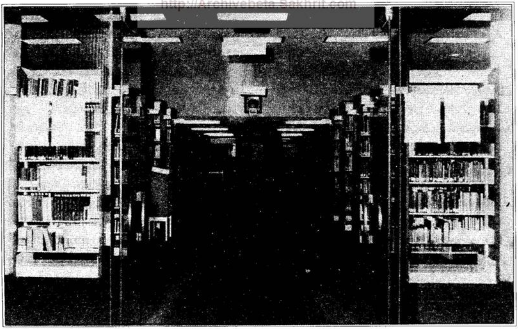
(٥) عبدالحليم منتصر . تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، ط٥ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٣م .

(٦) اعتمدنا في هذه الإحصاءات وغيرها على المصدر التالي :

Donald Davinson , Bibliographic Control , 2nd ed . London : Clive Bingley , 1981 .

(٧) إذا كان المجال لم يسمح بتناول قضية المخطوطات بالتفصيل ، ومعها قضية الأصالة والمعاصرة وغيرها من الأمور ، فإنني أحيل القارئ إلى بحث نشر في مجلة الدارة بالرياض ، وأعيد نشره مع مجموعة أبحاث في كتابنا : بحوث في المكتبة العربية الكويت : دار القلم ، ١٩٨٥م ، وهو بعنوان : قضية التراث . كما أن البحث الأول في الكتاب المذكور ، وهو بعنوان : الخدمات المكتبية للطفل العربي وسبل تطويرها ، يتناول فكر الأمة الإسلامية ورسالتها بتفصيل أوفى .

(٨) الفهرس المصنف : أسسه وتطبيقاته ، تأليف جيس شيرا ، مرجريت إيجان ؛ ترجمة عبدالوهاب أبو النور. جدة : شركة مكتبات عكاظ ، ١٩٨٣م . والقصة لم تنته عند ما كتبته هنا فلها بقية في مقدمة الكتاب .



المراجع الفقهية والتاريخية للنقود الإسلامية

محمد علي حسين الحريري

ثانوية حفار - الليث - السعودية

تعدّ المؤلفات الإسلامية في مجال النقود قليلة جدًا إذا ما قورنت بتلك الثروة الفقهية الضخمة التي تركها علماؤنا في القرون السالفة لا سيما وأن موضوع النقود الإسلامية يشكل فرعًا كبيرًا من دراسات الاقتصاد الإسلامي الذي ازدهرت حركته الفكرية في الربع الأخير من القرن العشرين ، وسأحاول الإلمام الموجز بما جمعته من هذه المؤلفات في هذه الصفحات وأول ما يطرق سمع الباحث وبصره ذلك الكتاب الذي فرض نفسه على الباحثين في مجال النقود الإسلامية ويعد الكتاب الأول في هذا المجال ألا وهو :

١ - [النقود العربية والإسلامية وعلم النميات] الذي جمعه راهب من الآباء الكرمليين في بغداد وهو - أنستاس ماري الكرملي - عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة وهو أحد كبار الباحثين في التراث العربي الإسلامي ، وقد طبع كتابه في القاهرة عام ١٩٣٩م ثم طبع في الستينيات في بيروت بعناية الناشر محمد أمين دمج ، ولعل آخر طبعاته عام ١٩٨٧م نشرتها مكتبة الثقافة الدينية في القاهرة .

ويتضمن هذا الكتاب عدة رسائل في النقود هي:

أولاً : ما كتبه البلاذري في فتوح البلدان عن النقود الإسلامية .

ثانياً : رسالة (في النقود الإسلامية) للمقريزي صاحب الخطط وكان قد طبعها أحمد فارس الشدياق في مطبعة الجوائب ونشرت في الإسكندرية عام ١٩٣٣م ثم نشرها أحد أعيان النجف عام ١٩٣٨م ، واسم الكتاب في الواقع [شذور العقود في ذكر النقود] وطبع ثانية عام ١٩٦٧م .

ثالثاً : الجزء العشرون من (الخطط التوفيقية الجديدة) لعلي باشا مبارك الذي حاول استقصاء النقود الإسلامية منذ صدر الإسلام حتى عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م .

رابعاً : ما ورد في مقدمة ابن خلدون حول النقود والسكة كوظيفة من اختصاص خليفة المسلمين .

خامساً : رسالة القلقشندي في الدنانير المسكوكة في دار الضرب المصرية ، وقد توفي القلقشندي عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م .

سادساً : رسالة مصطفى الذهبي الشافعي في [تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال] وبيان النقود المتداولة بمصر في عهد المؤلف .

وقد جمع الكرملي هذه الكتب الستة وأضاف إليها من جهده الخاص في علم النميات من الناحية الأثرية والتاريخية فجاء الكتاب سفرًا تاريخيًا جامعًا لأهم الرسائل في الموضوع مع الإشارة إلى بعض المعلومات التاريخية دون أية صلة لها بالتاريخ الاقتصادي والسياسي للدولة الإسلامية .

ولم يخل الكتاب من بعض الأوهام والأخطاء استدركها عليه [يعقوب سركيس] في مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ١ / ٢٦٧ عام ١٩٥٠م في نقده للكتاب المذكور ، ومن ذلك قول الكرملي - إن الخيرية - أول نقد عثماني مضروب والصحيح أنها ضربت في عهد السلطان محمود الثاني [١٢٢٣ - ١٢٣٥هـ / ١٨٠٨ - ١٨٣٩م] .

٢ - (النقود العربية ماضيها وحاضرها) لمؤلفه عبدالرحمن فهمي محمد ، وكان - رحمه الله - أميناً للمتحف الإسلامي في القاهرة وكان بحكم عمله هذا مطلعاً على تطور النقود الإسلامية ومعايشاً للمحفوظ منها في المتاحف ، وقد قصر كتابه على النقود المتداولة في مصر عبر التاريخ وتوسع قليلاً في موضوع تعريب النقود الذي قام به الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان ٧٦هـ ثم استعرض النقود الأموية والعباسية والطولونية والفاطمية والأيوبية والمملوكية والصليبية والعثمانية وتوسع في عرض النقود خلال عصر أسرة محمد علي باشا والنقود المصرية بعد ثورة ١٩٥٢م . وطبع الكتاب ضمن سلسلة الألف كتاب المصرية بإشراف وزارة الثقافة المصرية ، وقد صدر الكتاب في طبعة مصورة عن المكتبة الفيصلية في مكة المكرمة .

٣ - (الوحدات النقدية المملوكية) لسامح عبدالرحمن فهمي محمد وهو ابن المؤلف السابق وتناول في كتابه نقود المماليك البحرية منذ الظاهر بيبرس وحتى نهاية دولة المماليك البحرية وقد نشرته مؤسسة تهامة في سلسلة - الكتاب الجامعي - عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٤ - (الإسلام والنقود) - لرفيق المصري :

أصل هذا الكتاب بحث مقدم لندوة اقتصاديات النقود والمالية في الإسلام المنعقدة في مكة المكرمة عام ١٣٩٨هـ ثم طبع على آلة السحب بمؤازرة المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي في جدة ثم صدر بطبعة أنيقة عن مركز النشر العلمي في جامعة الملك عبدالعزيز مزوداً بفهارس بالمصطلحات النقدية المستخدمة وإضافة أفكار جديدة لبعض العلماء المسلمين الباحثين في مجال الاقتصاد ممن لم تتناولهم الطبعة الأولى . ويتحدث الكتاب عموماً عن وظائف النقود في المجتمع وقواعد السلوك النقدي للفرد والمجتمع ونظرية النقود عند قدامة بن جعفر والماوردي والراغب الأصفهاني والغزالي وأبي الفضل الدمشقي وغيرهم من علمائنا الكبار حتى عصر ابن عابدين - رحمه الله - .

ومؤلف الكتاب أحد كبار الاقتصاديين المعاصرين الذين يمكن الوثوق بآرائهم الفقهية والاقتصادية ، فالدراسات التي أصدرها رفيق المصري في مجال الاقتصاد الإسلامي تعدّ بحق إنجازاً علمياً فريداً وثروة فقهية ضخمة بدءاً من رسالته للدكتوراه في فرنسا - بعنوان - (مصرف التنمية الإسلامي) مروراً بأبحاثه في [الاقتصاد الإسلامي - البيع بالتقسيط - ربا القرض - الإسلام والنقود] .

٥ - [الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية] لمحمد ضياء الدين الريس :

تحدث هذا الكتاب عن النظم المالية للفرس والرومان والنظم المالية التي جاء بها الإسلام وتوسع في الحديث عن مالية الدولة الأموية وإصلاح عبدالملك ابن مروان للنظام النقدي الإسلامي الذي طبق السنة النبوية في تحديد المقادير الشرعية المرتبطة بهوية الدولة الإسلامية وتحدث بالتفصيل عن المقاييس والموازين والنقود ومقاديرها الشرعية كما بحث في نظام المال في الدولة العباسية ، وتناول بالتفصيل قوائم الخراج وميزانية الدولة وأعطى المقادير الشرعية ما يقابلها من الأوزان المعاصرة ، ويعد الكتاب من أهم المراجع التي تناولت التاريخ الاقتصادي للدولة الإسلامية ، ويعد الفصل الخاص بالأوزان والنقود من أدق المصادر العلمية في هذا الباب وقد استفاد منه أكثر الباحثين بعده في مجال النقود حتى أن الدكتور صبحي الصالح - رحمه الله - أخذ كامل الفصل في كتابه عن النظم الإسلامية من هذا الكتاب .

٦ - [تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي] لحسان علي حلاق . دار الكتاب اللبناني :

طبع هذا الكتاب أول مرة عام ١٩٨٠م وطبع ثانية عام ١٩٨٦م ، ويتحدث الكتاب عن تاريخ الدينار والدرهم والفلس في تاريخ النقود الإسلامية ومراحل تعريب النقود الإسلامية بوضع الأساس النظري لهذا التعريب في عهد النبوة إلى تطبيق ذلك عملياً في عهد عبدالملك الذي أعطى دولته الصبغة العربية إثر خلافه مع جستنيان الثاني الذي كان مصدر النقد الذهبي المتداول في البلاد الإسلامية وقد استفاد من كتاب ضياء الدين الريس كما عرض

لكثير من الروايات التاريخية التي تناولت عمل عبدالملك في تعريب النقود .

٧ - [الإيضاح والتبيان في المكيال والميزان] لابن الرفعة الدمشقي :

مؤلف هذا الكتاب فقيه شافعي كبير تناول في كتابه المقادير الشرعية مفصلاً القول في الدينار والدرهم وأجزائهما وأصنافهما في الجاهلية والإسلام وقد ازداد الكتاب إشراقًا بتحقيق محمد خاروف الذي اعتنى بالكتاب ، ونشره مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي بجامعة أم القرى في مكة المكرمة .

٨ - [الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة] لأبي الحسن علي بن يوسف الحكيم :

وقد نشره حسين مؤنس عن نسخة خطية وحيدة في معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ورثها المعهد من تركة المستشرق - ليفي بروفنسال - ونشر الكتاب في مجلة المعهد أولاً ثم أصدره المحقق في كتاب مستقل . ويعد الكتاب مرجعاً مهماً للسكة المغربية ، وقد أشار إليه باهتمام عبدالحي الكتاني في [التراتيب الإدارية] وقد عاصر المؤلف دولة بني مرين وكان جده أميناً لدار السكة عام ٦٧٤هـ / ١٢٦٧م ويتألف الكتاب من عشرة فصول تناول فيها النقود الذهبية والفضية لغويًا وجغرافيًا وفقهيًا ، وتحدث عن مقاديرها الشرعية ومقادير الزكاة الواجبة فيها وطرق ضربها وصناعتها في دار السكة وتحدث عن غش النقود وتزويرها وقطع أطرافها والحكم الشرعي لهذا الفساد وما يترتب عليه من خلل في الحياة النقدية .

٩ - [كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية] - لمنصور بن بعرة الذهبي الكاملي :

ألف هذا الكتاب عام ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م ، ويشرح الكتاب عملية صناعة النقود في عهد الدولة العثمانية وتخليص الذهب والفضة وتنقيتهما وسك العملة وأوزانها وقد نشر الكتاب بتحقيق عبدالرحمن فهمي - وصدر عن دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة عام ١٩٦٦م ، كما صدر ثانية بتحقيق حسين مؤنس كما أشار إلى ذلك في تقديمه لتحقيق الدوحة المشتبكة .

١٠ - [النقود والمكاييل والموازين] لمحمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين المتوفى عام ١٠٣١هـ ونشر الكتاب بتحقيق - رجاء السامرائي - مطبعة الحرية ببغداد عام ١٩٨١م .

١١ - وهناك عدة رسائل صغيرة تناولت موضوع النقود الإسلامية لابد من الإشارة إليها بذكرها على عجل وهي مما جمعته في البحث عن كتب النقود الإسلامية :

أ - رسالة في النقود أملاها الحسن بن علي بن محمد بن عبدالملك القطان المتوفى عام ٦٤٧هـ .

ب - إثبات ما لابد لمريد الوقوف على الدينار والدرهم والمد - لأبي العباس أحمد بن محمد العزفي أشار إليه الكتاني في التراتيب الإدارية والكتاب موجود في المكتبة المحمودية في المدينة المنورة .

ج - غاية المقصود لمن يتعاطى النقود - لأحمد بن عمر الديربي الغنيمي ، وطبع هذا الكتيب عام ١٢٩٧هـ و ١٣٠٣هـ .

د - تاريخ النقود الإسلامية - لمحمد بخيت المطيعي وقد أشار إليه في تتمة المجموع شرح المهذب للشيرازي ج ١٤/ ٦٣٦ .

هـ - ذكر الدينار والدرهم والنقود في عصر النبوة - في كتاب التراتيب الإدارية للكتاني وفي أصله [تخريج الدلالات السمعية] للخزاعي التلمساني.

و - بحث الدينار والدرهم والنقود الإسلامية في معالم السنن للخطابي شارح سنن أبي داود في أول كتاب البيوع وقد اقتبس النووي هذا البحث كاملاً في أول كتاب البيوع ج ٦ ص١ - ١٦ من المجموع شرح المهذب .

ز - صنج السكة في فجر الإسلام - لعبدالرحمن فهمي محمد .

ح - موسوعة النقود الإسلامية في فجر الإسلام - لعبدالرحمن فهمي محمد . وقد طبع هذا الكتاب في مصر عام ١٩٦٥م .

ط - المحاسن والمساوئ للبيهقي - وقد تضمن جزؤه الثاني بحثًا طويلاً عن النقود الأموية .

ي – النقود الفاطمية في مصر – لعبدالمنعم ماجد، وقد نشر في حوليات كلية الآداب بجامعة الإسكندرية – مجلد ٢٠ ص ٢٢٣ – ٢٢٨ .

ك – إقناع النفوس بإلحاق أوراق الأنوات بعملة الفلوس – لأحمد الخطيب ، وقد طبع هذا الكتاب ببيروت عام [١٣٣٠هـ / ١٩١١م] .

ل – رسالة في النقود الإسلامية للمستشرق [م – دوساسي] .

١٢ – [الدرهم والدينار الإسلامي في المتحف العراقي] – لناصر الدين النقشبندي ، يتحدث هذا الكتاب عن المقدار الشرعي للدرهم والدينار الإسلامي ووصف أثري تاريخي للنسخ الأصلية للنقود الإسلامية الموجودة في المتحف العراقي وقد طبع هذا الكتاب بعناية المجمع العلمي العراقي عام ١٩٥٣م – وعام ١٩٧٠م . وقد رأيته في مكتبة الحرم المدني في المدينة المنورة .

١٣ ، ١٤ – [العملة الإسلامية في العهد الأتابكي] . [تطور النقود العربية والإسلامية] لمؤلفهما الأستاذ الدكتور محمد باقر الحسيني ، وقد صدر الكتاب الأول عن دار الجاحظ ببغداد عام ١٩٦٦م كما صدر الكتاب الثاني عن دار الجاحظ أيضاً عام ١٩٦٩م .

وللحسيني بحث قيم عن دينار عباسي نادر يمثل استقلال الخلافة العباسية السياسي والنقدي نشر في مجلة المورد العراقية مجلد ٣ – عدد ١ عام ١٩٧٤م .

١٥ – [النقود الإسلامية القديمة] للمقريزي نشر محققاً بعناية محمد رأفت النبراوي، ونشر في مجلة العصور الصادرة في الرياض عن دار المريخ في مجلة ٣ – ج١ واستغرق الصفحات [١١٧ – ١٤٧] .

١٦ – أصدر البنك العربي المحدود – في الأردن – تصنيفاً رائعاً للنقود الإسلامية عبر التاريخ بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيسه ، واعتمد البنك في ذلك على مجموعة النقود المحفوظة في متحف دمشق الوطني وبمساعدة عفيف بهنسي مدير الآثار والمتاحف السورية .

١٧ – [النقود الإسلامية في فلسطين] لمؤلفه سمير شما، وهو باحث وهاو في مجال النقود التاريخية وقد كتب فصلاً رائعاً عن الإصلاح النقدي للخليفة المأمون العباسي وقد تصفحته في مكتبة الحرم المكي .

١٨ – ولمحمد أبو الفرج العش – محافظ المتحف الوطني بدمشق ثلاثة كتب عن النقود الإسلامية وهي :

[كنز دمشق الفضي] [كنز أم حجرة الفضي] [دمشق على النقود العربية والإسلامية] وكتب بحثاً واسعاً عن التعريب الأموي للنقود نشر في كتاب ندوة أبحاث تاريخ بلاد الشام الذي انعقد في الأردن عام ١٩٧٤م .

وهناك كتب أخرى متفرقة تعرضت لتاريخ سك النقود ولكنها وضعت في الأصل لمعالجة قضية معينة واحدة من فقه النقود وأخص منها بالذكر الكتب التالية :

١٩ – [قطع المجادلة عند تغيير المعاملة] – للسيوطي وهي موجودة ضمن رسائل السيوطي التي يضمها كتابه [الحاوي للفتاوي] وموضوع الرسالة معالجة الأحكام الناجمة عن تغيير العملة أو سحبها من التداول لطرح إصدارات جديدة أقل قيمة ووزناً فالرسالة تعالج الآثار الفقهية لتغير قيمة النقود الشرائية وفيها لمحات خفيفة عن تاريخ النقود المملوكية . وأقوم الآن بتحقيق هذه الرسالة وقد شارفت على نهايتها .

٢٠ – (بذل المجهود في مسألة تغيير النقود) – لمحمد بن عبدالله الغزي التمرتاشي صاحب الدر المختار شرح متن التنوير في الفقه الحنفي ، ولعل هذه الرسالة فقدت ولكن معظمها موجود في رسالة ابن عابدين صاحب حاشية رد المحتار على الدر المختار ورسالة ابن عابدين هذه تدعى :

٢١ – (تنبيه الرقود على مسائل النقود) – لمحمد أمين عابدين وهي مطبوعة ضمن مجموعة رسائل ابن عابدين وأقوم الآن بتحقيقها منفصلة وقد قام بتحقيقها قبلي – محمد سلامة جبر – وطبعت في الكويت .

وبمناسبة الحديث عن قيمة النقود وآثار تغيراتها عند الفقهاء فمن الضروري الإشارة في هذا المجال إلى

الكتب التالية :

٢٢ - [آثار التغيرات في قيمة النقود] رسالة ماجستير قدمها موسى آدم عيسى إلى كلية الشريعة بجامعة أم القرى عام ١٤٠٥هـ .

٢٣ - [أحكام الأوراق النقدية والتجارية] رسالة ماجستير قدمها [ستر بن ثواب الجعيد] إلى جامعة أم القرى عام ١٤٠٥هـ .

٢٤ - [تغير النقد وأثره في الفقه الإسلامي] - بحث نشره نزيه كمال حماد في مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي لجامعة أم القرى عام ١٤٠٠هـ العدد ٣ .

٢٥ - [تقلبات القوة الشرائية للنقود] بحث كتبه شوقي دنيا في مجلة - أضواء الشريعة - الصادرة عن كلية الشريعة بالرياض في العدد [١٥] ونشر البحث نفسه مع التصرف في مجلة المسلم المعاصر العدد ٤١ عام ١٤٠٥هـ ص ٤٩ - ٧٩ .

٢٦ - [رسالة الشيخ عبدالقادر الحسيني في تراجع سعر النقود بالأمر السلطاني] وهي رسالة عالجت الموضوع نفسه - تغيير النقود وتغير قيمتها في عهد الدولة العثمانية وقد نشرت الرسالة محققة في مجلة - أبحاث الاقتصاد الإسلامي مجلد ٢ - العدد ٢ في صيف عام ١٤٠٥هـ ص ٩٩ - ١٢٠ بتحقيق نزيه كمال حماد - أستاذ الاقتصاد الإسلامي في جامعة أم القرى . وقد تناول الشيخ مصطفى الزرقا هذه الرسالة وتحقيقها بتعقيب جيد نشر في العدد الأول من المجلد الثالث من مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي التي تصدر عن المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة .

٢٧ - [أحكام النقود في الشريعة الإسلامية] لمحمد سلامة جبر :

صدر الكتاب عن دار الشعاع للنشر في الكويت ويدور الكتاب على شرح الوظيفة النقدية اقتصادياً واجتماعياً وجريان الربا في الورق النقدي المعاصر والدعوة إلى إلغاء نظام النقد الورقي الإلزامي والعودة إلى نظام الذهب بوصف الذهب هو النقد الشرعي المتربع على عرش النقدية منذ أقدم العصور.

٢٨ - [الورق النقدي - تاريخه - حقيقته - قيمته - حكمه] - عبدالله بن سليمان بن منيع :

أصل هذا الكتاب رسالة علمية قدمت للمعهد العالي للقضاء ثم صدرت الطبعة الأولى عام ١٣٩١هـ - أما الطبعة الثانية فصدرت عام ١٤٠٤هـ والكتاب من أوسع المراجع الفقهية المعاصرة للتعرف على نشأة الورق النقدي وأحكامه الفقهية وما يتصل بجريان الربا فيه ومناقشة الفقهاء الذين أباحوا التفاضل فيه مع عمق الاستدلال وسعة الاطلاع على المراجع المختلفة في هذا الباب وهو من الكتب التي شرحت فلسفة النقود وبناء نظرية نقدية في ظل اقتصاد إسلامي .

٢٩ - [النقود والمصارف في النظام الإسلامي] لعوف محمود الكفراوي - دار الجامعات المصرية عام ١٩٨٢م :

يتحدث الكتاب بأسلوب فقهي عن نشأة النقود ووظائفها وأنواعها وأحكامها مع التوسع في الربا والصرف في النقود وتنظيم عرضها وطلبها والمحافظة عليها ثم يتحدث عن النظم المصرفية في الإسلام والرقابة على المصارف والسياسات النقدية بشكل عام .

٣٠ - [الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون - الأسعار والنقود] - لسيد شوربجي عبدالمولى :

يبحث هذا الكتاب بالتفصيل نظرية ابن خلدون في الأسعار والنقود مقارنة بالاقتصاد الوضعي .

٣١ - [السياسة النقدية والمصرفية في الإسلام] - لعدنان خالد التركماني - مؤسسة الرسالة :

يتناول الكتاب وظائف النقود عند المفكرين المسلمين وسياسة الإسلام في الادخار والاستثمار وأدوات السياسة النقدية في الإسلام . وقد استفاد المؤلف من كتاب رفيق المصري - الإسلام والنقود - وتعرض بشكل مفصل لبعض المشكلات النقدية المعاصرة في العالم .

٣٢ - [الأموال في دولة الخلافة] - لعبدالقديم زلوم :

يتناول الكتاب مصادر وموارد الدولة الإسلامية - الميزانية العامة - ولكنه بحث في النظام النقدي

الإسلامي في الفصل الأخير من الكتاب مستعرضاً النظم النقدية المتبعة في العالم وانتهى إلى ضرورة العودة إلى نظام الذهب أو نظام الصرف بالذهب على الأقل .

٣٣ - [استبدال النقود والعملات] لعلي أحمد السالوس - مكتبة الفلاح - الكويت :

يطرح المؤلف أحكام الصرف بالتفصيل والمحترزات الفقهية لمنع الوقوع في الربا في العمليات المصرفية وفي ثنايا البحث تحدث قليلاً عن النقود الإسلامية .

٣٤ - [نحو نظام نقدي إسلامي] - لمحمد عمر شابرا:

لعل هذا الكتاب أفضل من عالج الوظيفة النقدية في المجتمع الإسلامي وكيفية عملها وسط النظام النقدي الدولي ، وقد كتب الكتاب باللغة الإنجليزية ونقله إلى العربية رفيق المصري ونشرت الطبعة العربية بإشراف المعهد العالي للفكر الإسلامي بواشنطن .

٣٥ - [اقتصاديات النقود في إطار الفكر الإسلامي] لمتولي ، شحاته نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ط ١ عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٣٦ - [تغير النقود وأثره في الديون في الفقه الإسلامي] بحث لنزيه كمال حماد نشر في مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي - الصادرة عن جامعة أم القرى - العدد ٣ - عام ١٤٠٠هـ .

٣٧ - [مفاهيم النقود عند فقهاء المسلمين من القرن ٨ - إلى القرن ١٣] بحث للمستشرق الفرنسي بورنشويج - نشر في مجلة المسلم المعاصر العدد (٣٣) - عام ١٤٠٣هـ والاسم الصحيح للمستشرق هو (برنشفيك).

٣٨ - [النقود في الإسلام] - بحث لأحمد صفي الدين عوض في مجلة أضواء الشريعة الصادرة عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد ١٣ عام ١٤٠٢هـ ص ٢٠٩ - ٢٢٣ .

٣٩ - [تقلبات القوة الشرائية للنقود وأثر ذلك على الائتمان الاقتصادي والاجتماعي] بحث لشوقي دنيا نشر في مجلة المسلم المعاصر - العدد ٤١ - عام ١٤٠٥هـ .

٤٠ - [النقود بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي] بحث لشوقي دنيا نشر في مجلة أضواء الشريعة التي تصدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد ١٥ عام ١٤٠٤هـ وهو تقريباً البحث نفسه المتقدم مع تعديلات طفيفة .

٤١ - [السياسة النقدية في اقتصاد إسلامي لاربوي] - لمحمد عارف - بحث نشر في مجلة البنوك الإسلامية - العدد ٨ - لعام ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م .

٤٢ - [المكاييل والموازين الإسلامية وما يقابلها في النظام المتري] - للمستشرق الألماني (فالتر هنتس) تعريب كامل العسلي - منشورات الجامعة الأردنية - عمان.

٤٣ - [تقويم مسكوكات عثمانية] - لإسماعيل غالب :

يقول إسماعيل غالب في مقدمة كتابه إنه قضى ١٥ سنة في دراسة المسكوكات العثمانية وقد طبع كتابه هذا في إستانبول عام ١٣٠٧هـ .

٤٤ - [تقويم مسكوكات سلجوقية] - لإسماعيل غالب - قسطنطينية ١٣٠٩هـ .

٤٥ - [مسكوكات إسلامية تقويمي] لأحمد ضياء - ط إستانبول ١٣٢٨هـ .

٤٦ - [العملة الإسلامية في العهد الأتابكي] ط - بغداد ١٩٦٦م - لمحمد باقر الحسيني وهو صاحب الكتابين المذكورين برقم - [١٣، ١٤] في هذه الصفحات . والمؤلف باحث في مديرية الآثار العراقية نال درجة الدكتوراه في رسالته [نقود السلاجقة] .

وهناك عدد من المجلات المتخصصة التي تعنى بهذا الموضوع كمجلة المسكوكات ومجلة سومر العراقية ومجلة الحوليات الأثرية السورية بالإضافة إلى بعض المراجع الأجنبية التي كتبها المستشرقون في مجال دراسة النقود الإسلامية .

البـبليـوثيرابيقـا
أو
العلاج بالكتاب والقراءة

أحمد بدر
أستاذ المكتبات والمعلومات - جامعة قطر - الدوحة

تقديم

التعدد الثقافي *Cultunal Diversity* سمة من سمات تخصص المعلومات والمكتبات ، إذ تتصل ينابيع نموه بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية والطبية الحيوية وغيرها .. ومجال الببليوثيرابيقا يعكس هذه الطبيعة المتداخلة *Inter Disciplinarity* بين المكتبات والمعلومات وبين دراسات وعلوم أخرى في الدين والفلسفة وعلم النفس والتربية والطب والطب النفسي والعلاقات الإنسانية والاجتماعية بصفة عامة ، وتحاول هذه الدراسة التعريف بالببليوثيرابيقا وأنواعها ، ثم تاريخ الببليوثيرابيقا في علاج المرضى منذ العصور الوسطى في الشرق العربي ، ثم في أوربا وأمريكا بعد ذلك ، ثم التعريف بالطبيعة المتعددة والمتداخلة الارتباطات للببليوثيرابيقا ، والاستعانة في ذلك بقواعد المعلومات الحديثة على الأقراص المكتنزة *(CD - ROM)* ، ثم التعريف بالجوانب التطبيقية في العلاج بالقراءة ، وكيفية قيام الأمين الماهر بتوجيه المريض للوعي بالذات واستعادة أو تدعيم الثقة بذاته مع تفصيل إلى بعض التجارب التي تمت فعلاً ببعض المستشفيات الحديثة، وتنتهي الدراسة بالإشارة لبعض التطلعات المستقبلية ، التي تركز على التعاون بين الدين والطب والكتاب والمكتبات ، وذلك كله في إطار نمو العلوم السلوكية المعاصر .

أولاً : في التعريف بالببليوثيرابيقا وأنواعها :

مصطلح الببليوثيرابيقا *Bibliotherapy* باللغة الإنجليزية يرجع للأصل اليوناني *(biblion = book)* أي كتاب و *(theropeia = healing)* أي علاج . ولعل الباحث صمويل ماكورد كروثرز *Samuel McChord Crothers* هو الذي صاغ هذا المصطلح الذي جاء في مقال له عام ١٩١٦ ، ونشر بمجلة أتلانتيك الشهرية *Atlantic Monthly* ..

وقد شمل القاموس الدولي الجديد لوبستر *Webster's Third New International Dictionary* هذا المصطلح عام ١٩٦١ على أنه : «استخدام المواد القرائية المختارة كمواد علاجية مساعدة في الطب والطب النفسي» ، وعلى أنه : «الإرشاد لحل المشكلات الشخصية عن طريق القراءة الموجهة» ، وهذا التعريف الذي جاء بالقاموس المذكور هو التعريف الرسمي الذي تبنته جمعية المكتبات الأمريكية *ALA* عام ١٩٦٦م .

كما قامت الباحثة المشهورة في هذا المجال - رياروبين *Rhea Rubin* - بتعريف الببليوثيرابيقا بأنها : «برنامج من النشاط الذي يعتمد على العمليات التفاعلية بين الوسط الإعلامي والناس الذين يمارسون هذا البرنامج ، وذلك بالاستعانة بالمواد المطبوعة وغير المطبوعة سواء كانت هذه المواد خيالية أو معلوماتية ،

كما تتم مناقشة هذه المواد بين المريض والمتخصصين» [Rubin, R., 1979] .

وعلى كل حال فالخدمة المرجعية والإرشاد القرائي والببليوثيرابيقا هي أنشطة ذات تشابه ؛ لأنها تخدم الاحتياجات المعلوماتية والتعليمية والإرشادية ، وإذا كانت الخدمة المرجعية ذات طبيعة موضوعية ومعلوماتية ، فإن الإرشاد القرائي يعد ذا طبيعة ذاتية وله اتصال واسع بالعملية التربوية ، بينما تعد الببليوثيرابيقا كمدخل طويل المدى للخدمة المكتبية والإرشاد القرائي ، من أجل تحقيق الأغراض العلاجية حيث تعد الكتب والمواد المشابهة أدوات اتصال تعمل على تدعيم البيئة العلاجية للمريض .

وهناك ثلاثة أنواع من الببليوثيرابيقا ، وهي :

أ - المؤسسية *Institutional* .

ب - الإكلينيكية *Clinical* .

جـ - التطويرية *Developmental* .

ويمكن الإشارة إلى هذه الأنواع كما يلي :

أ - الببليوثيرابيقا المؤسسية : وهي الوريثة المباشرة للببليوثيرابيقا التقليدية التي تمت ممارستها في الثلاثينات عن طريق اختصاصيي الطب النفسي ؛ وهي تشير إلى قراءة الأدب عادة بواسطة المرضى داخل المؤسسات ، ثم مناقشة ما قرأوه مع الطبيب .. والهدف هنا معلوماتي داخل المؤسسة ، والمرشد هو الطبيب أو الفريق الطبي الذي قد يشمل أمين المكتبة ، ولم يعد هذا النوع من الببليوثيرابيقا شائعًا في عالم اليوم .

ب - الببليوثيرابيقا الإكلينيكية : وهذا النوع يشير إلى استخدام الإنتاج الفكري الخيالي مع الجماعات التي تعاني من المشكلات العاطفية أو السلوكية .. والهدف يتراوح بين الاستبصار *Insight* إلى تغيير أو تعديل السلوك ، وذلك ضمن مؤسسة أو خارجها في المجتمع المحلي *Community* ، أما المرشد في العلاج فهو إما أمين المكتبة أو المدرب أو طبيب أو أن يتم التشاور بينهم .

جـ - الببليوثيرابيقا التطويرية : وهذه تشير إلى استخدام المواد الخيالية أو التعليمية *didactic* مع الجماعات التي تضم الأفراد «العاديين» ؛ والهدف هو تشجيع النمو الطبيعي ، والتعرف على الذات أو الحفاظ على الصحة العقلية ، وهذا النوع من الببليوثيرابيقا يقدم عادة في المدارس والمكتبات وغيرها من مؤسسات المجتمع المحلي ، وبرنامج المناقشة يدار ويصمم بواسطة أمين المكتبة أو المدرس أو غيرهما من المهن المساعدة كالإخصائي الاجتماعي أو الأخصائي في علم النفس ، والببليوثيرابيقا التطويرية هي التي تستخدم عادة في المكتبات العامة كجزء من الارتقاء بالوعي وأنشطة التعبير عن الذات وتنميتها [Rubin, R., 1979] .

ثانيًا : خلفية تاريخية :

يرصد الباحثون علاقة وثيقة بين الكتب السماوية والعلاج بالقراءة ، ولعل أقدم الأحداث المرصودة بالنسبة لاستخدام الكتب في علاج المرضى ، هي تلك التي تمت أثناء العصور الوسطى ، وفي القرن الثالث عشر ، حيث قدم مستشفى المنصور الذي بني بالقاهرة آنذاك ، خدمات تلاوة القرآن للمرضى بالليل والنهار ؛ وذلك إلى جانب العناية الطبية والجراحية ، أي أن تاريخ الببليوثيرابيقا يشير إلى امتداد وتطور الخدمة المكتبية المؤسسية [Tews, R. 1969] .

وقد تم استخدام العلاج بالقراءة والكتاب على نطاق واسع خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، في كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا ، ثم في الولايات المتحدة بعد ذلك ، حيث قام الأطباء بالتوصية ببعض أنواع القراءات التي يرونها مناسبة وفعالة لتوفير السعادة والهدوء العقلي . كما احتوت العديد من الملاجئ والمستشفيات على مجموعات مكتبية أو مكتبات للمرضى ، وإن كانت معظم مقتنياتها ذات طبيعة دينية ..

ولقد ظهر أول بحث عن العلاج بالقراءة عام ١٨٤٨م، حيث قدم البحث للجمعية الطبية الأمريكية لمرضى العقول (وهي الجمعية الأمريكية للطب النفسي فيما بعد) ، ثم نشر هذا البحث على هيئة مقال عام ١٨٥٣م ، وكان الكاتب هو الدكتور جون مينسون جالت *John Minson Galt* ، وعنوان المقال «القراءة والترويح والتسلية لمرضى العقول» ، وقد جاء في هذا المقال بعض المبادئ الخاصة بتطبيق العلاج بالقراءة وأسباب الاهتمام بها ، ومن بينها - في رأي الباحث جالت - ما يلي :

أ - تصرف العقل عن الأفكار المرضية والأوهام والضلالات *delusions* .

ب - تمضي الوقت وتريح القارئ .

جـ - تظهر للمريض اهتمام المستشفى بسعادته ورفاهيته .

د - تجعل المريض أكثر قناعة ورضى ..

كما أوصى الباحث بأن يلائم الكتاب المقتنى احتياجات المريض ، كما اقترح موضوعات أخرى تاريخية وتراجم أشخاص ورحلات والقصص المشهورة المعيارية والشعر إلى جانب القراءات الدينية *[Tews, R. 1969]* .

وإذا كانت الكتب الدينية تهيئ الراحة النفسية لمعظم المرضى ، خصوصًا مرضى الاكتئاب *Melancholy* ، إلا أن بعض المراقبين يضعون بعض القيود بالنسبة لبعض المرضى الذين تسبب لهم الكتب الدينية تدعيم أوهامهم *delusions* .

كما أوصى رواد العلاج بالقراءة - إلى جانب استخدام القراءة كنشاط - أن يكون هناك «رفاق أذكياء» للقراءة للمرضى ، حيث يشجعونهم على القراءة وتذكر بعض المقاطع .

ولم يأخذ أمين المكتبة المدرب والمؤهل موقعه الفعلي في برنامج العلاج بالقراءة حتى القرن العشرين ، فقد قام مستشفى ماكلين *Mclean Hospital* (التابع لمستشفى ماسا شوستس العام) في سنة ١٩٠٤م بتجهيز مكتبته واختيار مجموعات مناسبة وتعيين أمين مكتبة متفرغ للقيام بدور إيجابي مع الطبيب النفسي لاستخدام الكتب في معالجة المرضى العقليين .. ومنذ ذلك الحين تم الاعتراف العملي «بالعلاج بالقراءة والكتاب» كأحد جوانب المكتبات فضلاً عن كونها علاجًا مساعداً للمرضى *(Tews, R. 1969)*.

أما الاعتراف الرسمي المهني في مهنة المكتبات والمعلومات ، فلم يأت إلا عام ١٩٣٩م ، حين عينت جمعية المكتبات الأمريكية (قسم المستشفيات) أول لجنة للببليوثيرابيقا ضمن لجانها المهنية *(Rubin, R. 1979)*.

ثالثًا : الطبيعة المتداخلة الارتباطات للببليوثيرابيقا :

تشمل الببليوثيرابيقا أنشطة مختلفة تشجع على النمو الذاتي ، الذي يعتمد على الخبرة المشتركة والمناقشة الجماعية للأدب ، وتستخدم الببليوثيرابيقا مع المواطنين «العاديين» الذين يريدون أن يتعلموا أكثر عن أنفسهم وعن الآخرين ، كما تستخدم الببليوثيرابيقا مع الأفراد المرضى عقلياً أو المضطربين الذين يحتاجون لتغيير أو تعديل سلوكهم ؛ وهذا وتُرى الببليوثيرابيقا أيضًا كاتجاه ومدخل مكتبي نظراً ؛ لأنها تتصل بمفاهيم الخدمة المكتبية ، كما تتصل بأساسيات علم النفس وتعليم الكبار وغيرها من المجالات الأخرى .

أما من ناحية الإنتاج الفكري ، فيذهب الباحث تيوز *Tews* إلى أنه مع بدايات الخمسينات ، كان قد نشر حوالي أربع مئة مقال عن الببليوثيرابيقا معظمها كتب بواسطة المتخصصين في المكتبات والمعلومات ، وإن كان هناك أيضًا مشاركون من الطب وعلم النفس والتربية وغيرها ..

أما الباحثة ريا روبين *(Rubin, R., 1979)* فتؤكد على الطبيعة المتداخلة الارتباطات للببليوثيرابيقا ، حيث تشير إلى أنه ظهر خلال الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٧٥ عدد (١٣١) مقالاً علمياً ، ٣٥ ٪ منها في دوريات المكتبات ، ٦٥٪ في دوريات المجالات الأخرى كعلم النفس والتربية والتمريض والعلاج المهني وغيرها .

وقد قام كاتب هذه السطور بمحاولة تحديث دراسة الباحثة ريا روبين ببحث قاعدة بيانات مستخلصات علم المكتبات والمعلومات *[LISA / CD - ROM 1976 - 91]* أي لمدة خمس عشرة سنة [وذلك بقسم خدمات المعلومات الآلية بمكتبة جامعة قطر] حيث تبين له أنه قد ظهر خلال هذه المدة عدد [١٠٠] مئة بحث ، باللغات المختلفة وفي أماكن متفرقة من العالم ، ومن بين هذه البحوث [٤٨] ثمانية وأربعون بحثًا باللغة الإنجليزية ، ومن بينها [٤٣] ثلاثة وأربعون بحثًا نشرت في [٣١] إحدى وثلاثين دورية علمية ، والباقي وهو خمسة بحوث شملت كتبًا وتقارير علمية .. ومعظم هذه الدوريات [أي ٢٣ دورية] نشرت مقالاً واحداً فقط ، أما الدوريات الثماني الباقية [٣١ - ٢٣ = ٨] فقد نشرت اثنتان منها ثماني مقالات [أي بواقع أربع مقالات في كل منها] ، وهذه الدوريات الأكثر أهمية بالنسبة لنشر الإنتاج الفكري هي :

- Health and Rehabilitative Library Services -- (4 articles)
- School Library Jonural ------------ (,, ,,)

أما الدوريات الست التالية في الأهمية Ranking ، والتي نشرت كل منها مقالين فهي :

- Bibliotheca Medica Candiana ----- (2 articles)

- Bulletin of the Medical Library Association -- (2 articles)
- Jonural of Educational Media and library Services ---------------------------------- (,, ,,)
- Jornal of Youth Services in Libraries (,, ,,)
- Library Trends ---------------------------- (,, ,,)
- Wilson library bulletin ------------------ (,, ,,)

وتضم الدوريات الباقية (٢٣ دورية) دوريات في مجالات الطب والخدمة الاجتماعية والدين والتربية (والمكتبات العامة والمدرسية وبناء المجموعات والخدمة المرجعية الطبية) .

ويلاحظ أن مجلة الاتجاهات المكتبية Library Trends كانت قد أصدرت عدداً خاصاً عن الببليوثيرابيقا في أكتوبر ١٩٦٢ شارك في البحوث المنشورة فيه (١١) أحد عشر باحثاً معظمهم من المتخصصين في المكتبات والمعلومات ، إلى جانب متخصصين في الطب وعلم النفس والتمريض والعلاج المهني ، وأخيراً فيجب التنويه إلى أن أول رسالة دكتوراه في مجال الببليوثيرابيقا قد منحتها جامعة كاليفورنيا للباحثة كارولين شرودز Caroline Shrodes .

أما أول مقرر دراسي قدم في الببليوثيرابيقا فكان عام ١٩٧٠ في مدرسة (المكتبات بجامعة فيلانوفا Villanova بأمريكا ، ونظمت جامعة إنديانا عام ١٩٧٢ - ١٩٧٤ حلقات دراسية متداخلة الارتباطات في العلاج بالشعر ، ومازال الإعداد المهني المنهجي غير واضح المعالم .. وعلى كل حال فتشير الدراسات المنشورة السابقة بصفة عامة إلى أن العلاج بالقراءة ، لا يتم إلا إذا كان نشاطاً مخططاً ، ويتم الإشراف عليه من قبل أمناء مكتبات مدربين مهرة ، ويعملون بالتعاون الوثيق مع الفريق الطبي (الأطباء/ أخصائيو الأحوال الاجتماعية / العلاج المهني occupational / التمريض / ...) كما أن العلاج بالقراءة يحتاج إلى أن يكون الغرض المحدد للخدمة المكتبية هو دعم البرنامج العلاجي المتكامل الذي يستجيب لاحتياجات ومشكلات مريض معين ..

كما اهتم الإنتاج الفكري التربوي بمجال الببليوثيرابيقا أيضاً منذ الأربعينات ، حيث تكونت جماعات العلاج بالقراءة في المدارس الأمريكية ، ويقود الجماعة عادة مدرس الفصل ، وفي عام ١٩٤٧ أصدر المجلس الأمريكي للتعليم كتابه المشهور «السلالم القرائية للعلاقات الإنسانية» Reading Ladders for Human Relations وزاد بعدها الإنتاج الفكري عن الببليوثيرابيقا في الدوريات التربوية .. فقد خصصت مجلة التربية Education Magazine عدداً خاصاً (أبريل ١٩٦٤) عن الببليوثيرابيقا ، كما ظهر عام ١٩٦٨ كتاب الببليوثيرابيقا ودورها في التربية لمؤلفه يوسف زكريا وهارولد موسى Joseph S. Zaccaria & Harold Moses أي أن المدرسة قد أصبحت موقعاً مهماً للببليوثيرابيقا ؛ لأن ذلك يساير الاتجاهات التربوية المعاصرة ، التي تتضمن تدعيم التطوير النفسي المتكامل لمواجهة عالم اليوم ..

وعلى كل حال فلم يعد العلاج بالقراءة والكتاب مقصوراً على أمناء المكتبات والأطباء في الهيئات والمستشفيات ، ولكنه امتد في الوقت الحاضر ليشمل المدرسين وعلماء النفس والاجتماع والمستشارين ، كما تطورت الببليوثيرابيقا إلى علاج اتصالي متعدد الأوعية Mutli Media ، حيث تستخدم في المجالات النفسية والاجتماعية لحياة المجتمعات المحلية Communities ، بالإضافة للمستشفيات والمعاهد والمدارس ، أي أن الصحة العقلية قد تحركت خارج الهيئات لتصبح مشكلة المجتمع المحلي في المدرسة ، وفي معاهد المتخلفين عقلياً ، كما تستخدم مع الجماعات المحرومة ثقافياً أو المراهقين للوصول إلى التكيف الاجتماعي ، كما يراجع أدب الأطفال لإعداد قوائم مشروحة للكتب المناسبة لظروف الأطفال المضطربين نفسياً ، فضلاً عن القيام ببرامج علاج بالقراءة مع الجماعات المنحرفة (متعاطي الخمر والسموم البيضاء ...) .

رابعاً : منهجية العلاج بالقراءة والكتاب وتطبيقاتها :

أ - إطار المنهجية العلاجية :

تتمثل الجوانب المهمة في تطبيقات العلاج بالقراءة في تحليل احتياجات القارئ وتزويده بالمواد القرائية التي تستجيب لهذه الاحتياجات مع إشراكه في اختيار هذه المواد ، وعن طريق المواد القرائية المختارة يعاد تشكيل تفكير القارئ المريض ، أي أن الببليوثيرابيقا المختارة هي وسيلة اتصال تحمل رسالة ، ومحتوى الكتاب يحمل خبرة

قد تتذكر القارئ بأحداث سابقة لها معنى لديه ، وربما تكون هذه فرصة يتقمص فيها المريض أو يتشبه Identify بإحدى الشخصيات السوية بالكتاب ، خصوصًا . وأن هذه الشخصية كانت قادرة على مواجهة الحياة تحت ظروف مشابهة لظروفه .

ولعل هذه الخبرة تكسبه إدراك مشكلاته هو وتقوده إلى تقبل الحقيقة ، أي أن العلاج بالقراءة لا يقدم المعلومات وحدها ، ولكنه يقدم وسيلة اتصال استمالية تعيد تشكيل فكره وتصرفاته ، وتساعده على اتخاذ قراراته وصنع اختياراته والثقة بنفسه ، وبمعنى آخر فإن مفهوم العلاج بالقراءة الحديث ، ليس هو في الواقع علاجًا Care، وإنما هو تعويض Compensation ، أي أنه توجيه للوعي بالذات وتدعيم للثقة .

ويقوم أمين المكتبة الماهر والمدرب بتوثيق العلاقة بينه وبين المريض حتى يمكن للأمين اختيار المواد المناسبة له التي يمكن أن تعدل من اتجاهاته وسلوكه .. ولا يقتصر دور الأمين على مجرد اختيار المواد القرائية ، ولكنه دور الاشتراك الإيجابي في تعديل اتجاهاته وسلوكه عن طريق ملاحظته والاستماع إليه ، وتسجيل التغييرات أو التعديلات . ثم تبليغ هذه الملاحظات لفريق العلاج للعمل بمقتضاها كفريق متكامل .. وبالتالي فلابد للأمين أن يكون على علم بالطبيعة الإنسانية وفهم عمليات النمو النفسي ، وأساليب قيادة الجماعة والإرشاد الشخصي . ولعل الباحث الذي وضع المعادلة التالية للتعبير عن العلاج بالقراءة أفاد في تحديد مفهومها :

اختيار جيد للكتاب أو الوسيلة

\+ إرشاد شخصي

\+ هدف محدد = علاج *(Tews, R. 1969)* .

أما عن منهجية الببليوثيرابيقا . فقد وضعت الباحثة المشهورة ريا روبين *(Rubin, Rhea, 1978)* تحليلاً لمختلف الوسائل المستخدمة في الببليوثيرابيقا كما يلي :

١ - الببليوثيرابيقا التقليدية : وهنا يقوم المريض أو المشارك بقراءة المواد والإنتاج الفكري بنفسه ، أو أن يقوم أحد الأشخاص بقراءة هذه المواد للمريض أو المشارك .

٢ - الببليوثيرابيقا الشفوية : حيث يتم توصيل المواد القرائية الشفوية للمريض أو المشارك .

٣ - العلاج بالكتابة الإبداعية : وهنا يقوم المريض أو المشارك بكتابة النثر أو الشعر أو القصص الصغيرة أو المذكرات أو الترجمة الذاتية ، أي إنشاء أعمال مكتوبة .

٤ - العلاج بالتعبير الشفوي الإبداعي : أي أن يقوم المريض أو المشارك بالتعبير الشفوي كالنثر أو القصة القصيرة أو المذكرات الشفوية أو سرد التاريخ الذاتي ، أي إنشاء أعمال شفوية .

طبيعة المواد القرائية	طبيعة الاستجابة اللغوية للمشارك	
	Receptive Language لغة التقبل	Expressive Language لغة التعبير
	مدخلات	مخرجات
مواد مكتوبة	١	٣
مواد شفوية Orel	٢	٤

ب - تجربة مستشفى دينفر : (Elser, H., 1982)

قامت الباحثة هيلين الزر Helen Elser بكتابة مقالها في مجلة الاتجاهات المكتبية (Library Trends, 1982) تشرح فيه نتائج تجربة تمت بالنسبة لبرنامج مكتبات استخدم أسلوب الببليوثيرابيقا في مستشفى دينفر بما ساشوستس بأمريكا ، حيث توفر للمشروع التجريبي أمين مكتبة متفرغ وأخصائي في الصحة العقلية ، كما قامت هي بالإشراف على مكتبات المرضى والمكتبة الطبية .

بدأت هيلين منذ عام ١٩٦٥ بالتعاون مع رئيس قسم العلاج المهني باختيار المواد القرائية ، بحيث تكون قصيرة ومعبرة مثل القصائد الشعرية القصيرة ، وقد لاحظت أن بعض هذه القصائد قد أثارت وأظهرت ذكريات مشتركة بين جماعة المرضى ، وكان هناك ضحك وبهجة عند تذكرهم لهذا الجزء السعيد من حياتهم السابقة ، وحاولت مع زملائها تدعيم علاقة الأفراد داخل الجماعة عن طريق الخلفيات المتشابهة المشتركة ، وقد ساعد ذلك على أن تعمل الجماعة كمجتمع محلي نحو هدف مشترك ، على صعوبة تحقيق ذلك بالنسبة للمرضى العقليين الذين يفضلون العزلة عادة .

وقد حرصت الباحثة هيلين على أن تعقد اجتماعات الجماعة دائمًا في المكتبة - وليس في جناح المرضى - حيث استجاب هؤلاء المرضى لجو المكتبة ، واستطاعوا ضبط وكبح جماح سلوكهم المتقلب .. وتشير الباحثة هيلين إلى ملاحظتين أساسيتين في هذا الصدد أولاهما ضرورة معاملة واحترام المرضى كأفراد مع ممارسة الرغبة القوية في مساعدتهم أما الملاحظة الثانية فهي القدرة على الاتصال ؛ فالمرضى العقليون يقولون عادة أشياء لو أخذت بحرفيتها ، فإنها ستضع المستمع مباشرة في موقف الدفاع والإهانة ، وبالتالي فلابد من التعامل معهم على هذا الأساس .

ثم تناولت الباحثة هيلين بعد ذلك أنواع جماعات الببليوثيرابيقا حيث قسمتهم إلى ثلاث جماعات هي : مرضى الشيزوفرانيا (انفصام الشخصية) ، ومرضى الشيخوخة والمراهقون ؛ وكل جماعة تتكون من خمسة إلى ثمانية مرضى من الجنسين ، وتجتمع الجماعات مرتين أسبوعياً ويستغرق الاجتماع حوالي ساعة ، والسبب وراء تقسيمها المرضى إلى جماعات ثلاث هو أن كل جماعة منها لها صفات شخصية مشتركة ، وعلى سبيل المثال ، فقد استخدمت التراجم والتراجم الذاتية مع الأفراد الذين يشعرون كذلك بالعزلة عن المجتمع ، ووجدت هذا الأسلوب مقيداً بالإضافة إلى استخدام أسلوب الدراما النفسية Pschodrama ، مع بعض النجاح للتعامل مع قضايا كيفية توليد المريض للخوف والعداء والاضطراب في مجتمعه المحلي بواسطة سلوكه .

أما في جماعة المسنين فقد كانت اللمسة Touch كالسلام باليد أو المسح على كتفه أو رأسه ، وسيلة أساسية للاتصال أقوى من الكلمات ، كما أن الموسيقى المسجلة أو الاستماع إلى الكتاب ... إلخ ، لم تكن طرقًا مفيدة ، إلا إذا كان الهدف هو وصولهم إلى مرحلة النوم .. أما أفضل الطرق فكانت رواية القصة أو إنشاد بعض القصائد الشعرية بكلمات القائم بالعلاج بالقراءة ، حيث يلبس القائم بالعلاج ملابس جذابة مع إظهار سعادته بوجوده معهم .

أما في جماعة المراهقين ، فقد أظهر معظمهم سلوكًا عدوانياً رافضًا للسلطة ، مع تحقير أي جهود لجمع الجماعة بغرض العلاج بالقراءة ، ومع ذلك فقد تبين أن لديهم صفة مشتركة وهي حب الموسيقى وبالتالي تكونت الجماعة باستخدام الموسيقى كمادة المناقشة للعلاج .

أما بالنسبة لاختيار المواد القرائية فهي تكاد تكون على أساس فردي ، وعلى كل حال فاختيار المادة يعتمد أساسًا على الهدف الذي تريده للجماعة المختارة .

خامسًا : تطلعات مستقبلية :

هناك اتجاه تعاوني متزايد بين الدين والطب ، وتظهر آثار هذا التعاون في المكتبة ومهنة المكتبات أيضًا ؛ ذلك لأنه مع نمو العلوم السلوكية في السنوات الأخيرة فهناك تركيز على السلوك الإنساني للفرد ، والتعبير عنه بطريقة كمية ، فضلاً عن تدعيم الخصائص الإيجابية للفرد ، أكثر من محاولة تغيير هذا السلوك . وبالتالي فهناك اهتمام كبير باستخدام العلاج بالقراءة في إعادة تأهيل الفرد

وتعديل اتجاهاته وسلوكه .

ونلاحظ مما سبق أن الصحة العقلية تخرج من كونها نشاطًا داخل المؤسسة أو المستشفى إلى نشاط ومشكلة في المجتمع المحلي ، أي أن هناك اتجاهًا متناميًا نحو مجتمع الجماعات ، حيث تظهر في هذه الجماعات الاحتياجات الفردية المتميزة ، على أن يعمل الأمناء كجزء من الفريق العلاجي في هذه الجماعات ، وبالتالي فهناك حاجة لبعض المقررات في مجال العلاج بالقراءة ، تقدمها مدارس المكتبات والمعلومات ، وبالتعاون مع الأقسام العلميــة الأخرى ، كعلم النفس (علم نفس القراءة) والاجتماع والتربية والطب النفسي وغيرها .

كما أن الببليوثيرابيقا يمكن استخدامها بواسطة هيئات المجتمع خصوصًا المكتبة العامة حتى يمكن للناس مناقشة ردود أفعالهم نحو مختلف القضايا ولكن بطريقة ذاتية وشخصية ... وعن طريق تقمص Identification شخصية في كتاب أو التفاعل مع موقف في فلم أو مسرحية .. أي أنه بالإمكان مناقشة ردود أفعال الناس في بيئة موضوعية ، يوفرها الكتاب والمواد المشابهة ، ومعنى ذلك مقدرة المكتبات ؛ بل وبدورها المهم والإيجابي في تحقيق التفاعل مع مجتمعها المحلي ، عن طريق استجابتها لبعض احتياجاته بتطبيق الببليوثيرابيقا كأحد جوانب خدمة القراء والخدمة المرجعية ..

هوامش ومراجع الدراسة

1 - Brammer, L.M. and Shostrom, E.L. Therapeutic psychology, 2nd. ed . New York : Prentice-Hall, 1968, 486p.

2 - Brown, Eleanor F. Bibliotherapy and its widening applications . Metuchen, N. J.: Scarecrow Press, 1975 .

3 - Elser, Helen . Bibliotherapy in practice . Library Trends (Spring 1982),pp 647 - 659 .

4 - Hannigan, Margaret C. The Librarian in bibliotherapy : Pharmacist or Bilbiotherapist ? Library Trends, V. 11 (October, 1962), p 192 .

5 - Kinney, Margaret M. The Bibliotherapy program : requirements for training . Library Trends, V. 11 (October 1962), pp. 127 - 135 .

6 - Monrow, Margaret E. Reader services and bibliotherapy **In** : Monroe, Margaret (ed). Reading guidance and therapy in public hospitals and institution libraries . Madison : University of Wisconsin Library School, 1971, pp. 40 - 41 .

7 - Roman, M. Reaching delinquents through reading. Springfield, Illinois . Charles C. Thomas 1957, 125 p .

8 - Rubin, Rhea J. Uses of bibliotherapy in response to the 1970's . Library Trends, Fall 1979, pp 239 - 251 .

9 - .... Using bibliotherapy : A guide to theory and practice. Phoenix, Ariz ., Oryx Press, 1978 .

10 - Rush, B. Medical inquiries and observations upon the diseases of the mind : New York, Hafner 1962 , 367 p .

11 - Shrodes, Caroline . Bibliotherapy : an application of psyhoanalytic theory . American Imago , V. 17, 1960 , pp 311 - 319 .

12 - Tews, R. M. (ed.) Bibliotherapy. library Trends, Vol. 11 (October, 1962), pp. 97 - 228 .

13 - .... Bibliotherapy. **In** Encyclopedia of library and information sciences, edited by Allen Kent and Harold Lancour . New York, Mercel Dekker Inc. 1969, Vol . 2 pp, 448 - 457 .

14 - Zaccaria, J. S. and H. A. Moses . Facilitating human development through reading : the use of bibliotherapy in teaching and counseling . Champaign, Illinois, Stipes Publishing Co., 1968, 270p .

من قضايا الحرف العربي :

التصحيف والتحريف

أحمد رزق مصطفى السواحلي

كلية اللغة العربية

جامعة الأزهر فرع المنصورة

تمهيد

اعتمد العرب قديماً في تلقي العلم وتلقينه على السماع والمشافهة والحفظ ، فلم تكن الكتابة أمرًا ميسورًا ، كما لم تكن فنون الطباعة قد نشأت أصلاً ، فلما شاعت الكتابة ، وانحسرت الرواية الشفوية ، وانتشرت الطباعة الآلية ، فشا التصحيف والتحريف ، وقد تنبه العرب إلى ما ينطوي عليه هذا الأمر من خطر داهم ، ونبّهوا على ذلك ؛ فكتبوا كثيرًا من المؤلفات التي تعالج الداء ، وتصف طُرُق الوقاية منه ، ويمثل هذا البحث حلقة من حلقات دراسة القضية ، يبين نشأتها ، ويجلي مفهوم المصطلح ، ويؤرّخ له ، ويصف بعض أسباب وجوده ، ويصلح بعض ما وقع منه في كتب التراث .

ومن المأثورات عن القدماء : «أن الكتب كالرجال ، تسعد وتشقى» ، ومن أسباب سعادة الكتاب أن يسلم من التصحيف والتحريف ؛ وذلك بأن يهيئ الله لتحقيقه فحلاً من فحول الفنّ ؛ فيخرجه على الصورة التي أرادها المؤلف ، يقيم عباراته ويصحح تصحيفاته ، ويحرر تحريفاته . كما أن من أسباب شقاء الكتاب أن ينشب فيه الخطأ ، ويفشو فيه التصحيف ، ويكثر التحريف ؛ فتُحمَل عباراته على غير وجوهها ، أو يعرض لتحقيقه أحد أولئك الذين يؤثرون عبارة : «بياض في الأصل» ، أو نحوها ؛ من ثم يكون التحقيق عبارة عن نقْل كلام من ورق أصفر إلى ورق أبيض !!

مفهوم التصحيف والتحريف :

عرف العلماء التصحيف والتحريف بتعريفات شتَّى(١)، أعدلها وأقربها إلى القبول أن التصحيف : تغيير في نقط الحروف أو ضبطها (حركاتها) ، مع بقاء صورها على ما هي عليه ، مثل : (حمزة / جمرة) ، (العذل / العدل) ، (العزب / العرب) ... إلخ .

والتحريف (٢) : التغيير ، والعدول بالشيء عن جهته ؛ أخذًا من قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (٤)، وقوله تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (٥) ، وعليه فالتحريف اللغوي : تغيير صورة الحرف من السين إلى الصاد أو العكس ، ومن الميم إلى الواو أو العكس ... كما يكون التحريف أيضًا بالزيادة أو بالنقص ، مثل : (الشرّ / الشرق) ، (الأمر / الأمير) ، أو بتغيير مواقع الحروف ، وهو ما يُعرف بالقلب المكانيّ، نحو: (النبوة / البنوة) ... ونستطيع أن نقول : إن التحريف أعمّ وأشمل من التصحيف .

ويجعل بعضهم التصحيف والتحريف مترادفين ، فلا يفرق بينهما ، غير أن هذا الاتجاه لا يُعوَّل عليه بعد تخصص المصطلحات والعلوم في العصر الحديث .

مؤلفات على الطريق :

تنبّه القدماء من علمائنا - رحمهم الله- إلى كثير من النصوص التي صُحِّفَت أو حُرِّفت أو أُزيلت عن وجوهها ، وأشاروا إلى خطورة التصحيف والتحريف على النصّ ، ومما أُثِر عنهم في هذا المقام قولهم : «لا تأخذ القرآن عن مصحفيّ ، ولا العلم عن صحفيّ» (٦) ، وأصله : أن قومًا من المتعلمين كانوا يأخذون العلم من الصحف دون أن

يلقوا فيه شيوخاً !

وقد «كان الشك في الكلمة المدوَّنة، وعدم الثقة بما هو مكتوب ، هو السبب في أنهم لم يكونوا يجيزون لأحد أن يقرأ لتلاميذه شيئاً من كتاب معيّن ، أو يذكر من هذا الكتاب شيئاً في مؤلفاته ، إلا إذا كان قد قرأ هذا الكتاب على مؤلفه ، أو على من قرأه على مؤلفه ، أو على من قرأه على من قرأه على مؤلفه ... إلخ ، وحصل من شيخه على إجازة برواية هذا الكتاب أو ذاك ، وقد بقيت لنا هذه الطريقة في قراءة القرآن وحفظه ؛ فإن المتَّبع حتى اليوم ، أنه لا تُقبل قراءة القرآن ، إلا ممن تلقاه عن شيخ من الشيوخ ، الذين حفظوا عن شيوخهم ، بالتلقي جيلاً بعد جيل» (٧) .

من ثم : أرسى العلماء قواعد أخذ العلم وطرق تحمله (٨) ، غير أن أصحاب الفضل الأول في الكشف عن خطورة التصحيف والتحريف والاحتراز عن الوقوع فيهما هم علماء الحديث الذين سبقوا غيرهم في هذا المضمار ؛ فوضعوا كتباً في ضبط أسماء الرجال من سلاسل السند، وعُنوا بالضبط والإعجام في متون الحديث، وأكدوا على ضرورة حفظ الرواية والإسناد والتلقي عن العلماء مشافهة، فهم رواد أصّلوا هذا العلم اللطيف الشريف ، وبيّنوا رسومه، وشادوا بنيانه (٩) .

أما علماء اللغة والأدب وسائر الفنون - غير الحديث- فهم مدينون لعلماء الحديث بأصول هذا المنهج ، فسار اللغويون من بعدهم على الاحترازا عن الخطأ والتصحيف والتحريف ، كما نلحظه في الضبط بالمثال عند صاحب القاموس المحيط (ت ٨١٧هـ) ، وغيره .

وأذكر هنا: أن بعض ذوي الأفهام القاصرة من طلاب العلم اليوم يتلقون عبارات القدماء في ضبط النصوص بلا اهتمام ؛ بل قد يصل الأمر ببعضهم إلى حدّ السخرية من صنيع القدماء ، حتى رأيت أحدهم يهزأ بضبط بعض العلماء (بالموحدة التحتية ، ثم المثناة الفوقية ...) وما سخر إلا لأنه لم يعلم فائدة هذا الضبط ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ (١٠) .

ومن أقدم المصنفين في ظاهرة التصحيف والتحريف: العلامة حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ) ، وكان مؤرخاً أديباً ثقة ، ألّف كتاباً سماه : «التنبيه على حدوث التصحيف» ، وتوالت التصانيف بعد ذلك ، مروراً بكتاب : «التنبيهات على أغاليط الرواة» لعليّ بن حمزة البصري (ت ٣٧٥هـ) ، وإن كان لم يسمّه بما يدلّ على فحواه، وكتاب : «شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف» ، لأبي أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري (ت ٣٨٢هـ) ، وكتاب: «تصحيفات المحدِّثين» له أيضاً ، وكتاب: «التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح» المسمى: أمالي ابن بري (ت ٥٨٢هـ) ... وغيرها من الكتب ، إلى أن كان كتاب «تصحيح التصحيف وتحرير التحريف» ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ ، (ت ٧٦٤هـ) (١١) ، وأشهر من تناولوا القضية بالدراسة من المحدثين العلامة المرحوم/ عبدالسلام هارون، والعلامة المرحوم / السيد أحمد صقر ، والمرحوم/ عبدالعزيز الميمني ، ومن الأحياء الأساتذة / محمود الطناحي ، والعوضي الوكيل، ورمضان عبدالتواب ... وغيرهم رحم الله منهم من مات ، وأمدّ في عمر الأحياء .

أسباب حدوث الظاهرة :

توجد أسباب عديدة لحدوث التصحيف والتحريف ، فصّلها محمود الطناحي في كتابه (مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي) ، فأتى على معظمها في عشرة أسباب ، وسنقف أمام بعضها تفصيلاً ، نعضدها بما أتيح لنا من أمثلة ، وهي خمسة أسباب ، تعدّ أهمّ الأسباب جميعاً وأكثرها دوراناً ، ثم نذكر الأسباب الأخرى مجملة ؛ لضيق المقام ، وإن كان ذلك لا يغضّ من شأنها :

١ - تشابه رسم الحروف العربية مع إهمال النقط :

وأمثلة التصحيف الناشئ عن هذا السبب عديدة ، منها ما ذكره العسكري بإسناده ، قال : «صحّف بعضهم : (لا يُوَرَّث حَمِيل إلا بَبيِّنة) فقال : (لا يَرِث جميلٌ إلا بثينة) » (١٢) ، والحميل : من يُحْمَل من بلده صغيراً ، ولم يولد في بلاد الإسلام ، وهي جملة مأثورة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ إذ كان بعضهم يدعي أنساب البعض ؛ فلا يُقبل ذلك منهم إلا ببينة .

والحروف العربية - شأنها شأن حروف معظم اللغات - تتشابه في رسمها ، وقد كان ترتيب الحروف العربية قبل ما هي عليه اليوم : (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) ، ويُعزى الترتيب الحاليّ إلى

نصر بن عاصم الليثي (١٣) (ت ٩٠هـ) ، وهو من التابعين ، وفي الترتيب الذي يُنسب إليه مَزِيَّتان ، إحداهما : جمالية ، تتمثل في ضمّ الإلف إلى أليفه ، فضمّ التاء والثاء إلى الباء، والحاء والخاء إلى الجيم ... وهكذا ، وقد كانت هذه الحروف متباعدة في الأبجدية الأولى التي أشرنا إليها . والثانية : علمية ، تتمثل في جعله حروف المدّ في آخر ترتيبه، فقد لحظ تشابهها في أمور كثيرة ، منها اشتراكها في مجيئها أصوات مدّ ، وكثرة التغييرات التي تعتريها ... إلخ .

ويعترض نسبة هذا الترتيب إلى نصر بن عاصم أمران :

أحدهما : ما نجده في فهرست ابن النديم من الإشارة إلى أن هذا الترتيب قديم جداً ، يرجع إلى ما قبل الإسلام (١٤) .

ثانيهما : أن هناك أثرًا من مرويات أبي ذر الغفاري (١٥) نصّه : «في حديث أبي ذر – رضي الله عنه قال : يا رسول الله : أي كتاب أنزله الله على آدم عليه السلام ؟ قال : كتاب المعجم، قلت : أي كتاب المعجم ؟ قال: أ ب ت ث ج ... قلت: يا رسول الله، كم حرفًا ؟ قال : تسعة وعشرون حرفًا» !

إن هذا الأثر – إن صحّ – سيفتح آفاقًا جديدة في الدرس اللغوي من جهات أهمها : ورود كلمة «معجم» في عهد رسول الله ﷺ ، معنياً بها حروف العربية مرتّبة ، ويُظَن أن أحدًا لم يطلع عليها معنياً بها الترتيب المعجمي المعروف فيما قبل عهد المعجمات العربية المعروفة ، وأقدمها ما صنعه الخليل بن أحمد في «العين» ، وفي هذا توثيق وتأصيل لاستعمالاتنا اللغوية .

ولو صحّ هذا الأثر أيضًا لكان دليـلاً على أصالة العربية لسائر اللغات (١٦) .

ولو صحّ هذا الأثر أيضًا لرجع بترتيب الهجائية الحاليّ إلى عصر سحيق، فهل الترتيب الحاليّ لنصر بن عاصم حقًا ؟ أو نقله نصر بن عاصم عن سابق ؟ أو أن نسبة هذا الترتيب إليه تكتنفها بعض الشكوك ؟ أسئلة تتوقف إجاباتها على توثيق الأثر السابق من مرويات أبي ذر .

٢ – **عدم الإلمام بلغات القبائل** :

وهذا سبب يؤدي إلى الوقوع في التحريف أو التصحيف ، ومن أمثلته : ما جاء في حديث قَيْلَة بنت مَخْرَمَة العنبرية التميمية ، قالت : «ثم انطلقت إلى أخت لي ناكح في بني شيبان أبتغي الصحابة إلى رسول الله ﷺ فبينما أنا عندها ليلةً تحسب عَنِّي نائمة ، إذ دخل زوجها من السامر ...» ، قولها : «تحسب عَنِّي نائمة» على لغة بني تميم ، وفيه العنعنة – وهي إبدالهم العين من الهمزة – قال ابن الأثير : «ورواه بعضهم : تحسب عيني نائمة ، والأول أحفظ وأشهر» (١٧) .

ورواية : «تحسب عيني» تحريف ناتج عن جهل الناسخ أوالراوي بهذه اللهجة التميمية ، فصاحبة الحديث تميمية ، واللغة عندهم فاشية مشهورة – أعني العنعنة – ، وقد وردت اللغة في موضع آخر من الحديث ذاته ، وذلك في قول حُرَيث بن حسان الشيباني – رفيق قَيْلَة صاحبة الحديث السابق – : «لا جرم عنّي أُشْهِد رسول الله عَنِّي لك أخ وصاحب ما حييت ...» (١٨) ، ويرجح ذلك أيضًا قول ابن الأثير: «والأولَ – يعني رواية العنعنة – أحفظ وأشهر» .

٣ – **قُرب الحروف أو بُعدها في الكلمتين أو الكلمة الواحدة** :

وهو سبب يُعزى إلى النُسَّاخ في عهد النسخ اليدوي، أو إلى وسائل الطباعة في عصر الطبع الآلي ، وهو – مع هذا – يُحدث آثارًا ضارة على النصّ المكتوب ، ومن ثم على من يتلقى هذا النصّ ، فقد تُقرأ الكلمتان على أنهما كلمة واحدة ، وقد تُقرأ الكلمة كلمتين !

وأعدّ من ذلك ما سمعته من أحد الدعاة وذكر حديثًا: «يحمل هذا العلم من كل خلف عَدُوٌّ له ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين» ، فطلبت منه إعادة الحديث علّه ينتبه ، فأعاد كالأولى ، فقلت له : يا أخي ليس هذا كلام رسول الله ولا يشبهه ، وصوابه : «يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُولُه ينفون ... » إلخ ، وأخذ يتمحّل قائلاً بعد أن أبلج الحقّ : إنما المقصود أن أعداء الدين يحملونه ، وهو من باب :

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَـةٍ
طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

فعلمت أنه يماري باطلا ، فأتيت له بحجّة دامغة ، وقلت له : كيف يستقيم «عدوّ» مع «ينفون» (١٩) ؟ فلم يحر جوابًا ، أرأيت إلى قراءة الكلمة الواحدة كلمتين ، وما أدت إليه من تحريف شنيع ؟ ومن عكس ذلك ، أي قراءة الكلمتين كلمة واحدة لتقاربهما وعدم وجود فاصل بينهما ،

ما أخذه المرحوم السيد صقر على المستشرق دي غويه ومن تبعه في تحقيق الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢٠) ، وأثبت فيه بيت لامرئ القيس :

عَلَى ظَهْرِ عَادِيٍّ تُحَارِبُهُ القَطَا
إذَا سَافَهُ العَوْدُ الدِّيَافِيُّ جَرْجَرَا

قال السيد صقر : «هكذا ضبطه دي غويه «تُحارِبُه القطا» وتبعه الأستاذ – يعني أحمد شاكر – وهو خطأ ، ولست أدري ما الذي صنعه العادي – وهو الطريق القديم – مع القطا حتى تحارِبُه ؟ والصواب : «على ظهر عادي تَحَارُ بِهِ القطا» و«تَحَارُ بِه القطا» تعبير شائع في الشعر القديم ! وأعدّ من هذا اللون التحريفي ما سمعته من بعض الزملاء أيام الطلب في الجامعة ، وكان يردد بيتين في مدح المتنبي لابن العميد ، يقول فيهما :

مَنْ مُبلغُ الأعرَابَ أنّي بَعْـــدَهُ
شَاهَدْتُ رَسْطَاليسَ وَالإسْكَنْدَرَا
وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتْــبِهِ
مُتَمَلِّكًا مُتَبَـدِّيًا مُتَحَضِّــــرَا

قرأ الشطر الثاني من البيت الأول : «شاهدت رسطًا لَيْس والإسكندرا» ، على أن «رسطا» اسم ، و«ليس» ناسخ! وكانت حروف الكلمة متباعدة فخدعته ، ونتج عن ذلك تحريف كما رأيت .

ومن قراءة الكلمة كلمتين ، ما ذكره ابن الأثير (٢١) في مادة (جدل) وتفسير الجديلة ، قال : «ومنه قول مجاهد في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ قال : على جديلته ، أي طريقته وناحيته ، قال شمر : ما رأيت تصحيفًا أشبه بالصواب مما قرأ مالك بن سليمان ، فإنه صحّف قوله «على جَدِيلَتِه» ، فقال : «على حَدِّ يَلْيه» !

٤ – **تصحيف السمع** :

وهو كثير شائع ، ويأتي غالبًا من طريق الإملاء ، فقد جرت عادة المصنفين الأوائل على أن يملوا كتبهم إملاء على تلاميذهم ، وتتفاوت قدرات التلاميذ في التنبه لما يملى ، وقد يكتب أحدهم الشيء على غير وجهه نتيجة لخداع السمع ، وربما كان المُملي ضابطًا متقنًا ، والمُملَى عليه جاهلاً أو غافلاً ، وهاك بعض الأمثلة :

– في الاحتفال الذي أقيم لمبايعة شوقي بإمارة الشعر – وحضره بعض الصحفيين وكانوا يعلمون أن نفرًا من الأدباء والشعراء يعارضون هذه المبايعة – جاء في قصيدة لحافظ إبراهيم :

أَمِيرَ القَوَافِي قَدْ أَتَيْتُ مُبَايِعًـــا
وَهَذِي وُفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي

لكن أحد الصحفيين سمع البيت : «وهذي وفود الشرّ قد بايعت معي» ظنًّا منه أن حافظًا ممن عارضوا شوقيًا في تقلده هذه الإمارة ، وسجل البيت في صحيفته على ما توهم (٢٢) ، وقوّى هذا الوهم لديه صحة وزن البيت على الرواية المصحَّفة ، وكأنه سمع إحدى القافين دون الأخرى «الشرق قد» !

– تنصّ قواعد اللغة على أن الوصف للأنثى من أفعل : فَعْلاء ، ومن فعلان : فَعْلى ، ولا يقال فعلانة إلا في لغة لبني أسد ، يقولون : سكرانة وعطشانة وريانة ... وقد يؤصِّل هذا بعضَ الاستعمالات العامية اليوم ، أما أفعل فلا يقال منه فعلاءة ، وقد رُوي أن الأحمر (ت ١٩٤هـ) زعم أنه يقال : حمراءة ، وبيضاءة ، فقال له الكسائي (ت ١٩١هـ) : ما سمعتُ هذا ! فقال الأحمر : بلى والله : سمعت أعرابيًا ينشد :

كَأَنَّ فِي رِيقَتِهِ لَمَّا ابْتَسَـــمْ
بَلْقَاءَةَ فِي الخَيْلِ عَنْ طِفْلٍ مُتِمّ

يعني السحاب ، فقال له الكسائي : ويحك ! إنما هو:

بَلْقَاءُ تَنْفِي الخَيْلَ عَنْ طِفْلٍ مُتِمّ (٢٣) !

ويعد هذا من أخطر ألوان التصحيف والتحريف ؛ إذ يترتب عليه خلاف لغوي ، ومنه أيضًا : – أن خلاف اللغويين في الضرس أمذكر هو أم مؤنث ؟ ناتج عن خطأ في السمع ، ذكر أبو بكر بن الأنباري ، قال : «والضرس من الأسنان مذكر ، وأخبرنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء أنه قال : الأنياب والأضراس كلها ذكران ، وقال السجستاني : ربما أنثوه على معنى السنّ ، قال : وأنكر الأصمعي تأنيثه ، قال : فأنشدناه قول دُكين الراجز :

فَفُقِئَتْ عَيْنٌ وَطَنَّتْ ضِرْسُ

فقال : إنما هو : وطَنَّ الضِّرْسُ ، فلم يفهمه الذي سمعه ، أخطأ سَمْعُه» (٢٤) .

٥ – **خفاء معنى الكلمة على الناسخ أو القارئ ، فيعدل بها إلى كلمة مأنوسة ، تؤدي المعنى على وجه يناسب السياق ، ومن أمثلة ذلك** :

– جاء في حديث استسقاء عمر بن الخطاب – رضي

الله عنه - بالعباس بن عبدالمطلب - رضي الله عنه - قال عمر : «اللهم إنا نتقرب إليك بعمّ نبيك وقفيَّة آبائه ...» قوله: قفية آبائه ، أي : تلوهم وتابعهم الذي يتلوهم ويقفوهم ، وجاء في بعض الكتب : «وبقية آبائه»، قال الطناحي: «وليس بشيء» (٢٥) . وهذا اللون من التصحيف يحتاج - في التعرف عليه - إلى محقق نابه فاهم فقيه في اللغة ودروبها، عالم فطن بالمخطوطات وأشكالها ، ونذكر من هؤلاء : السيد صقر ، والميمني ، والنجار ، ومحمود شاكر ، وعبدالسلام هارون ... فالشيخ النجار - رحمه الله - كان فطنًا فاهمًا ، وقد أرشدت مواضع كثيرة في تحقيقه للخصائص على خبرته بأسلوب ابن جني وتعبيراته المأثورة (٢٦) .

من ذلك أنه رجح رواية نسخة واحدة على رواية أربع نسخ مجتمعة من مخطوطة الخصائص ، حيث قال ابن جني : «فاعرف مما ذكرناه حال الساكنين حَشْوًا ، فإنه موضع مغفول عنه ، وإنما يُسْفِر ويَضِح مع الاستقراء له ، والفحص عن حديثه» (٢٧) ، رجح رواية : «يُسْفِر ويَضِح» على رواية «يستقرّ ويصحّ» التي تناسب السياق ، وقد اجتمعت على الرواية المرجوحة أربع نسخ من مخطوطات الكتاب ؛ لأن الأولى أشبه بكلام ابن جني .

ومنه ما ورد في الخصائص : «والمسائل من هذا النَّجْر تمتدّ وتنقاد» ، والنَّجْر : الأصل والشكل والهيئة ، وجاء في نسخ أخرى من المخطوط : «والمسائل من هذا النحو ...» ، لكن النجار - رحمه الله - رجح الأولى ؛ لأنها تتردد في تضاعيف كلام ابن جني ، وهي به أشبه ، مع ملاءمة الثانية للسياق . والذكاء والذوق الفطريان ضروريان إلى جانب الخبرة، أحمد الزين - رحمه الله- كان يعمل مع الأستاذ / أحمد أمين في تحقيق «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي (ت ٤٠٠هـ) يقول الطناحي : ووقفا أمام قول أبي حيان في وصف مسكويه: «وأما مسكويه ففقير بين أغنياء، وغبيّ بين أنبياء» وواضح أن الجملة الثانية غير مستقيمة ، فماهي الصلة بين الغباوة والنبوة (٢٨) ؟ وانقضى المجلس دون أن يصلا في العبارة إلى حلّ ، فلما كان الغد أقبل الشيخ الزين متهللاً فرحًا ، وقال: وجدتها ، لابد أن تكون : «وكان عَيِيًّا بين أَبْيِناء» وإن تعجب فعَجَبٌ أن الشيخ أحمد الزين هذا كان كفيف البصر ، وصدق أحكم الحاكمين : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢٩) . ومن الأسباب الأخرى لنشوء ظاهرتي التصحيف والتحريف (٣٠) :

٦ - اختلاف الخط العربيّ بين مشرقيّ ومغربيّ .

٧ - الجهل بغريب كلام العرب ، ويتصل به : الجهل بأنماط التعبير عند القدماء ، والجهل بسياق الكلام .

٨ - الجهل بمصطلحات العلوم .

٩ - الجهل بأسماء البلدان والمواضع .

١٠- الإلف .

خطورة التصحيف والتحريف :

التصحيف والتحريف آفتان ابتُلِي بهما التراث العربي والمصنفون العرب ، وقد كادا يغتالان تاريخ العلماء اغتيالاً ، وقد فُضِح بالتصحيف والتحريف جملة من أهل الأدب واللغة، ومن الأشراف والقضاة والرؤساء ، وهُجُوا به ، وبقي ذمهم خالدًا في بطون الكتب ، وكما هُجِي بالوقوع في التصحيف والتحريف علماء ، مُدِح بالاحتراس منهما والتحفُّظ آخرون ، من أشهرهم خلف الأحمر الراوية (ت ١٨٠هـ) رثاه الحسن بن هانئ ، فكان من مناقبه المعدودة عنده أنه :

لا يَهِم الحَاءَ في القِرَاءَةِ بِالْـ
ـخَـاءِ وَلَامَهَا مَـعَ الأَلِفِ
وَلاَ يُعَمِّي مَعْنَى الْكَلاَمِ وَلاَ
يَكُونُ إسْنَادُهُ عَنِ الصُّحُفِ (٣١)

ومما قيل فيه أيضاً :

أَوْدَى جِمَاعُ العِلْمِ مُذْ أَوْدَى خَلَفْ
رَاوِيَةٌ لَا يَجْتَنِي عَنِ الصُّحُفْ

وقد قالوا قديمًا : لا تأخذوا القرآن عن مصحفيّ ، ولا العلم عن صحفي .

ولئن قال الشافعي رحمه الله (ت ٢٠٥هـ) :

العِلْمُ صَيْدٌ والكِتَابَةُ قَيْدُهُ
قَيِّدْ صُيُودَكَ بِالْحِبَالِ الْوَاثِقَةْ
فَمِنَ الحَمَاقَةِ أَنْ تَصِيدَ غَزَالَةً
وَتَفُكَّهَا بَيْنَ الخَلاَئِقِ طَالِقَةْ

فقد قال غيره :

عَلَيْكَ بِالْحفظِ دُونَ الجَمْعِ فِي الكُتُبِ
فَإِنَّ للكُتُبِ آفَاتٍ تُفَرِّقُهَــــا
المَاءُ يُغْرِقُهَا ، والنَّارُ تَحْرِقُهَــا
والفَأْرُ يَخْرِقُهَا ، واللصُّ يَسْرِقُهَا

ولبيان خطورة التصحيف والتحريف على النصّ نسوق بعض الشواهد :

نشرت إحدى الصحف المصرية قصيدة غزلية للأستاذ العوضي الوكيل منذ ما ينيف على خمسين عامًا ، وكان منها هذا البيت :

وَحَدِيثُ العُيُونِ أَبْلَغُ تَأْثيـ
ـراً فَقُولِي كَلامَكِ العَبْقَرِيّاً

لكن جماع الحروف أسقط القاف من الكلمة الأخيرة، وجعل ختام البيت : «فقولي كلامك العبريّا» وظن القراء أن الرجل يتغزل بفتاة يهودية تتكلم العبريّة، وما هو كذلك (٣٢)!

التصحيف والتحريف يزريان بأقدار العلماء، ويحطان من منازلهم :

كان يكفي أن يُتَّهَم أحد العلماء بالتصحيف لينصرف الناس عنه ، غير عابئين بما يقوله ؛ لأنه - في نظرهم - والجاهل سواء .

وقد اتُّخذ هذا مدخلاً للطعن على بعض العلماء الثقات، فالأزهري - صاحب التهذيب - عندما أراد لكتابه الشهرة والذيوع طعن على من سبقه من مشاهير العلماء بالتصحيف والتحريف ، فقد اتهم ابن دريد (٣٢١هـ) بذلك وزاد ، وقال الأزهري (٣٧٠هـ) في حقّ كتاب العين : «وقد قرأت كتاب العين غير مرّة ، وتصفحته تارة بعد تارة ، وعُنيت بتتبع ما صُحِّف وغُيِّر منه ، فأخرجته في مواقعه ..» (٣٣) ، ونقل عن ثعلب (٢٩١هـ) قوله : «إن في العين حروفًا كثيرة أزيلت عن صورها ومعانيها بالتصحيف والتغيير ، فهي فاسدة كفساد الغُدَد وضرَرُها أكلها» (٣٤) ، وقال أيضاً : «وممن ألف وجمع من الخراسانيين في عصرنا هذا فصحَّف وغيَّر وأزال العربية عن وجوهها رجلان ..» (٣٥) ويكفي أنّ التصحيف والتحريف كانا من أهم الأسباب الداعية إلى إنكار نسبة كتاب العين إلى الخليل بن أحمد (١٧٠هـ) - رحمه الله - لكنا نقول هنا كلمة حقّ ، هي : إن نسبة التصحيف والتحريف إلى العين أو إلى الخليل - مع ما في ذلك من التحامل على الرائد صاحب العقلية الفذّة - أهون من نفي نسبة الكتاب برمته إلى الرجل ؛ لأن الخليل في النهاية بشر، وسبحان من تنزه كلامه عن التصحيف والتحريف ، كما أن الأمر قد يُعزى إلى نقلة كتاب العين أو نساخه ، وما لم يقم دليل قطعي على نفي نسبة العين إلى الخليل ، كان الإثبات مقدمًا على النفي كما يقول الأصوليون . ومن الأدلة النقلية التي تساق في هذا المقام - أعني مقام الاستدلال على أن التصحيف والتحريف من العلماء يفقدان الناس الثقة فيهم - أن ابن منظور (٧١١هـ) صاحب اللسان ذكر في مقدمته صحاح الجوهري (٣٩٨هـ) ، فأثنى على الترتيب وسهولة الوضع ، غير أنه استدرك قائلاً : «وهو مع ذلك قد صحَّف وحرَّف ، وجزف فيما صرَّف ..» (٣٦) ، مما يدلّ على أن هذا الأمر كان مزريًا بالعلماء والكتب ، وفي كتابَيْ الخصائص والمزهر نوادر من تصحيفات العلماء وسقطاتهم .

وقد أرادت إحدى الصحف في العصر الحديث أن تثني على همّة أحد الشيوخ ؛ لإصداره سلسلة من الكتب ، لكن جمَّاع الحروف في تلك الصحيفة أبى إلا أن يجيء الثناء منصبًّا على عمّة الشيخ لا على همّته ؛ لأنه جمع العين في الحروف بدلاً من الهاء ؛ فكان هذا الثناء العجيب مثار سخرية في محيط المثقفين (٣٧) !

التصحيف والتحريف يغيّران من مصائر الخلق :

فمما كتبه أبو أحمد العسكري عن شؤم التصحيف ، قال : «وأعظم من هذا أمر المخنثين بالمدينة ، فإنه خُصِي ستة أو سبعة منهم بشؤم تصحيفة ... كتب سليمان بن عبدالملك إلى ابن حزم أمير المدينة ، أَنْ أحص مَن قبلك مِن المخنثين ، فصحَّف كاتبه فقرأ : أَخْص مَن قبلك مِن المخنثين ، قال : فدعا بهم فخصاهم (٣٨) ... ، قالوا : وممن خُصِي في هذه النقطة : الدلال - وكان مغنيًا بالمدينة - وطُوَيس ، وله في الشؤم خبر طريف ، ومن خبره ما ورد في تاج العروس (٣٩) أنه قال عن نفسه :

إنني عبدالنعيم * أنا طاووس الجحيم * وأنا أشأم من يمشي على ظهر الحطيم

وهو أول من غنى بالمدينة في الإسلام ونقر بالدّف .. وهو من سبي فارس ، وكان خليعًا يُضْحِك الثكلى الحزنى،

ويُضرب به المثل في الشؤم ، ويقال : أشأم من طويس ... وكان يقول : يا أهل المدينة توقعوا خروج الدجّال ما دُمْت بينكم ، فإذا متُّ فقد أمنتم ، فتدبروا ما أقول» ، إن أمي كانت تمشي بالنمائم بين نساء الأنصار ، ثم ولدتني في الليلة التي مات فيها رسول الله ﷺ ، وفطمتني يوم مات أبو بكر رضي الله تعالى عنه .. وبلغت الحلم يوم مات عمر رضي الله تعالى عنه .. وتزوجت يوم قتل عثمان رضي الله تعالى عنه .. ووُلِد لي يوم قتل عليّ رضي الله تعالى عنه .. فمن مثلي في الشؤم ؟ قال صاحب تاج العروس : «اللهم أعذنا من بلائك» .

التصحيف والتحريف يؤديان إلى بناء الأحكام على أسس خاطئة ، ومن ثم تكون النتائج خاطئة :

من ذلك أن النحويين قالوا : تحذف «كان» بعد «أن» المصدرية ، ويبقى اسمها وخبرها ، ويعوض عنها «ما» ، واستشهدوا لذلك بشاهد واحد لا ثاني له ، هو (٤٠) :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ
فَإِنَّ قَوْمِيَ لَمْ يَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

وذكر بعض المحققين أن صحة البيت : «أما كنت ذا نفر» (٤١) ، فاشتبهت شرطة الكاف بفتحة توضع على الألف في «أنت» ، ورواه الرواة : «أما أنت» ، وأقام النحويون عليه قاعدة تدرس للطلاب إلى يوم الناس هذا ، وجعلوا منه شاهدًا عليها .

وأيا ما كان الأمر في قضية حذف «كان» فقد حققت رواية البيت ، وألفيته على ما ذكر المحقق ، وهو - أعني البيت - للعباس بن مرداس السلمي ، أحد شعراء صدر الإسلام ، من المؤلفة قلوبهم ، قيل إن أمّه الخنساء الشاعرة المشهورة ، والبيت في ديوانه / ١٥٣ على ما ذكرت «أما كنت» ، وبعده :

السِّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ
وَالحَرْبُ يَأْتِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرَعُ

من طرائف التصحيف والتحريف :

حكى بعض القضاة قال : «حضرت بعض مشايخ الحديث من المغفلين ، فقال : عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله عن رجل ... ، قال : فنظرت فقلت : من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله ؟ فإذا هو قد صحّف [وحرّف] ، وإذا هو : عن الله «عز وجل» (٤٢) ، ومن الواضح أن هذا صحفي أخذ عن الصحف لا عن شيخ !

وقال بعضهم يومًا : وقال الشافعيّ : ويُسْتَحَبّ في المؤذِّن أن يكون صَبِيّاً - بالياء الموحدة والياء المثناة آخر الحروف - فقيل له : ما العلة في ذلك ؟ قال : ليكون قادرًا على الصعود في دَرَج المئذنة ، وإنما هو صيِّتًا - من الصوت - (٤٣) .

وقرأ بعضهم على أبي عبيدة قول كثير :

ذَهَبَ الَّذِينَ فِرَاقُهُمْ أَتَوَقَّعُ
وَخَرَى بِبَيْتِهِمُ الغُرَابُ الأَنْفَعُ

فقال أبو عبيدة : وَيْحك ! إن عذرتك في الأولى لم أعذرك في الثانية ، أما سمعت بالغراب الأبقع (٤٤) ؟ أما الأولى فهي تحريف «جرى» بالجيم إلى «خرى» بالخاء !

وقد رأى بعضهم حافلة تقلّ الركاب بين مدينتين مصريتين إحداهما تسمى «كفْر الشيخ» ، وثانيتهما «شِرْبِين» فقرأها جملة مفيدة هكذا «كُفْر الشيخ شرٌ بَيِّن» !

وقرأ بعضهم في كتب الفقه : «لا صلاة إلا بفقه ووقار وسكِينَة ومَعرفة» ، فحرّف الأولى إلى «قُفّة» ، والثانية إلى «فأر» ، والثالثة إلى «سكِّينة» التي هي المُدْيَة ، والرابعة إلى «مغرفة» ، وقد تخيل أن الصلاة رحلة صيد وطعام وشراب !

وبعد :

فقبل أن ننهي حديث التصحيف والتحريف ، لا يفوتنا أن ننبه إلى بعض المحاذير :

أولها : عدم التسرع في الحكم على النصّ بالتصحيف أو التحريف ، وإنما لابد من التثبت والتروي ، فقد يكون المكتوب رواية إن كان المكتوب حديثًا أو شعرًا ، بل قد يكون قراءة إن كان المكتوب آية قرآنية ، وآية ذلك ما ورد في لسان العرب : وقوله تعالى : ﴿ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا ﴾ (٤٥) ؛ إذ يخاله من حفظ على رواية حفص ولم يطلع على القراءات الأخرى تحريفًا ، والواقع أنها قراءة، ففي النشر: «قرأ عاصم بالباء الموحدة من تحت ، واختُلف

عن هشام ، فروى الداجوني عن أصحابه بالباء كذلك ، وروى الحلواني وغيره عن هشام بالثاء المثلثة ، وبذلك قرأ الباقون» (٤٦) .

وليس معنى ذلك أن نقف مكتوفي الأيدي أمام النصوص التي أصابها عطب بالتصحيف أو التحريف ، إنما المراد أنّ قليلاً من التثبت والتحقيق - قبل القول بالتحريف في نص ما - قد ينقذ المرء من حرج كبير ، وللعلامة ابن جني نص طويل وافٍ في أدب الانفراد بالرأي، نقتبس منه قوله : «فكل من فُرق له عن علّة صحيحة ، وطريق نَهْجَة كان خليلَ نفسه ، وأبا عمرو فكره ... إلا أننا مع هذا الذي رأيناه وسوّغنا مرتكَبه ، لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي قد طال بحثُها، وتقدم نظرها ، وتتالت أواخر على أوائل ، وأعجازًا على كلاكل ، والقوم الذين لا نشكّ في أن الله - سبحانه وتقدست أسماؤه - قد هداهم لهذا العِلْم الكريم ، وأراهم وجه الحكمة في الترجيب له والتعظيم ، وجعله ببركاتهم ، وعلى أيدي طاعاتهم ، خادمًا للكتاب المنزل ، وكلام نبيّه المرسل ، وعَوْنًا على فهمهما ، ومعرفة ما أُمر به أو نُهي عنه الثقلان منهما ، إلاّ بعد أن يناهضه إتقانًا ، ويثابته عرفانًا، ولا يخلد إلى سانح خاطره، ولا إلى نزوة من نزوات تفكره ، فإذا هو حذا على هذا المثال، وباشر بإنعام تصفحه أحناء الحال ، أمضى الرأي فيما يريه الله منه ، غير مُعازٍّ به ، ولا غاضٍ من السلف - رحمهم الله - في شيء منه ، فإنه إذا فعل ذلك سُدِّد رأيُه ، وشُيِّع خاطره ، وكان بالصواب مَئِنة (٤٧) ، ومن التوفيق مظنة ، وقد قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : ما على الناس شيء أضرّ من قولهم ما ترك الأوّل للآخر شيئًا ، وقال أبو عثمان المازني : وإذا قال العالم قولاً متقدمًا، فللمتعلم الاقتداء به، والانتصار له، والاحتجاج لخلافه ، إن وجد إلى ذلك سبيلاً، وقال الطائي الكبير :

يَقُولُ مَنْ تَطْرُقُ أَسْمَاعَهُ
كَمْ تَرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِرِ ..» (٤٨)

فهذه جملة من الآداب التي يجب على طالب العلم والباحث في موضوعنا هذا أن يتمثّلها ، ويتسلح بها ؛ بل يحفظها حفظًا قبل أن يُمْضي رأيًا ما .

وثانيها : أن بعض العلماء القدامى قد استطرفوا فكرة التصحيف والتحريف ، فأنشأوا يختبر بعضهم بعضًا: ما تصحيف كذا ؟ مم صُحِّف كذا ؟ وأمثلة ذلك نطالعها في الكتب التي عالجت القضية .

وثالثها : أن هناك نوعًا من التصحيف يسمى «تصحيف القلب» ، وهو تصحيف علميّ يعدّه علماء البلاغة من المحسنات البديعية، وأطلق عليه المرحوم الرافعي اسم: «ما لا يستحيل بالانعكاس» ، والمقصود به : أن الجملة أو البيت الشعري يقرأ من الشمال كما يقرأ من اليمين ، ومن شواهد ذلك مما ورد في القرآن الكريم : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾ ، ترتيب الحروف من اليمين هو هو ترتيبها من اليسار ، وكذا : ﴿ رَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ ، ومما ورد في الشعر :

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلٍ
وَهَلْ كُلٌّ مَوَدَّتُهُ تَدُومُ

وقول القائل : * دَامَ عُلاَ العِمَادِ *

وقد نُظمت على هذا اللون قصائد طوال ، ناشئة عن استطراف الفكرة أيضًا ، والذي نلفت الانتباه إليه أن هذا اللون - وإن أطلق عليه البعض تصحيف القلب كما ذكرنا - لا شأن له بقضية التصحيف والتحريف التي طرحناها ، إلا من جهة الارتباط الاسمي فحسب ، والأمر الذي لا شك فيه أن تسمية الرافعي له بـ «ما لا يستحيل بالانعكاس» أكثر وضوحًا من جهة ، ولا توقع المطالع في اللبس من جهة أخرى - ا هـ .

الهوامش

١ - لسان العرب ، وتاج العروس (صحف ، حرف) ، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكري ١ ، وتصحيح التصحيف للصفدي ٤ ، وفقة اللغة د / صبحي الصالح ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

٢ - المصادر السابقة ، ومطالعات وذكريات للعوضي الوكيل ١١٢ .

٣ - البقرة ٧٥ . ٤ - النساء ٤٦ . ٥ - المائدة ١٣ .

٦ - العسكري ١٠ ، والصفدي ٩ .

٧ - مناهج تحقيق التراث د / رمضان عبدالتواب ١٥ ، ١٦ .

٨ - المزهر ١ / ١٤٤ : ١٧٠ .

٩ - مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي د/ محمود الطناحي٢٩١.

١٠ – يونس ٣٩ .

١١ – نشرت هذه الكتب جميعًا ، وهناك كتب أخرى تتناول القضية من قريب أو من بعيد مثل : تقييد المهمل وتمييز المشكل لأبي علي الغساني ، والمؤتلف والمختلف للآمدي ، وما اتفق لفظه واختلف مسماه في الأماكن والبلدان المشتبهة في الخط لأبي بكر الحازمي تنشره مجلة العرب السعودية برعاية علامة الجزيرة حمد الجاسر ... وغيرها .

١٢ – العسكري ٥١ . ١٣– انظر : الصفدي ١٤ ، وترجمة نصر بن عاصم في طبقات القراء لابن الجزري ٢/٣٣٦ .

١٤ – الفهرست لابن النديم ٨ ، ٩ .

١٥ – ورد هذا الأثر في اللباب في إعراب القرآن مخطوط لابن عادل ، ومقدمة كشف الظنون ١/١١ ، ومقدمة الصحاح للأستاذ / أحمد عبدالغفور عطار ٣٩ وبحثت عنه في مرويات أبي ذر في كتب السنة فلم أجده .

١٦ – أغلق اللغويون البحث في قضية أصل اللغات لأسباب من أهمها : فقدان الدليل القطعي ، وعدم الجدوى ، أما الأول فنسلم به ، وأما الثاني فيدور مع الأول وجودًا وعدمًا ، فلو وجد الدليل لظهرت الجدوى .

١٧ – انظر : منال الطالب في شرح طوال الغرائب لابن الأثير ٩٦ ومدخل إلى تاريخ نشر التراث للطناحي ٣٠١ .

١٨ – منال الطالب ٩١ .

١٩ – انظر : نص الحديث في اللسان (خلف) ١٠/٤٣٣ على الصواب .

٢٠ – انظر : نقدات السيد صقر على تحقيق الشعر والشعراء صدرت بها طبعة دار المعارف بمصر .

٢١ – النهاية في غريب الحديث ١/٢٤٨ تحقيق الطناحي ط الحلبي مصر .

٢٢ – مطالعات وذكريات للعوضي الوكيل ١١٣ .

٢٣ – العسكري ١٧٤ : ١٧٦ بتصرف .

٢٤ – المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/٢٥٥ تحقيق عضيمة .

٢٥ – مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي للطناحي ٣٠٦ .

٢٦ – انظر السابق ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

٢٧ – الخصائص ٢/٤٩٧ .

٢٨ – وجه استقباح عقد هذه الصلة ، كالوجه الذي عابوا به على بيت الشاعر :

فَأَلْفَيْتَ الأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا
كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لا يَخُونُ

قالوا : إنما يشبه بأوضح صفة في المشبه به .

٢٩ – الطناحي ٣١٥ ، والآية ٤٦ من سورة الحج .

٣٠ – انظر : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ٣٠٧ : ٣١٢ .

٣١ – التنبيه على حدوث التصحيف للأصفهاني ٧٢ تحقيق محمد حسن آل ياسين بغداد ١٩٦٧م .

٣٢ – مطالعات ١١٢، ١١٣ . ٣٣ – مقدمة التهذيب ٤٤ .

٣٤ – السابق والصفحة ذاتها . ٣٥ – مقدمة التهذيب ٤٧ .

٣٦ – لسان العرب ١ / ٣ .

٣٧ – العوضي الوكيل . مطالعات وذكريات ١١٤ .

٣٨ – الخبر عند : العسكري ٤٢ : ٤٤ ، والصفدي ١٧ ، وانظر : الأصفهاني في الأغاني ٤/٢٧٦ .

٣٩ – الزبيدي – تاج العروس (طوس) ٤/١٨١ .

٤٠ – انظر : شرح الأشموني على الألفية بحاشية الصبان ١/٢٤٤.

٤١ – رمضان عبدالتواب . بحوث ومقالات في اللغة ١٥٦ .

٤٢ – العسكري ١٧ ، ١٨ والصفدي ١٥ .

٤٣ – العسكري ١٦ ، والصفدي ١٦ . ٤٤ – الصفدي ١٩ .

٤٥ – لسان العرب (كثر) ٦/٤٤٦ ، والآية ٦٨ من سورة الأحزاب .

٤٦ – النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/ ٣٤٩ .

٤٧ – يقال : فلان مَئِنة بكذا ، أي : حقيق وجدير ، وفلان مظنة كذا ومن كذا أي : موضعه ومألفه .

٤٨ – الخصائص ١ / ١٩٠ وما بعدها .

الإعداد الأكاديمي في مجال المعلومات بدولة الكويت

ياسر يوسف عبدالمعطي

أستاذ مساعد بقسم علوم المكتبات والمعلومات

نهلة داوود الحمود

رئيسة قسم علوم المكتبات والمعلومات
كلية التربية الأساسية بالكويت

ملخص

تتعرض الدراسة لبرامج الإعداد الأكاديمي في مجال المعلومات بدولة الكويت ، التي يطرحها قسم علوم المكتبات والمعلومات بكلية التربية الأساسية منذ بداياتها الأولى والتطورات التي دخلت عليها حتى اليوم . كما تتناول الإمكانات المتوافرة والأنشطة والفعاليات القائمة ، وتطلعات المستقبل للنهوض بالمجال .

مقدمة

كانت بداية الإعداد الأكاديمي في مجال المعلومات على المستوى العالمي في برنامج قدمته جامعة جوتنجن Gottinen الألمانية في عام ١٨٨٦م ليتبعه في العام التالي البرنامج الشهير في جامعة كولومبيا الأمريكية تحت إشراف عالم المكتبات ميلفل ديوي . واليوم نجد أن الدول التي كان لها السبق في مجال المعلومات قد حققت السبق في مجال العلوم والتقنية وامتلكت القوة في عصر تقاس فيه القوة بامتلاك المعلومات والقدرة على استخدامها . فنجد آخر المعايير الأمريكية في مجال المعلومات بعنوان «المعلومات هي القوة» ، وتصف مجموعة مؤتمرات البيت الأبيض الأمريكي من أجل المعلومات والتي كان آخرها في عام ١٩٩١م تحت شعار «المعلومات سنة ٢٠٠٠» المكتبات بأنها ثروة قومية وأن المعلومات هي السند الأساسي للديمقراطية .

وقد بدأ الإعداد الأكاديمي في مجال المعلومات بالوطن العربي في مصر عام ١٩٤٦م وانتشرت بعد ذلك برامج الإعداد في هذا المجال في دول الوطن العربي ومن بينها الكويت الذي افتتح أول برنامج فيها عام ١٩٧٧م عندما تم إنشاء قسم علوم المكتبات والمعلومات بمعهد التربية للمعلمين (كلية التربية الأساسية حالياً) والذي قدم برنامجاً لإعداد مساعدي أمناء المكتبات تمتد فيه الدراسة على مدى سنتين بعد الدراسة الثانوية .

وعندما تحول معهد التربية للمعلمين إلى كلية التربية الأساسية في عام ١٩٨٦م طرح قسم علوم المكتبات والمعلومات برنامجاً «جديداً» على مستوى البكالوريوس يشترك في تقديم مقرراته مع قسم تكنولوجيا التعليم بالكلية لإعداد اختصاصيي مراكز مصادر التعلم حيث بدأت الدراسة في ذلك البرنامج منذ عام ١٩٨٧م .

الوضع الحالي للإعداد الأكاديمي في مجال المعلومات بالكويت

– أعداد الطلاب المسجلين بالبرنامج :

يعد قسم علوم المكتبات والمعلومات بكلية التربية الأساسية التابعة للهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب هو الجهة الأكاديمية الوحيدة بالبلاد التي تقدم برنامجًا للإعداد في مجال المعلومات . وهو برنامج يلقى إقبالاً متزايدًا من الطلاب . فبينما كانت الأعداد المسجلة في البرنامج في عام ١٩٨٧م هي تسعة وعشرون طالبًا وسبع وعشرون طالبة فإن أعداد الطلبة المسجلين بالبرنامج قد ازدادت لتصل إلى مئتين وتسعين طالبًا وثلاث مئة وسبع وأربعين (٣٤٧) طالبة أي ما مجموعه ست مئة وسبعة وثلاثون (٦٣٧) طالبًا وطالبة حسب الأعداد المتوقعة في العام الدراسي القادم .

– أعضاء هيئة التدريس بالقسم العلمي :

يضم القسم العلمي أربعة عشر عضوًا من أعضاء هيئة التدريس المتفرغين إضافة إلى ثمانية من أعضاء هيئة التدريس من غير المتفرغين وستة من المبتعثين للحصول على درجة الدكتوراه بالجامعات الأوربية والأمريكية ممن أوشك معظمهم على الانتهاء من دراسة البرامج التي التحقوا بها .

أعضاء هيئة التدريس المتفرغين بالقسم العلمي	١٤
الحاصلون منهم على درجة الدكتوراه	٦
الحاصلون منهم على درجة الماجستير	٨

كما يضم القسم العلمي الكوادر المساندة التالية إضافة إلى أعضاء هيئة التدريس :

سكرتارية	٣
إشراف على التدريس الميداني	٢
إشراف على الوسائل التعليمية	١
توجيه وإرشاد الطلبة	١

– المباني والتجهيزات المتاحة لقسم علوم المكتبات والمعلومات :

تتوافر للقسم العلمي والبرامج التي يقدمها المباني الحديثة والقاعات المناسبة للدراسة إضافة إلى ورش التطبيقات العملية في مباني القسم المخصصة للطلبة الذكور في منطقة العديلية ، وللإناث في منطقة الشامية . حيث تتوافر الورش والإمكانات التالية :

١ – ورشة الفهرسة والببليوجرافيا :

والتي يعتمد تدريب الطلاب فيها على التطبيقات العملية في مجالات الفهرسة ، والتصنيف ، والتحليل الموضوعي ، والتكشيف ، والببليوجرافيا .

٢ – ورشة المصادر المرجعية وبناء المجموعات المكتبية :

يدرب فيها الطلاب على التطبيقات العملية في مجالات المراجع العربية والأجنبية العامة منها والمتخصصة . وكذلك أدوات بناء المجموعات بدعم من مراكز معلومات خاصة بالكلية لخدمة برامج القسم العلمي في كل من العديلية والشامية ، إضافة إلى المكتبات الأخرى بالكلية .

٣ – ورشة الحاسب الآلي :

تتوافر مثل هذه الورشة في العديلية والشامية أيضًا كبقية الورش السابقة حيث هي مجهزة بالحاسبات الآلية الحديثة في نظام متكامل يسمح بتعريف وتدريب الطلبة على التقنية الحديثة وتطبيقاتها في مجال المعلومات .

٤ – مراكز المعلومات :

يتوافر للقسم العلمي وبرامجه مركزان للمعلومات أحدهما بالعديلية والآخر بالشامية ، وهي مراكز معلومات متخصصة بالمجموعات لخدمة برامج قسم علوم المكتبات والمعلومات تتاح فيها مصادر المعلومات المناسبة لدعم المقررات الدراسية والتدريبات والتطبيقات العملية في مجال المعلومات .

أنشطة قسم علوم المكتبات والمعلومات

انطلاقًا من موقع القسم العلمي وبرامجه كمصدر وحيد للإعداد الأكاديمي في هذا المجال بالكويت فإن القسم يحرص على نشر الثقافة والوعي في مجال المعلومات في البلاد بشكل عام عن طريق إقامة المحاضرات والندوات العلمية والمعارض إضافة إلى التعاون مع جهات سوق العمل ودعم برامج التنمية المهنية في الكويت وتقديم الاستشارات العلمية والفنية في مجال

المعلومات . ومن أمثلة تلك الأنشطة ما يلي :

– نماذج من الدورات التدريبية التي أسهم بها القسم العلمي :

١ – دورة أساليب التدريس الحديثة لضباط الشرطة – كلية الشرطة . (موضوعات البحث العلمي في المكتبات ومراكز المعلومات) ٢٥ / ١١ – ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٥م .

٢ – دورة أساليب التدريس الحديثة لأعضاء من هيئات التدريس بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب – كلية التربية الأساسية . (موضوعات البحث العلمي باستخدام المكتبات ومراكز المعلومات) ٤ / ١٠ – ١٩/ ١١ / ١٩٨٦م .

٣ – دورة مساعدي أمناء المكتبات – كلية التربية الأساسية ٢١ / ٢ – ١ / ٤ / ١٩٨٧م .

٤ – دورة مساعدي أمناء المكتبات – مركز التدريب أثناء الخدمة بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب .

٥ – دورة خدمات التوثيق والببليوجرافيا – مراكز التدريب أثناء الخدمة ٩ / ٣ – ١١ / ٤ /١٩٨٨م .

٦ – دورة فهرسة وتصنيف المواد السمعية والبصرية – مركز التدريب أثناء الخدمة ١/٢١ – ١٩٨٩/٢/٢٢م .

٧ – دورة الفهرسة الوصفية للمواد المطبوعة وغير المطبوعة – مركز التدريب أثناء الخدمة ٩ / ١٠ – ١١ / ١١ / ١٩٨٩م .

٨ – دورة التحليل الموضوعي لأوعية المعلومات – مركز التدريب أثناء الخدمة ٦ / ١٢ – ١٠ / ١ / ١٩٩٠م .

٩ – دورة أمناء المكتبات المدرسية – مركز التدريب التابع لوزارة التربية ١٥ / ١ – ٢٥ / ٣ / ١٩٩٠م .

١٠– دورة مساعدي أمناء المكتبات المدرسية – مركز التدريب التابع لوزارة التربية ١/٢٢ – ٣٠ / ١٩٩٠/١م .

١١– دورة التنمية المهنية في مجال بناء المجموعات – مركز التدريب أثناء الخدمة ١ / ٤ – ٢٠ / ٤ / ١٩٩٢م .

– برنامج الأبحاث العلمية للقسم العلمي :

يرعى القسم العلمي حالياً برنامجًا للأبحاث والدراسات العملية ضمن الخطة الخمسية للأعوام ١٩٩١ – ١٩٩٥ والتي تم إنجاز الأبحاث التالية ضمنها حتى الآن :

١ – الكشاف التحليلي للموضوعات التي عرضت في المواسم الثقافية بكلية التربية الأساسية منذ عام ١٩٧٩ وحتى ١٩٨٨م .

٢ – دراسة جدوى إعادة برنامج مساعدي أمناء المكتبات .

٣ – مراكز مصادر التعلم ودورها في العملية التعليمية .

٤ – الإنتاج الفكري الكويتي في مجال المكتبات والمعلومات .

– أسبوع المكتبات والمعلومات :

تمتد فعاليات هذا النشاط على مدى أسبوع ، ويحتوي على العديد من الأنشطة في مجال المكتبات والمعلومات ، والتي من أهمها ما يلي :

١ – ندوات ومحاضرات تخصصية في مجال المكتبات والمعلومات يشارك فيها المتخصصون من سوق العمل وأعضاء من هيئة التدريس بالقسم العلمي .

٢ – معرض للكتب والمصادر تسهم فيه دور النشر المختلفة لعرض الجديد وبيع المصادر .

٣ – معرض لإنتاج الطلاب من الأعمال العلمية والوسائل التعليمية .

وقد كان الأسبوع في العام الدراسي الماضي ٩٢/٩١ بعنوان «آثار العدوان العراقي على المكتبات والمعلومات بالكويت» في الفترة من ٢٠ / ٤ / ١٩٩٢م وحتى ٢٦ / ٤ / ١٩٩٢م والذي صاحبه معرض للوثائق التي خلفها العدوان في كلية التربية الأساسية ، والصور التي تبين الدمار الذي أحدثه في المكتبات ومراكز المعلومات بالكويت ، ومباني الكلية بشكل عام . كما صدر سلبوع يوثق فعاليات ذلك الأسبوع بعنوان «المكتبات والمعلومات بعد الغزو العراقي وتحرير دولة الكويت : أسبوع المكتبات والمعلومات» .

التطلعات المستقبلية لتطوير برامج المكتبات والمعلومات بالكويت

لما كان قسم علوم المكتبات والمعلومات بكلية التربية الأساسية هو المصدر الوحيد للتأهيل الأكاديمي لنوع نادر من العمالة (حتى على المستوى العربي) في الكويت . فإنه بلا شك تقع عليه مسئولية تلبية الاحتياجات الكمية

والنوعية من الاختصاصيين في هذا المجال لجميع قطاعات سوق العمل بالبلاد .

وقد قام قسم علوم المكتبات والمعلومات من خلال دراساته المستمرة لاحتياجات سوق العمل بتحديد احتياجات واضحة لتلك القطاعات على مستوى الدبلوم المتوسط والبكالوريوس من خلال أعمال لجنة بناء وتطوير البرامج بالقسم العلمي ، كما استعانت تلك اللجنة في ختام أعمالها بلجنة من الخبراء من الجامعات العريقة بالدول المتقدمة في هذا المجال من أجل تقويم البرامج والاحتياجات في مجال المعلومات بالكويت والتي أكدت ما توصلت إليه لجنة تطوير البرامج . فقطاعات المكتبات والمعلومات بالكويت وهي المكتبات العامة والمدرسية والأكاديمية والمتخصصة والوطنية بحاجة إلى أعداد كبيرة من المؤهلين على مستوى الدبلوم المتوسط والبكالوريوس في جميع تلك القطاعات والتي يمكن إجمالها للسنوات الخمس القادمة من واقع الدراسات الميدانية لقطاعات سوق العمل في المجال بحوالي ٧٠٠ اختصاصي على مستوى البكالوريوس إضافة إلى أعداد تماثلها تقريباً من مساعدي الاختصاصيين على مستوى الدبلوم المتوسط من الأعداد (١) ، (٢) .

وقد تولدت نتيجة لدراسة سوق العمل واحتياجاته بالكويت والحوار معه قناعة قوية لدى لجنة بناء وتطوير البرامج بقسم المكتبات والمعلومات ، دعمها أعضاء هيئة التدريس بالقسم العلمي ، بأهمية تحقيق استقلالية البرامج عن متطلبات كلية التربية الأساسية في مجال التربية والتي تفرض على جميع البرامج التي تقدمها الأقسام العلمية بالكلية ، التي تقع جميعها في مجال إعداد المعلم وهو مجال يختلف بالتأكيد عن مجال الإعداد لاختصاصي المعلومات . وقد دعمت لجنة الخبراء التي زارت الكويت مؤخراً من الدول المتقدمة لتقويم برامج المعلومات بالكويت هذا التوجه فقدمت التوصيات التي تؤكد على أهمية استقلالية برامج المعلومات حسب المعايير الدولية ، مما سوف يؤدي إلى تطوير البرامج التي يقدمها القسم العلمي لتصبح قادرة على تلبية احتياجات جميع قطاعات المكتبات والمعلومات بالكويت . إضافة إلى تحقيق المزيد من الاعتراف والإدراك بمكانة واستقلالية هذا التخصص في الكويت ورفع مستوى المهنة وممارستها ومعاييرها بالبلاد .

ومما يدعم هذا التوجه حالياً الزيادة المطردة وإقبال الطلبة على البرنامج في هذا المجال الحديث بالكويت والذي يعد خريجه من العمالة النادرة بالبلاد .

وقد قامت لجنة تطوير البرامج بقسم علوم المكتبات والمعلومات بإعداد الدراسات اللازمة لطرح برنامج على مستوى البكالوريوس لإعداد اختصاصيي المكتبات والمعلومات يغطي مجالات للكفاءات التخصصية والمساندة والثقافية كانت المجالات التخصصية فيه كالتالي (١) :

١ – مجال الأساسيات	1. Foundations
٢ – مجال بناء وتنمية المجموعات المكتبية	2. Developing library Collections
٣ – مجال تنظيم المجموعات والعناية بها	3. Organization and Maintenance
٤ – مجال خدمات المعلومات	4. Information Services
٥ – مجال الاتصال	5. Communication
٦ – مجال الإدارة	6. Management
٧ – مجال البحث	7. Research

وتوالي لجنة تطوير البرامج بقسم علوم المكتبات والمعلومات حالياً استكمال دراستها من أجل طرح هذا البرنامج الجديد لإعداد اختصاصيي المكتبات والمعلومات ، حرصاً على تلبية احتياجات كافة قطاعات المكتبات

والمعلومات بدولة الكويت .

١ - ياسر عبدالمعطي ونهلة داوود الحمود . «نحو برنامج للمكتبات والمعلومات بحث للاحتياجات وإطار لمجالات الإعداد» . **دراسات الخليج** (عن جامعة الكويت) دراسة تحت النشر ص ٦ - ١٤ .

٢ - Public Authority for Applied Education and Training . "The Department of Library and Information Science of PAAET : A Study and Recommended plan of Action" (A report by M. Aman, W. Fong, and A. Dimitroff, Dec. 19, 1992) , pp . 20 - 21.

٣ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . إدارة التوثيق والمعلومات . «ندوة تدريس علم المكتبات والمعلومات : التقرير النهائي والتوصيات» . **المجلة العربية للمعلومات** ، المجلد الثالث العدد الثاني ص ١٤٥ - ١٥٩ .

٤ - Public Authority for Applied Education and Training, pp. 25 - 32.

الخاطريات

لأبي الفتح عثمان ابن جنِّي

«مَسَائلُ مَنْسيَّة»

عبدالفتاح السيد سليم

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالقاهرة - جامعة الأزهر

لأبي الفتح عثمان بن جنِّي منهجٌ متميزٌ في دَرْس العربية ، بَعِيد عما أَلِفْنَاهُ من العلماء غيره ، من الاقتصار على تقعيد القواعد واشتراط الشروط . تبدو سمَاتُ هذا المنهج في حُسْن التلطف إلى استشفاف أسرار الفصحى ، والسَّعْي - بشغف - وراء الحكمة في ورودها على هذا النحو الذي وردت عليه : أصواتًا وألفاظًا وتراكيب ، ثم ما انطوى عليه كُلُّ ذلك من روعةٍ في النطق والأداء ، أو في النظم والتأليف ؛ حتى أن قارئ كتبه ليتأكد من أن هذه الفصحى هي اللغة الشريفةُ المختارةُ من حكيمٍ خبيرٍ لأهلها ، وللدين الحنيف الذي نزل كتابه بها .

ومن بين مؤلفات ابن جني التي سَعَتْ هذا السَّعي كتابٌ له باسم «الخاطريات» الذي ظُنَّ أنه مفقودٌ ، حتى عثر أحد الفضلاء على نسخة منه في مكتبة «الإسكوريال» بأسبانيا برقم (٧٧٨) ، مَعنونًا - خطأً - بعنوان (كتاب مجموع في علم البلاغة) ومن هذه النسخة التُقطتْ عدةُ صُور ، غدت مُيسرةً لمن يطلبها من البَحَثة والمكتبات ومراكز تحقيق التراث ، وفي مقدمتها «مركز تحقيق التراث بجامعة أم القرى» بمكة المكرمة - حماها الله وصانها من كل سوء - .

وفي سنة ١٤٠٦هـ - حين إعارتي للتدريس بجامعة أم القرى - يَسَّرَ الله لي الحصول على مُصَوَّرَة من هذه النسخة ، بفضلٍ من القائمين على رعاية هذا المركز العلمي الكبير ، وشَرَعْتُ في استنساخها وتحقيق نصوصها ، وقطعت في ذلك شوطًا ، إلى أن قرأت في نشرة (أخبار التراث العربي) التي تصدر عن معهد المخطوطات العربية بالكويت أن أحد الأخوة الكرام - وهو علي ذو الفقار شاكر - قد فرغ من تحقيق هذا الكتاب ، ودفع به إلى المطبعة ، فوقفت عن تحقيقه - على حُبٍّ له - وانتظرتُ حتى عُرِضَ الكتاب في الأسواق ، فضممته إلى مكتبي - منذ أشهر - آثرًا ما .

لقد قرأت الكتاب محققًا ، وأعجبت به إخراجًا ومضمونًا وتحقيقًا : أما الإخراجُ فَيَبْدُو في الورق المصقول ، والطبع المتقن ، والغلاف الفاخر . وأما المضمون فهو ما احتواه الكتاب من رأي لابن جني أو توجيه ، أو إيماءة إلى سرٍّ من أسرار لغتنا الشريفة ، وحسبُكَ بذلك ، وأما التحقيق فقد تَجَلَّى في عناية المحقق بتخريج النصوص والشواهد ، ووُفِّقَ في ذلك إلى الحدِّ البعيد ، ثم في الاهتمام برقم مسائل الكتاب ، وصنْع فهارس لها ولكلِّ ما ورد به من شواهد وأعلام وغيرها ، وزاد من تقديري للمحقق ما لمسته من صعوبة في قراءة كثير من ألفاظ المخطوطة ، وترتيب صفحاتها ، ومصادفة بعض السَّقَطات في أثناء مسائلها ، من غير إشارة إلى ذلك ، أو ترك مسافة بيضاء أحيانًا ، وهو - بلا شك - أمرٌ قد عنَّاهُ . وإن كان لي بعد هذا الإعجاب وذلك التقدير بَعْضُ ملاحظات على ما فعل المحقق الكريم من مخالفة لترتيب أوراق النص أحيانًا ، أو عدم الدقة في ضبط بعض الكلمات أحيانًا أخرى ، أو إساءة فهم لمراد ابن جني مرةً ثالثةً ، أو إهمال بعض النصوص والشواهد وتركها بلا تخريج أو فهرسة . وعسى أن أعود إلى ذلك كُلِّه مُفَصَّلًا في مقال تال ، إن شاء الله .

أمَّا ما أَعرِضُ له الآنَ فهو أن المحقق الكريم نَسِيَ أن يحقق كثيراً من مسائل الكتاب ، أو ينشرها - على الأقلِّ - بلا

تحقيق في جملة كتابه المطبوع ، وهي مسائل كثيرة (٨١) مسألةً أو خاطرةً من ابن جني ، وتقع في الأصل المخطوط في الصفحات : من صفحة (١٠٤) إلى صفحة (١٤٠) ، تضمنتها اللوحات المصورةُ : من اللوحة (٥٣) إلى اللوحة (٧٢) .

وأنا أستبعد أن تكون النسخة التي وقعت بيده غير النسخة التي تحت يدي ؛ إذ إن للكتاب نسخةً واحدةً فقط – هي نسخة الإسكوريال – وكلامُ المحقق نفسه يشهد بذلك . كما أستبعد أن يقوم بنشرها في كتاب تالٍ للكتاب المطبوع ، إذ لم يُشِرْ هو إلى ذلك ، لا في مقدمة الكتاب ولا في آخره ، فضلاً عن عدم الجدوى من ورائه علْمياً أو مالياً .

وكذلك استبعد أن تكون الصورة التي تيسرت له ناقصةً خاليةً من هذه اللوحة ؛ إذ إنه ذكر في مقدمة التحقيق العبارةَ التي خُتِمَ بها ، وهي قول الناسخ : «تَمَّ المجموع بحمد الله وعونه من كلام الإمام عثمان بن جني – رحمه الله تعالى – منقولاً من خطه ، وذلك بحلب المحروسة ، بالقرب من عمود الأَسْرِ ، بتاريخ شهر الله الأصمِّ ، رجبٍ سنة سبع وخمسين وستمائة» .

وهذا التذييل موجودٌ في اللوحة الأخيرة من الأصل المخطوط [اللوحة ٧٢] ، وهو يفيد أن النصَّ قد ظفر به المحققُ كاملاً ، قبل أن يشرع في التحقيق .

أغلبُ الظنِّ أن هذه الصفحات قد سقطت من المحقق عَفْوًا ، عندما شُغِلَ بترتيب صفحات المخطوطة ، وعَزْلِ ما جاء منقولاً عن الإمام ثعلب ، وما فسَّرهُ ابن جنِّي من شعر تابط شرّاً ، ووضعِ كل مجموعةٍ من ذلك في مواضعَ متصلة غير مُفَرَّقة – على خلاف ما جاء في المخطوطة الأصل .

وعلى كل حال : أنا سعيدُ الحظ ؛ إذ لم أُحْرَمْ من أن أشارك في إخراج تكملة لهذا الكتاب النادر من كتب ابن جني ، وهي تلك المسائل التي نَسِيَهَا المحقِّقُ لكتاب (الخاطريات) ، وأسأل الله التوفيق .

«المسائلُ مُحَقَّقَةً»

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – مسألة (اللوحة ٥٧ / أ)

قول الله سبحانه : ﴿ الحمدُلله ربِّ العالمينَ ﴾ ثم قال : ﴿ إيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة : ٢ ، ٥] ، فعاد إلى الخطاب .

وَجْهُ ذلك أنَّ حال الحمدِ في التَّقرُّبِ إلى الله عزَّ اسمُهُ دون حالِ العبادة ، فخصَّها بأنْ خاطبٍ مع ذكرها ، فكان ذلك أبلغ في معناه ، وأذهب في التقرُّب به ؛ لقُوَّة معنى الخطاب على معنى الغَيْبَة ، وبقدرِ ذلك ما قَوِيَ لُفْظُهُ .

ألا تراكَ تقول : قَام وقُمْتُ ، فإذا جمعتَ بينهما أضفتَ لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ، فقلت : قُمتُمَا ، وكذلك هو وأنت ، تقول : أنتما . ورأيتُكَ ورأيتُهُ ، ثم تقول : رأيْتُكُمَا ، وهو البابُ ، وكذلك قوله :

شَطَّتْ مَزَارُ العَاشِقِينَ وأصبَحَتْ
عَسِرًا عليَّ طِلابُكِ ابْنَةَ مخْرَمِ (١)

فذكرها بالغيبة في أوّلِ البيتِ ؛ لأنه لم يُخلِصْ فِعْلَهَا من الشَّطِّ له بعينه ، ولمَّا قال : (العاشقين) على لفظ الغَيبة فُهِمَ منه أنه هو أيضًا مشطُوطُ المزارِ معنىً لا لفظًا ، فساغ – لضعف المعنى – أن يذكرها بلفظ الغيبة . ثم لمَّا صَرَّحَ في آخر البيت بقوله : (عَسِرًا عَلَيَّ) بلفظ الخطاب أي (الياء) عدل إلى مخاطبتها بالكاف في قوله : (طِلابُكِ)؛ لأنه لمَّا صرَّحَ بذكرِ الشِّدَّة اللاحقة له في نفسه ، فَعَنَّاهُ الأمرُ ، ونال منه ، أدَّى بلفظ الخطاب ؛ تظلُّمًا منها ، واعتدادًا بما يلقاه من حُبِّهاَ .

فأمَّا قوله عزَّ اسمُهُ : ﴿ حتى إذا كُنتُم في الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس : ٢٢] . فإن العدول فيه عن الخطاب إلى الغيبة ، إنما هو لِضَربٍ من التصرف ، عَارِيًا عن معنى ما تقدم .

فإن قيل : فإذا كان ذلك إنما هو للتَّصَرُّفِ في القول، فَهَلاَّ كان ما عَلَّلْتَهُ أنت ليس كما ذكرت ؛ لخُلُوِّ هذا الموضع من الغرض الذي قَدَّمْتَ . قيل : أمَّا ما قدَّمناهُ ففي هذا من الاحتجاج له فائدة ، وأمَّا تجَرُّدُ الثاني مما في الأول في هذا الموضع فغيرُ قادحٍ فيما ذهبنا إليه ؛ لأن هذا لِغَرَضٍ ، وذاك لغَرضٍ ، وليس في شرط الأغراض أن تتساوى ، وذلك أنَّا قَدْ دَلَّلْنَا في كتاب (الخصائص) أن الحكم الواحد قد يكون مَعْلُولاً بِعلتينِ وأكثر من ذلك (٢) .

وأيضًا فإنه لو قال : (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم) لكان هذا لفظًا مقصوراً على الخطاب ، ولم يدخل فيه من غاب عنه إلا بالاستدلال من غير اللفظ عليه ، ولما قال سبحانه : ﴿ وجَرَيْنَ بِهِم ﴾ فجاء بلفظ الغيبة مع لفظ

الحضور جمعت الآية ذكرَ عموم النعمة ، وأنها على الحاضرين والمخاطبين ومن عداهم من الغيَّب الأبعدينَ .

وكذلك أيضًا لو كانت (حتى إذا كانوا في الفلك وجرين بهم) لأنه كان يكون كلامًا مقصورًا في الظاهر على ذكر النعمة على غير المخاطبين ، ثم يدخل فيه المخاطبون بالاستدلال ، لا بصريح الكلام .

فإن قلت : فلو كانت التلاوة : (حتى إذا كانوا في الفلك وجرين بكم) كان يكون ماذا ؟ .

فالجواب أنه كان يكون دون اللفظ الذي ورد به القرآن ، وذلك أنه موضع قد عمَّ فيه بالنعمة الحاضرون والغائبون جميعًا ، فكان تقديم اللفظ بالحضور أولى من تأخيره وتقديم لفظ الغيبة عليه ؛ لأن المخاطبين أشدُّ عنايةً في اللفظ من الغائبين ، فكان تقديم اللفظ بذكرهم أولى وأحجى من تأخيره .

ونحوٌ من ذلك قول رسول الله ﷺ : «أبدأوا بما بدأ الله به» (٣) وهو يريد الصفا والمروة .

ويدلُّك على مزيَّة ما يتقدم اللفظ به على ما يتأخر قوله عزَّ اسمُه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٤] فقدمَ في اللفظ أذْهَبَهُ في الاعتداد عليهم بنعمة الله عندهم ؛ لأن انكفاف أيدي أعدائهم عنهم ليس أدْعَى في الاعتداد عليهم من انكفاف أيديهم عن أعدائهم ، فاعرفه .

٢ – مسألة (اللوحة ٥٧ : ب)

ترى في اللغة ألفاظًا صالحة يتوالى فيها التضعيف واعتلالُ الأوَّل من المثلَيْن فيها ، وذلك كقولهم : الضِّحُّ والضِّيحُ (٤) . ونحوه قولهم : انْصبَّ (٥) وصابَ يَصُوبُ ، ومثله : قَطْقَطْتُ الشيءَ ، وقالوا في القَوْط : هو القطيع من الغنم (٦) . وقالوا : ضرَّه يَضرُّه وضارَه يَضُورُه ويَضيرُه . وقالوا : ضفَّةُ الوادي وضِيفُهُ وضِيفَتُهُ (٧) .

ومما تقاربت معانيه : فَرَّ يَفِرُّ ، وفَارَ يَفُورُ ؛ لأنه إذا فَرَّ فقد فارق موضعه ، وكذلك فار يفُور . ومثله : مَرَّ يَمُرُّ ، ومَارَ يمورُ . وقالوا : خَرَّ يخرُّ ، وخار يخُورُ ؛ لأنه إذا خار فقد انْحطَّ وضعُفَ . ومنه : سَلَّ يَسُلُّ ، وسَالَ يَسِيلُ ؛ لأنهما جميعًا مَعَان للسُّلاَل (٨) .

وقالوا : فَلَّهُ يَفُلُّهُ : إذا هزمه ، وقالوا : فال رأيُهُ يَفيلُ (٩) ؛ لأن هذا إلى ضَعَة وضعف . وقالوا : هَنَّ (١٠) [يَهِنُّ] إذا بكى ، وهَانَ يَهُونُ . وقالوا : ضَمَّهُ يَضُمُّهُ ، وضامهُ يَضيمُهُ (١١) ؛ لأن هذا غَضٌّ منه ، وذاك جمعٌ له ، ومنه قولهم : اجتمع من الأمر : إذا فرقَ منه . وقالوا : رَقَّ يَرِقُّ ، وراق الماءُ يَريقُ : إذا انصبَّ ، وإذا انصبَّ تفرقت أجزاؤه . وقالوا : انقضَّتْ البئر ، وتقوَّضَتْ (١٢) . وقالوا : زال يزُولُ ، وزال الشَّيْءَ يزيلُهُ ، وزَلَّ يَزِلُّ ، والمعنيان – كما ترى – مقاربان . وقالوا : حَقَّ عليه العذابُ ﴿ وحَاقَ بِهِمْ ما كانُوا به يستَهْزئُونَ ﴾ [هود : ٨]. وقالوا للشِّقِّ في الجبل: الشِّيقُ (١٣) . وقالوا : حَفَّهُ يَحفُّهُ : إذا جَلاهُ وأبرز صفحته ، وحاف عليه يَحيفُ ، وتَحوَّفَهُ : إذا انتقصه من حافاته .

وقالوا : ذهب شعاعًا : أي متفرقًا ، وشاع الشيءُ يشيعُ : إذا تفرق . وقالوا : غَمَّهُ يَغُمُّهُ : إذا ستره ، والغيمُ؛ لأنه يسترُ السماءَ ويحجبها . وقالوا : الغَرُّ للشِّقِّ الذي في الأرض (١٤) ، والغَوْرُ نحوه ، وغارَ على أهلهِ ، كقولهم : تساقط من الحفيظة والغَيْرَة .

وقالوا : شَكَّهُ بالرمح ، ورمح شَاك (١٥) . وقالوا : هَفَّت الرِّيحُ : أي جَرَتْ ، والهوْفُ والهَيْفُ : الريح الحارَّةُ تأتي من قِبل اليَمَن (١٦) ، وقالوا : عَادَهُ المرضُ : أي عاوده (١٧) . وقالوا : انْحلَّ عقْدُ وُدِّهِ ، وحال عن مودَّته وعَهْده . وقالوا : مَلَّ الشيءَ يَمَلُّهُ : أي تركه ، ومال عنه . وقالوا : قصَّهُ يَقُصُّهُ ، وانْقَاصَتْ (١٨) السِّنُّ : إذا انكسرت . وهو كثير جدًا ، وهو من باب تقارب اللفظين لتقارب المعنيين ، وكأنَّ اطِّرَادَ هذا وكثرته هو الذي شجعهم قليلاً – مع استكراههم التضعيفَ – على أن قالوا : دينار وقيراط وديماس (١٩) وديباج (٢٠) – فيمن قال : دَمَاميس ودَبَابيج . ومنه ديوان ، واجْلَوَّذا اجْليواذًا (٢١) ، فأمَّا قوله – فيما أنشده خَلَفُ الأحمرُ :

عَدَاني أنْ أزُورَكَ أُمُّ عَمْرٍو
دَيَاوِينُ تَشَقَّقُ بالمدَاد (٢٢)

فيحتمل أمرين : أحدهما أن يجعله بدلاً لازمًا ، كعيد وأعياد وعُيَيْد (٢٣) ، والآخر أن يكون واحدَ (دياوين) : ديَّانٌ أو دوَّانٌ (٢٤) ، فاستُغنيَ بـ (ديوان) المقلوب عن (دوَّان)، كما استغنوا بـ (لَمْحَة) عن (مَلْمَحَة) (٢٥) ، وبـ (ذكر) عن (مذْكِير) ، ونحوه . وكما استُغنيَ حاجة عن حائجة (٢٦) ، ويكون (ديَّان) هذا الذي استُغني بـ (ديوان) منه (فيعَّالاً) كديمَّاس فيمن قال : دَيَامِيس ، فيكون أصله على هذا (ديوَانًا) ، فقلبت إلى (ديَّان) ، فلما كُسِّرَ زال التقاء المعتلَّيْن ، فعادت الواو إلى الظهور . ويجوز أن يكون

(دَيْوَان) هذا الظاهر المستعمل (فَيْعَالا) خرج على أصله غَيْرَ مُعَلّ، كَضَيْوَن [٢٧]، ولا يكون - على هذا - أصله (بوَّان)، على أنه (فعَّال)، فاعْرِفْ ذلك.

٣ - مسألة (اللوحة ٥٣ / ب) وأنشد:

جَرَى فَأَوْدَعَ لَمْعَ الْبَرْقِ بُهْرَتَهُ
وجاءَتْ الرِّيحُ تخطو إثر ما صنعا [٢٨]

يصف فرسًا، وبُهرتُه: وَسطُهُ.

٤ - وأنشد: (اللوحة ٥٣ / ب)

وأضعف مأطور القرى كان جنّةً
من السَّيلِ غالتهُ الوليدةُ بالقهرِ [٢٩]

يصفُ نُؤْيًا.

٥ - وقال في قوله: (اللوحة ٥٣ / ب)

ما بين قُلَّةِ رأسه والمعصمِ [٣٠]

المعصمُ: موضعُ السِّوَارِ، فاستعاره هنا لموضع الخلخال، أراد: تأكل ما بين رأسه ورجله.

٦ - وأنشد: (اللوحة ٥٣ / ب)

وَلَفُوكِ أشهى لَوْ يَحِلُّ لنا
من ماءِ موهبةٍ على شَهْدِ [٣١]

الموهبةُ: الصخرة.

٧ - وأنشد: (اللوحة ٥٣ / ب)

إذا انقطع الإمَارُ تناولته
بأسباب قصارٍ أو طوالِ [٣٢]

الإمَارُ: القَلامةُ، يقول: إذا انقطعت مُدَّةُ رجلٍ تناولته المنيَّةُ بأسبابها.

٨ - وأنشد: (اللوحة ٥٤ / أ)

وكان لنا جُرحٌ قديمٌ عليكمُ
وأسلابُ جبَّارِ الملوكِ وحاملُهْ [٣٣]

حَامِلُهُ: فَرَسُهُ، يريد أنه سلَبَ ثيابه وفرسه.

(ع) هذا كقوله:

لها حافرٌ مثلُ قَعْبِ الوليد [٣٤]

٩ - وأنشد: (اللوحة ٥٤ / أ)

تركنا بالنَّواصِفِ من حُسَينٍ
نساءَ الحَيِّ يلقُطنَ الجُمانا [٣٥]

يقول: أمِنَّ، حتى لو تمكَّنُ امرأةٌ على لَقط جُمانها إذا سقط ما خافت، و (حُسَيْنٌ) موضع.

١٠ - وأنشد: (اللوحة ٥٤ / أ)

إذا البيداءُ أرملَ أصرماهُ
فَثَمَّ أُكلِّفُ الحِملَ الخَليلا [٣٦]

فأحمدُهُ على ما كان منهُ
ويَحمدُني إذا ترك المَقيلا

يقول: أنْحرُ بعيري لخليلي إذا لم يجدْ ما يأكله، وأُكلِّفُهُ حملَ رحلي، وأحمدُ فعلَهُ، ويحمدُني عند نزوله.

١١ - وأنشد: (اللوحة ٥٤ / أ)

تظلُّ به العِشارُ مُحرَّمات
ويَمنعُ أهلُها المعزى الرُّبَابُ [٣٧]

يصف موضعًا قد سَمِنَتْ عشارُهُ حتى انطبقت سِمَنًا، فيسدُّونَ أنفها؛ حتى تمنع من الأكل.

١٢ - وأنشد: (اللوحة ٥٤ / أ)

بَيْنَا يُحاكي الفَحجُ دمكَ الأحجارْ
يدحضُ منها كلُّ جلدٍ جعْظَارْ [٣٨]

هؤلاء قوم في وحلٍ قد نشبوا فيه، فهُم يتفحجُونَ كأنهم يحكُونَ الذين يطحنون بالأحجار. والجِعظَار: الغليظ الشديد.

١٣ - وأنشد: (اللوحة ٥٤ / أ)

ثُمَّتَ يَصدُرنَ إذا الرَّاعي صَدَرْ
في مثلِ جِلبَابِ العَرُوسِ ذي العطر [٣٩]

يريد: من طيبِ رائحة ما يأكل من النَّبتِ والعُشبِ؛ ولذلك قال أبو مَهديَّة [٤٠] لمَّا وَجَّهَ إليه أبو عمرو بن العلاء [٤١]: كيف تقول: ليس الطِّيبُ إلاَّ المسكُ، فلم يدرِ أنهم يريدون الإعرابَ، فأتى الحاديَ [٤٢]، وأتى بأدهانٍ وبخَجَرٍ، وأتى بَنَّةَ الإبلِ الصادرة. أي: من طيب ما تأكل تَجِدُ لها بَنَّةً [٤٣].

١٤ - وأنشد: (اللوحة ٥٤ / أ)

الشَّوْلُ والنُّطْفَةُ والذنوبُ
حتى ترى مَرْكُوَّها يثُوبُ [٤٤]

الشَّوْلُ: الماء القليل، والنطفة أقلُّ منه، وأكثر من الذَّنوب. والمركُوُّ: المصلَح. والهاء راجعة على الإبل. يريد: يُجمعُ شيءٌ إلى شيءٍ فيكثُرُ.

١٥ - [يقال]: **حيَّاكَ اللَّهُ وبَيَّاك، وبوَّاك** [٤٥]

١٦ - وأنشد: (اللوحة ٥٤ / ب)

تبدلَّتْ بعد الخيزرانِ جريدةً
وبعد ثيابِ الخَزِّ أحلامَ نائمِ [٤٦]

يقول: تبدلَّتْ بعد اللِّينِ شِدَّةً. و (الجريدة) السَّعَفَةُ. و (أحلام نائم): ثياب بالمدينة مشهورة.

فقد تركتْ خُزَيْبَةُ كُلَّ وغدٍ
يُمشَّى بين خاتامٍ وَطَاقِ (٤٧)

(خُزيبة) : مَعدنٌ من معادن الذهب . أي ترك الأوغادَ يمشُونَ في الطيالسة والخواتيم ؛ لكثرة ما أخذوا منه .

فَشَنَّ في الإبريقِ منها نزفا
من رصفٍ نازعٍ سيلاً رصفا (٤٨)

أي : شَنَّ في إبريق من الخمر نزفًا من الماء .

قال أبو العباس (٤٩) : دخلت على أحمد بن إبراهيم ابن إسماعيل بن داود الكاتب ، وعنده محمد بن عمرو بن علي الشيباني وجماعة من أهل الأدب ، وكان أحمد بِمَحَلٍّ من الأدب والفهم ، فسألوني عن هذا البيت ، فجهدتُ أن يفهموا تفسيره ، فلم يفهموه ، وافترقوا على تعجبهم من فهمي .

١٩ – وأنشد : (اللوحة ٥٤ / ب)

متى تُنْتَجُ البَلقاءُ يا سعدُ أَمْ مَتَى
تُلَقَّحُ من هذا النَّعَامِ شَوَائلُهْ ؟ (٥٠)

هذا مثلُ قولهم : دجاجتهم تحملُ كُرّاً (٥١) ، يُضربُ مثلاً للقوم إذا رفعوا أنفسهم فوق أقدارهم . ومثل قوله : قد طرقت ناقتهم بإنسانٍ (٥٢) .

٢٠ – وأنشد : (اللوحة ٥٥ / أ)

دعونا : نزالِ ، فلم ينزلُوا
وكانت نزالِ عليهِمْ أُطُمْ (٥٣)

و (أُطم) أي جعلناهم مثل القصر .

٢١ – وأنشد : (اللوحة ٥٥ / أ)

وشاربٍ ماوعاهُ بطنُ صاحبه
رِيّاً ، فأحياهُ ، مَيْتٌ بعد ما ماتا (٥٤)

يعني : ... (٥٥) إذا كَرَشَ البعيرُ ؛ لِعَوَزِ الماء .

٢٢ – مسألة : (اللوحة ٥٥ / أ)

قال سيبويه (٥٦) في تحقير (عِثْوَلّ) : عُثَيِّلٌ وعُثَيْوِلٌ (٥٧) واحتج بأنه ملحق بـ (قِرْشَبّ) فكما تقول في تكسيره : قَرَاشِبُ : فكذلك تقول : عَثَاوِلُ وعَثَاوِيلُ (٥٨) .

ثم إنه قال فيما بعد في (حَبَنْطَى) : إن شئت (حُبَيْط) بحذف النون ، وإن شئت (حُبَيْنط) بحذف الألف (٥٩) ، وقال : لأنهما ملحقتان بنوات الخمسة وكذلك قال في (كَوَأْلَل) إن شئت : (كُوَيْئِل) ، وإن شئت : (كُوَيْئِيل) (٦٠) .

وللسائل فيما بعد أن يقول : إذا كانت (عِثْوَلٌّ) عنده ملحقة بـ (قِرْشَبّ) حتى إنه قال : عَثَاوِلُ وعُثَيِّلٌ لاغير ، فَهَلاَّ قال أيضًا في حَبَنْطَى : إنه ملحق بـ (حبركَى) ، فقال فيه بحذف الألف لاغير ، كما تقول : (حُبَيرِكٌ) و (حَبَارِكٌ) وهلاَّ قال أيضًا في (كَوَأْلَل) : إنه ملحق بـ (سَبَهْلَل) ، فقال فيه بحذف اللام الأخيرة لاغير ، كما تقول : سَبَاهِل وسُبَيْهِل ، فنظيره : كَوَائِل وكُوَيْئِل . أو هَلاَّ – لما جعل حَبَنْطَى ملحقًا بـ (سفرجل) دون (حَبَرْكَى) حتى أجاز فيه حذف أيِّ الزائدين أُرِيدَ – جعل أيضًا عِثْوَلاً ملحقًا بـ (جردحْل) ، فَخَيَّر فيه بين حذف أيِّ الزائدين أريد ، فقال تارة ، عُثَيِّل ، وتارة عُثَيْل ، كما أجاز حُبَيْنِط وحُبَيط أو من جعله أيضًا بأن يجعل عِثْوَلاً ملحقًا بـ (قِرْشَبّ) حتى يقول : عثاوِل وعُثَيِّل ؛ قياسًا على قراشِب وقُرَيْشِب أولى من أن يجعله ملحقًا بـ (علَكْد وهلَّقس) ، فيقول فيه : عُثَيْل وعَثَائل لاغير ، فيحذف الواو لاغير ، كما يحذف أحد المثلين في قوله : عَلاكِد وهلاقس ، وعُلَيْكِد وهُلَيْقِس .

ويقال له أيضًا : إذا قلت (حَبَنْطَى) ملحق بـ (سَفَرجَل)، فهلاَّ أعطيت الملحق حكمَ الملحق به ، فقلت بحذف الألف لاغير (حَبَانِط وحُبَيْنِط) كما تحذف ما هي في موضعه ، وذلك قولك : فُرَيْزِد وفَرَازِد ، وسُفَيرِج وسَفَارِج . استَقَلَّ السُّؤَالُ (٦١) .

والجواب الذي ينبغي أن يُعمد في هذا أن يقال : إن الغرض في الإلحاق هو تشبيه مثال بمثال ، وكلما قَوِيَ الشَّبَهُ بينهما كان أذهب في الصيغة مما يقلُّ فيه التشبيه كـ (حَبَنْطَى) ملحق بـ (سَفَرْجَل) ، لا يمنع منه شيء ؛ لتخلُّص حروفه كتخلص حروف (سفرجل) وأمَّا (عِثْوَلّ) فَفيه مع الزِّنَة شيءٌ آخرُ – وهو الإدغام الذي فيه ، فـ (عِثْوَلّ) كـ (قِرْشَبّ) الإدغام في كل منهما واحد أشبهُ منه بـ (جِرْدَحْل) ، فكما تقول : قُرَيشِب وقُرَيشِيب لاغير ، كذلك تقول : عُثَيِّل وعُثَيوِيل وعُثَيِّيل لاغير، فاعرف هذا واكتف به.

وأمـا تركُ اقتصارهم على حُبَينط وحُبَيْنِيط ، كـ (سُفَيرج وسُفَيْرِيج) البَتَّةَ ، فلأنَّ هناك زائداً – هو النون – فلم يكن ليلزم لزوم الأصول .

٢٣ – (اللوحة ٥٥ / ب) ابن الأعرابي في قوله :

وأرَى كَرِيمَكِ لا كَرِيم كَمِثْلِه
وأرى بِلَادَكِ منقعَ الأجوادِ (٦٢)

أي : مروى العِطَاش .

(ع) (٦٣) هو عندي كقولهم :

فلو أنَّ رُمحي لم يخُنِّي انكسارُهُ

لقالوا : وجدنا خالداً شحَّ عارمِ (٦٤)

أي : عارمًا ، فكذلك كريمك ، أي . وأراك لا كريم مثلك .

ويقال : جيدَ الرَّجلُ فهو مجودٌ ، إذا عطشَ ، فكأن (الأجواد) جمع (مجوُد) ، كُسِّرَ مفعول على أفعال ، كما كُسِّرَ فاعل عليه في نحو : صاحب وأصحاب ، وشاهد وأشهاد ؛ وذلك لوقوع فاعل موقع مفعول ، كـ : ماء دافق ، أي : مدفوق ، وناقة ضارب ، أي : مضروبة ، وعيشة راضية ، أي مَرْضيَّة ، و ﴿ لا عاصمَ اليوم من أمر الله ﴾ ، أي : معصوم .

٢٤ – أنشد أحمد بن يحيى : (اللوحة ٥٥/ب)

إذا نظرت بلادُ بني طريف

بعَين أو بلاد بني صُبَاحِ (٦٥)

وقال : نظرت الأرضُ : إذا ظهر فيها

(ع) هذا من توكيد المجاز ؛ لأنه قال : (بِعَيْن) ، وإنما النظر بالعين تقليب البصر ، فهذا يدلُّك على فقه ما ذكرناه في كتابنا الموسوم بـ (الخصائص) من أن المجاز قد يؤكدُ ، كما تؤكد الحقائق (٦٦) ؛ ألا ترى إلى قوله :

إذا البيضةُ الصَّمَّاءُ عضَّتْ صفيحةً

بحربائها صاحت صيَاحاً وصلَّتِ (٦٧)

فَوكَّدَ (صاحت) بقوله (صيَاحًا) ، وليست هناك حقيقةُ صياح ، وله نظائر .

٢٥ – مسألة : (اللوحة ٥٦ / أ)

تكاد تستعمل مَعَارفُ أسماء الزمان نكرات ؛ ألا ترى شهور السنة وأيام الأسابيع والأعياد وما يجري هذا المجرى ، لا تَخُصُّ شيئًا بعَينه ، وذلك أن المحرَّم يَعُمُّ كُلَّ ما كان من الأوقات مثلَهُ . وكذلك شهرا ربيع والجُمَادَيَيْن . وكذلك السبت والأربعاء ، فتعرُّفُ ذلك كتعرُّف الأجناس ، نحو أُسامة وثُعالة وذألان وسمسم .

ومعلومٌ أن مفاد معرفة الجنس من ذلك مفادُ نكرته ؛ ألا ترى أن أسدًا وأبا الحارث يُستَفَادُ من كل واحد منهما ما يستفاد من صاحبه . وكذلك يوم عَرَفَة والنَّحر والفطر والأضحى ، هو شائعٌ في كل يوم يصادف تلك الحال .

فلما كان كذلك جاز للفعل أن يتناول كل شيءٍ منها ، فتعمل فيه ظرفًا ، وليس كذلك المكان ؛ لأنه ليس كلُّ ما كان كالبصرة بصرةً ، ولا كعُمَان (عُمَان) . فأمَّا اليومُ والَّليلةُ فكقولك : قمت ذلك المكان الذي قام فيه زيد ، وأيضًا فإنه لا يُرِدُ في اليد من الزمان حقيقةٌ تبلُّ بها ، وهو ألطفُ من أن يحصُلَ أصلاً ، يُعرَّفُ أو يُنكَّرُ ، فاعرف ذلك وما ماثله .

٢٦ – مسألة : (اللوحة ٥٦ / أ)

لا كيف وأم من ، ونحو ذلك ، بمنزلة : أرأيتك زيدًا ما صنع (٦٨) .

٢٧ – مسألة : (اللوحة ٥٦ / أ)

حدثني أبو سعيد الجنباني – عفا الله عنَّا وعنه – قال: كنت أُبَايِتُ الصُّوليَّ في جماعةٍ يلعبون عنده بالشِّطْرَنج ، فقال : يا ليلةُ ؛ كيف دستُك ؟ فقلت : ضعيفةٌ ! فقال : آه – كالمستثقل لي – فقلت له : شيءٌ أصلهُ لَعِبٌ ، الزيادةُ فيه نُقصانٌ ، فغضب عليَّ ، وأعرض عنِّي ، فعلمتُ ما جنيته ، فعملتُ له أبياتًا أمدحهُ بها ، وأعتذر إليه فيها ، فعاد لي .

٢٨ – مسألة – بخط أحمد بن يحيى : (اللوحة ٥٦ / ب)

قال أبو الوليد الحارثي :

نفسُوا القليل عليك منهُ ، وعندهُ

لو نالهُ منكَ القليلُ كثيرُ

أي : والقليلُ منك عنده – لو نَالَهُ – كثيرٌ ، ففي (نالهُ) [ضمير] القليل ، وهو فاعله . و (منه) من القليل الأول ، وفصل بينهما بـ (عليك) وهو معمول .

٢٩ – مسألة : (اللوحة ٥٦ / ب)

مثلُ الذِّكرِ والذِّكرى : القُربُ والقُرْبَى ، والبُوْسُ والبُؤْسَى ، ونحوُ من الذكر والذكرى : اليُسرُ واليُسرَى .

٣٠ – مسألة : (اللوحة ٥٦ / ب)

مما وقع فيه (فَعْلَ) للكثرة نحو قوله :

فَقَتْلاً بتَقْتِيل (٦٩) .. .. وقوله :

وَيَقُوتُها بِيَدَيْكَ كُلُّ مُنَقَّدِ (٧٠)

إلى غير ذلك ، قول الله تعالى : ﴿ ففتحنا أبوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ [القمر : ١١] ، ودليله موضعان : أحدهما أنَّ أبوابَ السماء كثيرة ، والآخر العطف عليه بقوله: ﴿ وَفَجَّرنا الأَرضَ عُيُونًا ﴾ [القمر: ١٢] إذا استعمل هنا (فَعَّلَ) واللفظ واحد ، أي (الأرض) ، حملاً على المعنى، فما ظنُّك بالأبواب ، وهي جمع لفظًا ومعنىً ؟

٣١ – مسألة : (اللوحة ٥٦ / ب)

قوله عزَّ اسمُه : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] سمَّى الأوَّلَ إحسانًا ؛ لأنه مقابل الجزاء – وهو الإحسان – والأول طاعة ، فكأنه قال : هل جزاء الطاعة إلا الثواب ، إلا أن هذا سُمِّيَ فيه الأول باسم ما بعده ، ونحوه – إن عَكَسْتَهُ – قوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] ، والأول كقولنا : أُدْخُلْ أُقْتُلْ ، حَمَلَ الأوَّلُ على الثاني (٧١) ، والآخر كمُنْذُ وشُدُّ ، وفِرٍّ وضَنٍّ في حمل الثاني على الأول (٧٢) .

٣٢ – مسألة : (اللوحة ٥٨ / ب)

مما يؤكد حال مشابهة (فَعْلَة) لـ (فَعْل) (٧٣) – على ما نقوله من حديث ترافع الأحكام (٧٤) – قولهم : شيء وأشياء – على قول الخليل ؛ ألا تراه ذكر أنها في الأصل فَعْلاَءَ (شَيْئَاءُ) فهذا – في أنه اسم للجمع على فَعْلاَء ، واحده فَعْل – نظير قولهم : قَصْبَة وقَصْبَاء ، وطَرْفَة وطَرْفاء وحَلْفَة وحَلْفَاء . ألا ترى إلى بنائك جمع (فَعْل) و (فَعْلَة) اسمًا على (فَعْلاء) ، فليُضَف هذا إلى ما كُنَّا أثبتناه في كتابنا (الخصائص) في (باب ترافع الأحكام) .

٣٣ – مسألة : (اللوحة ٥٨ / ب)

ينبغي أن تكون العلَّةُ في كثرة مجيء اسم الفاعل مما تجاوز ثلاثة على (فاعل) ، وقلَّة مجيء اسم المفعول فيما تجاوز الثلاثة على (مَفْعُول) نحو قولهم : أَوْرَسَ الرِّمْثُ فهو وَارِسٌ ، وأَيْفَعَ الغُلامُ فهو يافعٌ وأَبْقَلَ المكان فهو بَاقِل، وقوله :

يَخْرُجْنَ من أَجْوَازِ لَيْلٍ غَاضِي (٧٥)

وقوله : **يَكْشِفُ عَنْ جَمَّاتِهِ دَلْوُ الدَّالْ** (٧٦)

وقلَّة نحو قوله :

إذا ما اَستحمَّتْ أرضهُ من سمائه
جرى وهو مودوعٌ وواعِدُ مُصدقِ (٧٧)

وإنما قياسه (مُودَعٌ) ؛ لأنه مفعول من : وَدَعَ يَدَعُ ؛ إذا استراح واتَّدَعَ ، ومنقوله : أَوْدَعْتُهُ كـ (فَرَّ وأَفْرَرْتُهُ) ، وهَدَأَ وأَهْدَأْتُهُ – هو كثرة (فَاعِل) في الكلام وقلَّةُ (مفعول)؛ ألا ترى أن (فاعلاً) يكون : اسمًا كالكاهل والغارب والساعد . وصفةً كالضارب والراكب . ومصدرًا كالباغي والفالج والباطل . واسمًا للجمع كالسامر والدابر ، فلَمَّا كثر (فاعلٌ) عندهم جاز أن ينصرف إليه من (مُفْعَل) لا يوجد عندهم – على اعتقاد حذف الزيادة .

ولما كان (مفعول) لا يوجد عندهم إلا صفةً نحو : مضروب ومقتول ، وعَزَّ في كلامهم لم يخرج إليه عن (مُفْعَل) خروجهم إلى (فاعل) عن (مُفْعَل) ، إلا في هذا الحرف الشاذ ، وهو (مَوْدُوع) ، وأما قوله :

يَارُبَّ مُهْرٍ مَزْعُوقْ (٧٨)

فإنه كأنه من نشاطه قد صِيحَ به وزُعِقَ به ، فهذا كقوله :

إلىَ غير مَوْثُوقٍ من الأرضِ يذهَبُ (٧٩)

أي موثوق به . وكقول لَبِيد :

الناطقُ المبروزُ والمختومُ (٨٠)

أي المبروز به ، ثم حذف حرف الجر ، فلما حذف ارتفع الضمير ، فلما ارتفع تضمنه اسم المفعول .

٣٤ – مسألة : (اللوحة ٥٩/أ)

القول على (سِجِسْتَان) يجب أن يكون تاؤه زائدةً ؛ لمخالفة البناء بها مثال الأصول ؛ ألا ترى أنه ليس معنا في الرباعي (فِعِلٌ) نحو جعفرٌ ، فمثاله على هذا فِعِلْتَان . ويجوز – مع هذا – أن تكون التاء فيه أصلاً وإن لم يوجد في كلامهم فعِلٌ رباعيًا ؛ ألا ترى أنه قد يجوز مع الألف والنون من المُثُل ما لا يوجد على انفراده منهما ، نحو : رُبَّيْدان ورُيْهُقَان وهَيْرُدان وعُرَيْقِصَان (٨١) . فأما عَرَنْقُصَان – بالنون ، فليس كذلك ؛ لأنه قد جاء عنهم القَرَنْفُل ، ومثل العُرَيْقِصان : العُبَيْثَرَان والعَبَوْثُرَان أيضًا كذلك .

ونحو منه : التَّرْقُوَة والقَمَحْدُوَة وتحويٌّ في النسب إلى (تَحِيَّة) ومنه : خُطُوَاتٌ وحُسُوَاتٌ ، ولذلك نظائر .

فقد يكون على هذا (سِجِسْتَان) فِعِلاَّن كما كانت تاء تُرْجُمَان أصلاً ، وإن لم يكن يوجد في ذوات الأربعة (فُعْلُلٌ) ، فاعرف ذلك .

٣٥ – مسألة : (اللوحة ٥٩ / ب)

امتنع أبو الحسن (٨٢) [من] إجازة نحو قولهم : أَحَقُّ الناس بحال أبيه ابْنُهُ ، وقال : لأنه ليس في الخبر إلاَّ ما في المبتدأ ، وليس كذلك وَضْعُ الخبر ، بل وضعُهُ على تناول الفائدة منه .

قال أبو علي (٨٣) : فإن قلت : أَحَقُّ الناس بمال أبيه ابْنُهُ البرُّ به أو المُجدي عليه أو نحو ذلك ، كانت المسألة على فسادها أيضًا . قال : لأن الخبر نفسه الذي هو (ابْنُهُ) غير مفيد ، ولا ينفعه مجيء الصفة المفيدة من بعده ، لأن نفس لفظ الخبر غير مفيد ، وليس على هذا وضعُ الأخبارِ .

فإن قيل من بعدُ : فقد قال الله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ [الجمعة : ٨] ولولا الصفة الضَّامِنَةُ لمعنى الشرط لما جاز دخول الفاء في الخبر ؛ ألا تراك لو قلت : (إن الموت فإنه ملاقيكم) ، لم يَجُزْ ، كما لا يجوز : زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ . فَهَلَّا - كما جاز دخول الفاء لما ضمنه معنى الصفة من الشرط - جاز أيضاً : أَحَقُّ الناس بمال أبيه ابْنُهُ الْبَارُّ به ، ونحو ذلك ؛ لما اتَّصَلَ بالخبر من الصفة الزائدة [في] المعنى على مجرد المبتدأ .

قيل : جمعت بين أمرين متباعدين ؛ ألا تعلم أنه ليس من شرط المبتدأ أن يكون مفيداً . أمَّا من شرط الخبر أن تكون الفائدة مُجتناةً منه ، فإذا كان كذلك لم يُنْكَرْ أن تُتْبِعَ المبتدأ بما أُفِيدَ من صفته ، ولا تُتْبِعُ الخبر بما أفيد من صفته ، وهذا فرقٌ ظاهر مع أدنى تأمل .

٣٦ - مسألة : (اللوحة ٥٩ / ب)

إذا دخل على حرف الشرط واو الحال لم يُجَبْ - بذلك ورد كلامهم - وذلك قولك : أحسنْ إلى زيد وإنْ كفرك ، واشكُرْهُ وإنْ أساءَ إليك : أي أحسنْ إليه كافراً لك، واشكره مُسيئاً إليك .

فإن أُجيبَ الشرط كانت الواو عاطفة لا للحال ، وذلك كقولنا : أحسنْ إليه وإن كفركَ فلا تدعِ الإحسانَ إليه ، واشكُرْهُ وإن أساء إليك فأقم على شكره ، ونحو ذلك . فالواو الآن للعطف لا للحال ، ولو كانت لها لم يكن هناك جواب ؛ ألا ترى إلى بيت الكتاب :

عاودْ هَرَاةَ وإنْ مَعْمُورُهَا خَرِبا [٨٤]

أي : عاوِدْ هَرَاةَ خَرِبًا مَعْمُورُهَا .

وإنما كان ذلك من قِبَلِ أن الحالَ فضلةٌ ، وأصل وضع الفضلة أن تكون مفرداً كالظرف والمصدر والمفعول به ، ونحو ذلك . فلما كان كذلك لم يحسن الشرط إذا وقع في موضع الحال ؛ لأنه لو أجيب لصار جملة ، والحال إنما هي فضلة ، فالمفرد أولى بها من الجملة .

فإن قلت : فإن الشرط أيضاً جملةٌ ؛ ألا تراه من فِعْلٍ وفاعل ؟ قيل : الشرط - وإن كان جملة - فإنه يجري عندهم مجرى الآحاد ، من حيث كان محتاجاً إلى جوابه احتياج المبتدأ إلى خبره ، ولو كان له حكم الجملة الْبَتَّةَ ، لساغَ الاقتصارُ عليه .

ويدلُّكَ على ذلك أيضاً قول الله سبحانه : ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة : ٩٠ ، ٩١] وأمَّا هذه لا تقع بعدها الجمل ، إنما هو موضعٌ للمفردات ، كقولك : أما زيدٌ فمنطلقٌ ، وأما فَرْسَخًا فسار عبد الله ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى : ٩] . ولو كان للشرط حكم الجمل الْبَتَّةَ لما جاز أن تُبَاشِرَ (إمَّا) هذه ، فلما كان هذا حكم الشرط ووقعت قبله واو الحال لم يُجَبْ ؛ لأنه إذا لم يُجَبْ أشبه المفرد من حيث ذكرنا ، والحال بابُها أن تكون مفردةً ، فَأُصلِحَ اللفظ بذلك فإن قيل : ألا تعلم أن واو الحال إنما هي موضوعة لوقوع الجمل بعدها ، لا لوقوع المفردات ؛ ألا تراك تقول : مررت بزيد وهو جالس ، وضربت عبد الله وهو مشغول ...

٣٧ - مسألة : (اللوحة ٦٠ / أ)

لا هُمَّ إن الحَارِثَ بن رُهْمِ

أَوْذَمَ حَجًّا في ثِيَابٍ دُسْمِ [٨٥]

هذا كقول الله سبحانه : ﴿ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ [المائدة : ٨٩] وقوله :

قَوْمٌ إذا عقدوا عقداً لِجَارِهِمُ [٨٦]

ونحو : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ومثل قوله ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ قولهم : الذنب وأذنب ، ومنه قوله عز اسمُهُ : ﴿ فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [النساء : ١١٢] وقوله :

وحمَّلتني ذنب امْرِئٍ وتركتهُ [٨٧]

فاجمع بين هذه الأشياء من طريق المعنى .

٣٨ - مسألة : (اللوحة ٦٠ / ب)

أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي مَأْلُكًا إِنَّهُ .. .. [٨٨]

بالفتح والكسر ، فمن فتح جعله بدلاً من (مَأْلُكًا) ، فيصير كأنه قال : أبلغ النعمان عني أنه قد طال حبسي وانتظار . ويجوز أن يكون (مَأْلُكًا) على هذا القول حالاً من قوله : (أَنَّهُ) أي : أبلغهُ هذه الصورة رِسَالَةً ، ثم قُدِّمَ حال المفعول به عليه ، كقولك : ضربت قائمة هند ، وكقول العَجَّاج :

إذا سَمِعتَ صَوتَها الخرارا

أضمر يهوى وَقعُها الصَّرَّارا [٨٩]

أي : أضمر وقعها الصرار هاوياً ، ثم قدَّمَ (يهوى) وهو حال على صاحبها ، وهو (الصَّرَّار) فهو أوكدُ من الأول ؛ لأنه نظير : ضرب قائمة زيدٌ هنْدًا .

وأمَّا مع كسر إن فـ (مَأْلُكَ) مفعول به ، ثم ابتدأ

فقال : إنه قد طال حبسي وانتظار ، فكانت هذه الجملة بعد قوله : (مَألُكًا) مفسرةً للمألك ، كما أن قول الله سبحانه ﴿ إنَّ مَثَلَ عيسى عندَ الله كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ .. ﴾ [آل عمران : ٥٩] فصار قوله : ﴿خَلَقَهُ﴾ ثُمَّ كذا تفسيراً للمثل ، وكقوله : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمنوا وعملوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩] فقوله : ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجرٌ عظيمٌ ﴾ تفسيرٌ للوعد ، وكقوله :

عَشِيَّةَ ما ودُّ ابنُ غَرَّاءَ أنَّهُ
لها من سوانا إذْ دَعَا أبوانِ (٩٠)

فقوله : (أنَّهُ) إلى آخر البيت تفسيرٌ للودِّ .

ووجهٌ آخرُ ، وهو أن يكون قوله : (قد طال حبسي وانتظار) ذا موضع منصوب ، بدلاً من (مَألُكًا) ، فكأنه قال: أبلغ النعمان عني أنه قد طال حبسي ، فجرى مجرى قولك : أبلغه عني قام زيد وحدِّثْهُ عنِّي الحقَّ : أي أبلغه وحدِّثْهُ بذا اللفظ ، فهو كقولك : أخبرته أخوك قائم : أي أخبرته بهذا القول .

فالبدل إذَنْ مع المكسورة كالبدل فيما مضى مع المفتوحة ، إلا أن بينهما فرقًا ، وهو أنه إذا فتح ، فكأنه قال : أبلغهُ هذا المعنى إن شئت بهذا اللفظ وإن شئت بغيره ، حتى كأنه قال : قل له هو يصف لك ، ويشكو إليك طول حبسه وانتظاره ، أو ما هو فيه من امتداد زمان انتظاره وحبسه وغير ذلك .

٣٩ – مسألة : (اللوحة ٦١ / أ)

قالوا : مَرِضْتُ الرجلَ مَرَضًا ومَرْضًا ، فجاء المصدر لما حُذفت زيادته على فَعَل وفَعْل ، وقد جاء أيضًا على فُعْل، قالوا : فَحَشْتُ له فُحْشًا . إلا أنه أقْيَسَ ذلك (فَعْلٌ) مفتوح الفاء من موضعين :

أحدهما أنك إذا حذفت الزيادة عاد ثلاثيًا ، وأكثر الثلاثي (فَعَل) ، وأكثر (فَعَل) مُتَعدٍّ ، ومصدر (فَعَلَ) المتعدية (فَعْلٌ) كضربته ضَرْبًا ، وشتمته شَتْمًا ، فهذا هذا.

والثاني أن ما حذف زائده من الفعل أكثره (فَعْلٌ) ، منه جاء (وَحْدَهُ) ، وإنما هو مصدر أوحدتُهُ إيحادًا ، ومنه : عَمْرَكَ الله ، أي : عَمَّرْتُكَ الله تعميراً .

٤٠ – مسألة : (اللوحة ٦٢ / أ)

أنشد أبو العباس محمد بن يزيد ، لمحمد بن عبدالملك الزيات :

مَالي إذا غِبتُ لم أُذكَرْ بواحدة
وإن مَرِضْتُ فطالَ السُّقْمُ لم أُعَدِ
ما أعجبَ الشَّيءَ ترجُوهُ فتُحرمُهُ
قد كُنتُ أحسبُ أنِّي قد ملأتُ يَدِي

٤١ – (اللوحة ٦٢ / أ)

من باب (عَلِجٍ) وبابه قولهم : بُخْتِجٌ .

٤٢ – (اللوحة ٦٢ / أ)

وقال ابن عباس : لا بأس برَمْيِ الحِدَوْ (٩١) – يريد الحدأ ، ومثله : حِبْلَوْ ، وأفْعَوْ .

٤٣ – (اللوحة ٦٢ / أ)

وقال : أدام الله إمْتَاعَ المناعي

بِطُولِ بَقَاءِ سـيِّدِنا المُطَاعِ
فنحنُ بِطَولِهِ وعلى يديـه
بنوُا الإنْعَامِ والعَدْلِ المُشَاعِ

٤٤ – مسألة : (اللوحة ٦٢ / أ)

حدثني أبو القاسم المظفَّرُ بن المغيرة عن أبيه عن جدِّه – وكان يُخصُّ (٩٢) بأبي تمام ويجفُ عليه – قال : دخلت يومًا على أبي تمام ، وإذا هو مُوتزِرٌ بفُوطَة ، مُتَّشِحٌ بأخرى ، وبين يديه دواوين العرب ، ينظر في هذا ، ثم في هذا ، ثم يَجْمُ (٩٣) شيئًا ، ويُثْبِتُ بيده شيئًا يكتبه ، وإذا هو في شدة قدمسَّتُهُ ، قال : فقلت له : يا سيدي أنت والله في أمر عظيم ينال منك ، وأُشْفِقُ منه عليك ، فلو اقتصرت على بعض هذا ، فإن الناس يكفيهم عفوُكَ من جُهْدك – أو كلامًا هذا نحوُهُ ، أشكُّ أنا فيه ، إلا أن هذا طريقه – قال: فقال لي : وَيكَ ، إنها (٩٤) قلائدُ تبقى في أعناق الرجال ، فانظر : بماذا تُقَلِّدُهُمْ ؟ .

٤٥ – مسألة : (اللوحة ٦٢ / أ)

كان أبو علي – رحمه الله – يقول في النداء : إن فيه معنى الفعل ، قال : ألا ترى أنه إذا قال لها : يا زانيةُ ، وجَبَ عليه الحدّ، كما [أنه] إذا قال لها: زَنَيْتِ – كان كذلك.

هكذا كان – رحمه الله – يقول مُرْسلاً – كما ترى –

والذي أُرَاهُ في هذا أنه ينبغي أن يكون معنى الفعل مُفادًا من معنيين : لفظ المنادى ، [ومعناه] إذا كان فيه معنى الفعل ؛ ألا ترى أنه إنما يُفادُ معنى الفعل على قدْرِ لفظ المنادى ومعناه ، فإذا قال له : يا قائمُ ، أُفيدَ منه معنى القيام ، وإذا قال له : يا قاعدُ ، أُفِيدَ منه معنى القعود ، وإذا قال له : يا ساكتُ ، أُفيدَ منه معنى السكوت . وإذا

قال له : يا متكلمُ ، أُفيدَ منه معنى كلامه .

فلو كـان هذا أمـرًا من نفس (يا) لما تناول الشيءَ وضدَّهُ ، واستـمـر هكذا . فـقـد علمت [من] ذلك أنه إنما ينبغي أن يكون معنى الفعل مُفَادًا من نفس المدعوّ ، لا من لفظ (يا) ، يؤكده عندك أنه لو قال : يا زيد ، أو : يا عبدالله، أو : يا جعفر – لما أُفِيدَ هناك معنى فعل غير ما يفيده (يا) من معنى النداء ، كما يفيد (هَلْ) من معنى الاستفهام ، و (بَلْ) من مـعنى الإضـراب ، و (مِنْ) من مـعنى الابـتـداء والتبعيض وليس هذا أراد ؛ ألا ترى أنه قال : لو قال لها : يا زانيةُ ، حُدَّ ، والإنسانُ لا يُحَدُّ للنداء ، وإنما يُحَدُّ للقذف ولو كان هذا أمرًا راجعًا إلى نفس النداء لوجب أن يكون لو قال له : يا زَيدُ ، حُدَّ ؛ لوجود لفظ النداء هناك . وكذلك لو قـال لهـا : يا هِنْدُ ، ويا جُمْلُ . وهذا واضحٌ ، ويؤكـد عندك ما ذكرنا قوله :

وَيومَ عقَرْتُ لِلعَذارَى مَطِيَّتِي
فيا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا المُتَحمَّلِ [٩٥]

ألا ترى أن فائدة القول : ويوم عقرت للعذارى مطيتي : يوم عقرت فَعجِبتُ لرحلها المتحمل ؛ ألا ترى كيف عطف العجب على العَقْر ، فمعنى العجب مُفَادٌ من لفظه ، لا من لفظ (يا) ، فافهم ذلك .

٤٦ – مسألة : (اللوحة ٦٢ / ب)

من قُوَّة شبـه الظرف بالفـعـل أن شُرِطَ به ، وأن أُجيبَ الشـرط به ، وقـوله تعـالى : ﴿ إذا هم يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم : ٣٦] ، وأن عُطفَ على الفعل، وعُطفَ الفعل عليه .

٤٧ – مسألة : (اللوحة ٦٢ / ب)

من باب قوله : مِئْبَرةُ العُرْقُوبِ إشْفَى المِرْفَقِ [٩٦]

قوله :

يتقيَّلُونَ ظِلالَ كُلِّ مُطهَّمٍ
أَجْلَ الظَّلِيمِ وَرِبقَةَ السِّرْحَانِ [٩٧]

فاجمع بينهما :

ومنه قوله : **طبقُ الأرضِ تحرَّى وتَدُرّ** [٩٨]
أستـغـفرُ الله وأستقيلُهْ
ما أنا ممَّن سَيْبُهُ يَهولُهْ
أشدُّ من نُزُوله رَحيلـه [٩٩]

٤٨ – (اللوحة ٦٣ / أ) وقوله :

رُبَّ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لَفَفتُ بِهَيْضَلِ [١٠٠]

من باب (العوادِر) [١٠١] ، فاجمع بينهما .

٤٩ – (اللوحة ٦٣ / أ)

كان يقال : أربعٌ لا يشبعن من أربع : عينٌ من نظرٍ ، وأنثى من ذكرٍ ، وسَمعٌ من خبرٍ ، وأرضٌ من مطرٍ .

ينبغي أن يضاف إليها خامسة : وقَلبٌ من فِكْرٍ .

٥٠ – مسألة : (اللوحة ٦٣ / أ)

ينبغي أن تكون لام (المزيَّة) ياءً ، حتى كأنها مقلوبة من : مَيْزَتُهُ من صاحبه ؛ لأن صاحب المزيَّة مُمَيَّزٌ من غيره ومُؤثَرٌ .

٥١ – مسألة : (اللوحة ٦٣ / أ)

قال أبو علي – رحمه الله – بِحَلَبَ سنة ست وأربعين: ما لي صديق إلا واشتهي أن يكون كتاب أبي الحسن [١٠٢] في معاني القرآن عنده ، وقلت له يومًا ببغداد – أظُنُّهُ سنة خمس وسبعين – شيئًا ذكرت فيه أبا الحسن عَلِيَّ بن عيسى بن الرُّمَّانيِّ – عفا الله عنَّا وعنه – وأبو الحسن إذ ذاك قد جاوز الثمانين ، فقال : نعم ؛ هو حَسْبِي . وكان أبو علي – رحمه الله – في هذا الباب ونحوه جَبَّارًا ، يرَى نفسهُ وأهْلَ هذا الشأن بحيث هِيَ وهُمْ ، وقد كان فيما يراه منه معذورًا ، بالإضافة إليهم ، فإنه كان فيه أَجْدًا [١٠٣] ، ولا ... [١٠٤] إليه أحَدًا .

وكان يُعظِّمُ أبا عثمان [١٠٥] ، ويكاد يَعْبُدُ أبا الحسن ، ولم يكن أبو العباس عنده إلا رُجَيْلاً ، ولم تكن جنايته عنده على نفسه في تعقبه كلام سيبويه بكتابه الموسوم بـ (الغَلَط) [١٠٦] إلى غاية . وكان أبو عمر [١٠٧] في نفسه قَصْدًا ومُتَسلِّمًا ، وكان بأُخَرَة ، رُبَّما جَمَّشَ أبا بكر [١٠٨] وقدَّمَهُ ، ولم يكن رأيُهُ فيه متأخرًا رأيَهُ فيه متقدمًا . وكان عن أبي إسحاق [١٠٩] راضيًا ، مهما عمله به في كتاب (الإغفال) الذي رَدَّ به عليه .

وذاكرته يومًا بابن كَيْسَانَ [١١٠] ، فرأيته قائلاً به ، ومشتغلاً بمذهبه وقال لي أبو بكر محمد بن الحسن – وقد جئته لأقرأ عليه كتابه في الجمهرة – وبدأت برسالته لأقرأها عليه ، فقال لي : أنت و الله يا أبا علي أعلمُ بهذا الأمر مني ، فقلت : لابُدَّ من قراءتها على كل حال ، هي سماع . وقال لي : عملت كتابي في إصلاح الإغفال للرَّدِّ على أبي إسحاق ، قبل سنة عشرين وأنا جالسٌ في الرَّواقَيْنِ، يُطَافُ الحَرُّ إليَّ ، ورِجْلايَ مُدَلَّيَتانِ إلى الطريق .

وقال لي : كان قد أصاب رجلي حَرٌّ ، ونزل فضلٌ ، ففضلت ، وأشار عليَّ الطبيب بلزوم الدار ، فأقمت بصَفٍّ

شـوُنَازَ أربعينَ يومًا ، لا أترك ، وكـان يعتـادني بعض الفقهاء ، يقرأ كتاب (الأيمان) لمحمد (١١١) ، فأملَلتُ عليه فيه شيئًا صـالحًا ، وأومأ إلى أنه كثير وحسنٌ ، وعملت على انتساخه منه ففاتني ذاك ، ولم أتمكن منه فيما بعد ؛ لعائقٍ ذكره . وقال لي : لم أُودِعْ كتابي في (الحُجَّة) شيئًا من اطلاع أبي العباس غير جمعه بين الآية التي هي قوله سبحـانه وتعـالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ [الجمعة : ٨] وبين البيت الذي هو قول زهير :

وَمَن هابَ أسبابَ المنايا يَنلْنهُ
ولو رامَ أن يَرقى السَّماءَ بِسلُّمِ (١١٢)

وقـال لي بحلبَ سنة ست وأربعين : إذا كـان عند الإنسان كتاب أبي عبيدة في (المجاز) ، وكتاب أبي الحسن في (إعـراب القـرآن) ، وكـتـاب قطرب في (الرد على الملحدين) - استغنى مع ذلك عن هذه الكتب الطُّوال .

٥٢ - (اللوحة ٦٣ / ب)

قال أبو العباس أحمد بن يحيى : قلت لأبي يوسف يعقوب بن السكِّيت :

أكـان قُطْرُبٌ يُتَّهَمُ في روايته ؟ فـقـال : وَ أيُّ تهمة عندي عنه ... (١١٣) ، ولا أُوثِرُ أن أروي عنه حرفًا .

(ع) ليس هذا رأي أصحـابنا في قُطْرُبٍ ، ومـا هو عندهم بروايته إلا ثقة .

٥٣ - (اللوحة ٦٣ / ب)

أعلم أن جميع مـا حذف منه حرف الجر مع الفعل تحقيقًا فلن يعدو أن يكون قد نُظِرَ فيه إلى أنه في معنى فعْلٍ يصل بنفسه ، من غير حرف جر يُوصِلُهُ ، وذلك نحو قوله :

أَستغفرُ اللهَ ذَنباً لستُ أُحصيهِ (١١٤)

أي : من ذنبٍ ؛ ألا تراه في معنى : أَستَوْهِبُ اللهَ ذنبًا ، وكذلك قوله :

أَمرتُكَ الخيرَ فافعل ما أُمِرتَ بهِ (١١٥)

ألا ترى أن معناه : ألزمتُكَ الخيرَ ، وأشعرتُكَ الخيرَ ، وأوجَبتُ عليك الخيرَ ، وكذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ [الأعراف : ١٥٥] أي من قـومـه ؛ ألا ترى أن مـعناه : سَلَبَ مـوسى قـومـه سبعين رجلاً ، وأفقدَ قومه سبعين رجلاً ، وابتَزَّ قومه سبعين رجلاً ؛ لأنه إذا اختارهم منهم ومازهُم عنهم فقد ابتزهم أياهم ، وأفقدهم أياهم ، وسلبهم إياهم .

وكـذلك قـوله تعـالى : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين : ٣] أي : كالوا لهم ، أو : وزنُوا لهم ألا ترى أن معناه : عَامَلُوهُمْ أخسَرُوهُمْ .

وكذلك قوله :

إذا قالت حَذَامِ فَأَنصِتُوها (١١٦)

أي : فأنصتوا إليها ؛ ألا ترى أن معناه : إذا قالت فَأَوْلُوهُ أَسْمَاعكم . فتأمل جميع مـا يعرِضُ في اللغة من هذا النحو ، فإنك لا تعدمُ فيه نحوًا مما أَرَيتُكَ في هذا . وكُلُّهُ من باب الحمل على المعنى ، وقد ذكرنا من هذا ونحوه في كتابنا (الخصائص) (١١٧) شيئًا كثيرًا ، فَلْيُضَفْ هذا ونحوه إليه بإذن الله .

وكذلك ما زِيدَ فيه حرف الجر ، نحو قوله تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] زاد الباء لما كان معناه : لا تُعْطُوا بأيديكم إليها .

٥٤ - مسألة : (اللوحة ٦٤ / أ)

قـول الله عَزَّ اسـمُهُ : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾ [المطففين : ٣ ، ٤] إن شئت : كـانت (يظن) هنا بمعنى (يعلم) وهو فَاشٍ في اللغة، نحو قوله :

فَقُلتُ لَهُم : ظُنُّوا بِأَلفَي مُدَجَّجِ (١١٨)

أي : تيقنوا . وإن شـئت : كـانت (يظن) هنا على بابهـا تصورًا وتظنِّيًا ، وهو مع ذلك أقوى مـعنىً . وإنما كان أقوى معنى ؛ لأنه يصير إلى أنه كأنه قال : ألا يتوهم أولئك أنهم مبعوثون . أي فقد يُقنعُ في هذا بالتوهم ، ففيه كَافٍ من تحققه بالعِظَمِ الأمر وشدته ، فيكون إذَنْ كقول الشاعر :

يَكْفيكَ من شَرٍّ سَمَاعُهُ (١١٩)

أي : فـقد يجب - لتوهم البعث والنشور ومـا هناك وعظم الأمر وشـدته - أن تُجتنبَ المعاصي ، وتُحذَرَ كُلَّ الحَذَرِ ، فضلاً عن تحقيق الأمر والقطع بنفسه ، فلذلك كان أبلغ .

٥٥ - مسألة : (اللوحة ٦٤ / ب)

من أحكام الوقت والابتداء [ما] يُبنَى عليها غيرها ، فإن المسائل فيه كثيرة وحَسَنَةٌ ، وقد يُعلَمُ كثيرٌ من الحلال والحرام بها .

اعلم أنـه إذا تداخل الوقفـان اعتُمِدَ أهمـهـمـا ، وهـو أشدهما إيضاحًا للمعنى ، وذلك كقول الله سبحانه :

﴿ يَضْحَكُونَ (١٢٠) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المطففين : ٣٤ - ٣٦] فمن جعل قوله : ﴿ هل ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ معمول المعنى لـ (ينظرون) أي : مُتَأَمِّلُونَ هل كان كذا . فعلى هذا ينبغي أن يكون الوقف على قوله ﴿ الْأَرَائِكِ ﴾ ثم تستأنف فتقول : هل ينظرون ، هل كان كذا .

وإنما كان هذا من الوقف المتداخل ؛ لأن قوله : ﴿ ينظُرُونَ ﴾ حال من الضمير في ﴿ يَضْحَكُونَ ﴾ (١٢١) فقد يجب على هذا ألاَّ يكون الوقف على ﴿ ينظُرُونَ ﴾ ؛ لأنه حال من الضمير في الجملة المتقدمة ، وإذا كان حالاً منه لم يحسن أن تفصل الحال مما هي منه ؛ لأنها جزء من الجملة كلها ، لأنه لو فعل ذلك (١٢٢) لا تنتفض المعنى مما يسبق إلى النفس (١٢٣) ؛ لأنه كان يصير قوله : ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ مستأنفًا من كلام الله تعالى ، لا حالاً مما قبله ، فيكون حينئذ في استئنافه على أنه من كلام الله تعالى وَجْهُهُ ، بمنزلة قوله تقدست أسماؤه في قصة بلقيس : ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (١٢٤) ؛ لأنه لما انتهى كلامها إلى قولها : ﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فكأنه نظير قوله : ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ﴾ مستأنفًا من كلام الله كهذا . وليس على هذا هو عند من كان معناه عنده : ينظرون هل ثوب الكفار أي : يتأملون هذا كقوله عز اسمُهُ : ﴿ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا ﴾ [الكهف : ١٩] أي : فليتأمل الحال في ذلك .

فإذا خيف هذا اللَّبْسُ المؤدي إلى نقض الغرض احتُمِلَ فصل الحال مما قبلها ؛ لأن ذلك أمر صناعي ، ولم يَجُزْ فصل المنصوب المُعَلَّق الفعل عنه أعني قوله : ﴿ هل ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ﴾ لأنه أمر معنوي ، وقد دلَّلْنَا في كتابنا الموسوم بـ (الخصائص) على أن عناية العرب بمعانيها أشرف وأَوْكَدُ من عنايتهم بألفاظها (١٢٥) ، فذلك تفسير ما أردناه من تداخل الوقفين ، وأنه يجب أن يُعتَمَدَ أقواهما ، ويُتَسمَّحَ في أدناهما ، فاعرِفْهُ .

٥٦ - مسألة : (اللوحة ٦٥ / أ)

وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُلاقِي الحُرُوبَ بأن لا يُصابَ فقد ظَنَّ عجزا (١٢٦) ينبغي أن ينصب (عَجْزًا) على المصدر ، أي : فقد ظن ظَنًّا عاجزًا ، وصفَ المصدرَ ، وحَذَفَ الموصوف ، وأقام مُقَامَهُ . ولا يجوز الرفع في قوله : (بِأَنْ لا يُصَابَ) ، لأنه إذا وقع بعد الظن ذُهِبَ به مَذْهَبَ العلم ، ولا يجوز أن يُعْلَمَ الشيءُ بخلاف ما هو عليه ، فافهم .

٥٧ - مسألة : (اللوحة ٦٥ / أ)

يَمُرُّ بِنَا في الخطِّ القديم نحو قوله :

طَاوِ المصيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْعَزِهِ (١٢٧)

(طَاوِ) - كما ترى - بغير ياء ، وله وجه من القياس ، وذلك أنه مضاف ، والمضاف لا ينفك من المضاف إليه ، وبعد الياء من (طاوي) لام التعريف ساكنة ، وذلك الياء يسقط لالتقاء الساكنين ، فَبَنَوْهُ على الوصل الذي تسقط فيه الياء - لما ذكرنا ، فصار طَاوِ المصير - كما ترى . ومثله كَتْبُهُمْ : ذات مَالٍ - ونحو ذلك - بالتاء ، كما ترى ؛ وذلك أنه لا يوقف عليها لأنها مضافة إلى مال ونحوه ، وإذا اتصلت كانت تاءً على الأصل لا مَحَالَةَ ، فعليه كتبوا : ذا مال ، وذات عقل ، ونحو ذلك بالتاء ، وإنما (ذات) ، تأنيث (ذا) ، فهي كـ (شاة) إلا أن الإضافة لَزِمَتها ، فاتصلت فكتبت تاءً - على ما يجب في أصلها ، وهو التاء .

٥٨ - مسألة : (اللوحة ٦٥ / ب) قال :

وإنِّي لأبكي اليومَ من حَذَرِي غداً
فِرَاقَكِ ، والحَيَّانِ مُؤْتَلِفَانِ (١٢٨)

قد قلت قديماً في هذا البيت : إن (غدًا) مفعول به ، لا ظرف ، و (فراقك) بدل منه ، أي : فراقك فيه . وأَجَزْنَا فقلنا :

فما حيلتي إنْ جَدَّ بَيْنُ أحبتي
وعيناي مِنْ ذكرِ النَّوى تكفانِ
فيا حاديَيْ عَيْرِ المليحة وقفةً
شَفَيْتَ مِنَ الأحزانِ أن تقفانِ

٥٩ - مسألة : (اللوحة ٦٥ / ب) قال :

وَأَعلمُ أنَّ تَسليماً وتركاً
للامُتقارِبانِ ، ولا سَوَاءُ (١٢٩)

فيه ثلاثة أشياء :

أحدهما : الدلالة على أن نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته ؛ ألا ترى أنه قال : وأعلمُ أن التسليم والترك لا متقاربان ولا سواء . وفيه : إدخال لام الإثبات مع (لا) النافية ، وسببه أنه محمول على معنى (غير) ، فكأنه قال : لَغيرُ متقاربين ولا سواء . وأما قوله :

لَمَّا أغفلتُ شُكرَكَ فاصطنعني
فَكَيْفَ وَمِنْ عَطَائِكَ جُلُّ مَالِي (١٣٠)

فإنه شَبَّه (ما) النافية بـ (ما) التي بمعنى الذي شَبَهًا

لفظياً ، وكما شبهت (لا) هنا بـ (غير) فكذلك شبهت (لا) بـ (غير) أيضاً في قولهم :

جئت بلا مالٍ ، أي : بغير مال .

وفيه : أنه قال : للامُتَقاربان ، ثم قال : لا سواء . وإذا لم يتقاربا فهما أبعدُ من الاستواء ، وكان أوفق من هذا أن يقول : للاسواء ولا متقاربان ، فيبدأ بالأعلى ، ثم ينحطُّ منه إلى الأدنى .

٦٠ – مسألة : (اللوحة ٦٥ / ب) قال شاعرنا :

جَلَلاً كما بِي فَلْيَكُ التَّبريحُ (١٣١)

أراد : فَلْيَكُنْ التبريح ، فحذف النون لالتقاء الساكنين وفيه قُبْحٌ ؛ للإدغام الذي بعده . وأنت تقول : فلان من (بَنْجَار) وتريد : من بني النجار ، قياساً على بَلْعَنْبَر وبَلْحَارث ؛ إلا أن فيه ما أذكره – فتأمله – وذلك أن هذا البيت من بحر الكامل ، وتقطيعه :

جللن كما * بي فل يكت * تب ري حو

متفا علن * مس تف علن * مف عو لن

أفلا ترى التاءَ الأولى من التبريح قابلت نون (مس تف علن) ، وهي آخر الجزء ، وللعرب في مقاطع الأجزاء ومسافة ما يحذف من استيفاء الحرف ، ويَقْوى ذلك ويَضعُفُ بحسب عادة المنشد من إدراجه وتمثيله لا شيء ما إذا حدا لو ترنم (١٣٢) فإن الوقوف على مقاطع الأجزاء يكون آمَنُ وأوضحُ ، فلما كان كذلك علمت به الوقفة على تاء (فَلْيَكُنْ) إذا حصلت هناك وقفة ما انفصل في اللفظ عن تمام لفظ الإدغام ، وإذا ضعف هنا أمر الإدغام – لما ذكرنا – جرى نحواً من مجرى بلحارث وبلعنبر في ترك الإدغام ، فاعرف ذلك ؛ فإنه لطيف بإذن الله ، ونحوٌ منه ما كُنَّا رأينا قبلُ في قول :

ولقد يَغْنَى به جيرانُك المُمْ
سكو منْك بأسباب الوصال (١٣٣)

في أنه حذف النون من (المُمْسكو) في آخر المصراع الأول ، وهذا مما يزيد في ثِقَل الاسم للوقفة العارضة عند انقضاء المصراع الأول ، فلماء أفرط طوله حسن حذف النون لذلك ، وليس كذلك قوله :

الحافظو عَوْرَةَ العشيرةِ (١٣٤)

لأن هذا العمل في مصراع واحد . ولَعَمْرِي ؛ إن الواو من (الحافظو) في آخر الجزء الذي هو (مستفعلن) ، إلا أنك تعلم أن الوقفة في آخر الجزء ليست في تمام الوقفة في آخر المصراع ، فاعرف ذلك .

٦١ – مسألة : (اللوحة ٦٦ / أ)

ما جاء من استعمال المعتلِّ العين مُصَحَّحًا ، كما في : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ [المجادلة : ١٩]، وقول زهير:

هُنَالكَ إنْ يُستخولوا المالَ يُخولُوا (١٣٥)

فيمن رواه هكذا – واستَنْوقَ الجمل ، واستتيست الشاة ، واستَفْيَلَ الجمل ، قال أبو النجم :

يُديرُ عَيْنَيْ مُصْعَبٍ مُسْتَفْيِلِ (١٣٦)

وقوله :

واستنوكت ، وللشَّبَاب نُوكُ (١٣٧)

وقوله : .. .. (١٣٨)

٦٢ – مسألة : (اللوحة ٦٦ / ب)

قالوا : له زيٌّ ، كما قالوا : له أدبٌ ، فاجمع بينهما (١٣٩) .

٦٣ – مسألة : (اللوحة ٦٦ / ب)

قولهم : الأَرْفَةُ (١٤٠) والعلمُ ، نحو قولهم : الشُّهْبَة والشُّهَب ، والكُدْرة والكَدَر ، والغُبْشَة والغَبَش ، والعيْنَةُ والعَيَن ، فافهم الغرض فيه ، وتأمله .

٦٤ – مسألة : (اللوحة ٦٦ / ب)

أعْزِزْ عليَّ بفائتٍ من خدْمَتِكْ
وبأن أرى متأخرًا عن حضرتكْ
ثِقَتي لديك وديعةٌ من رغبتكْ
لازلتُ محتسباً لها من خُلَّتكْ
أأخافُ أحقاداً لديك أمانةً
إنَّ المكارمَ والولا من ذمَّتكْ

٦٥ – مسألة : (اللوحة ٦٦ / ب)

نحن في زمانٍ صعْبٍ . إن قيل : كيف جاز أن يكون ظرف الزمان هنا خبراً عن الجُثَّة ؟

قيل : إذا وُصفَ ظرف الزمان حسُنَ أن يكون خبراً عن الجثة ؛ ألا ترى إلى قول أوْس :

لعمرُكَ ؛ إنَّا والأحاليفُ هَؤُلاَ
لفي حقْبةٍ أظفارُها لم تُقَلَّمِ (١٤١)

وسبب ذلك أن الصفة لمْ تخصُّهُ بالفائدة من هذا الوجه ، وذلك أنه إنما امتنع : زيدٌ يوم الجمعة ، ونحو ذلك – من حيث كان الزمان إذا حضر لم يَغِبْ عنه أحدٌ ، فلا فائدة إذن في ذلك .

وأمـا قـولهم : الناس في وقت طيب ، أو في زمـان طيب - فإنه محمول على معناه ، أي : الناس في طيب من الزمان ، وفي صعوبة من الوقت ، فصارت الفائدة هنا من حيث كانت في قولهم : نحن في شدة ، والقوم في صعوبة.

وأمـا : زيد يوم الجمـعـة ، فـلا يتلخص منه مـا نحن بسبيله ، فـصـارت الشـدة والطيب والصـعـوبة - إذن - ظروفًا غير زمانية ، كقولهم : نحن في خير ، والقوم في بؤس ، فاعرف ذلك .

٦٦ - **مسألة : (اللوحة ٦٧ /أ)** قال ذو الرُّمَّة :

كأنها والقنَانُ العُودُ يضربُها
موج الفُرات إذا التجَّ الدَّيامِيمُ (١٤٢)

إن شئت : كانت (إذا) حالاً من (موج) ، وإن شئت كانت متعلقة بنفس (موج) . وأيًا ما أردت فقد أجريت فيه الجثة مُجرى الحدث ، وذلك أن الموج في الأصل مصدر ماج يموج موجًا . ثم جعل عبارة عن الجثة التي هي الماء الذي له ظُلَّةٌ . فإن جعلتها حالاً منه جرى مجرى قولك : الصيامُ يوم الجمعةِ مباركٌ ، أي : الصيامُ كائنًا يوم الجمعة مباركٌ . وإن جعلت (إذا) متعلقة بنفس (الموج) جرى ذلك مجرى قولك : سرَّ في قيامكَ إلى زيد ، ورَغْبتُكَ في عمرو .

فإن قيل : فكيف يجوز أن يُعلَّقَ به الظرف ، أو يجعل حالاً منه ، وقد صار المصدر هنا عبارة عن الجثة ؟

قيل : لا ينكر أن تُراجع الأصول وتُقرَّ أحكامها بعد الانصراف عنها ؛ ألا ترى إلى قولهم : صُغْتُ الخاتم ، وحُشْتَ الثوبَ - عُدِّيَ كلُّ واحد منهمـا وهو (فَعُلْتُ) محافظةً على أصله الذي هو فَعَلْتُ . وقالوا : أرأيتكَ زيدًا ما صنع ؟ لم يمنعه ما دخله من معنى (أخبرني) من أن يُعدّى إلى مفعولين ، كما كانت وأنت تُعدّي الأول (١٤٣) إليهما .

وبذلك أيضاً ينبغي أن تعلم أن قول الله تعالى : ﴿ أُحلَّ لكم صيدُ البَحْرِ ﴾ [المائدة : ٩٦] ليس كقولنا : لحم الخنزير حرام ، أو : حُرِّم عليكم لحم الخنزير ، ونحو ذلك . وذلك أن الصيد في الأصل مصدر : صدتُ الطير والوحش - ونحو ذلك - صيدًا ، ثم وُضِعَ الصيد على المَصِيد - الذي هو الجوهر - والتحليل هنا والتحريم لا يتناولان نفس الجوهر ؛ لأن تلك من أفعال القديم سبحانه، ولا تأثير لنا نحن في فعلها ، وإنما المحرم علينا أفعالنا نحن التي هي الأكل والشرب والمشي والحركة ونحو ذلك . إلا أن الصيد في المصيد حدَثٌ ، فكان وقوع لفظ التحليل عليه أقرب مأخذًا من وقوع التحريم على لحم الخنزير ونحوه مما ليس في الأصل مصدرًا ، وذلك أنك لاحظت أصل ما كان عليه الصيد من الحَدَثِيَّة ، كما لاحظ ذو الرُّمَّة أصل ما كان عليه (الموج) من الحَدَثِيَّة ؛ ألا تراه كيف علَّقَ به الظرف أو جعله حالاً منه .

وأما لحم الخنزير ونحوه فأبعَدُ من تصور لفظ المصدر فيه ، وإنما هو على حذف المضاف البَتَّة ، من غير ملاحظة معنى الحدث ، فكأنه [حين] قال سبحانه : ﴿ إنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الميتَةَ والدَّمَ ولحمَ الخنزيرِ ﴾ [النحل : ١١٥] أي تناول كلِّ واحد من هذه الجواهر . والتناول من فعلنا نحن، فأما هذه الأعيان فمن أفعال القديم عزَّ وعلا ، وليس إلى مخلوق إحداثُ جسم ، هذا مِمَّا يَخُصُّ القديم سبحانه ، فاعرف ذلك .

فإن قيل : فقد علمنا أن المراد بقوله تعالى : ﴿ أُحلَّ لكم صيدُ البَحْرِ ﴾ إنما هو أَكْلُهُ ، لا نَفْسُ صيده ، وأنت - إذن - تصورت فيه معنى الحدث إذ ذاك إلى أن تصير الفائدة نَيْلَ صَيْده ، وليس في لفظه إباحة أكله .

قيل : هذا موضعٌ اكتُفِي فيه بالمسبب عن السبب ، وهو غورٌ من العربية بطينٌ ، وذلك أن العُرف والعادة في هذه المصيدات أنها إنما تصاد لتؤكل ، فإذا أبيح الصيد - الذي هو سبب الأكل - فالمسبب - الذي هو الأكل - مباح . وإن كان قد يجوز أن تصاد بعض المصيدات لغير الأكل ، فإن الغالب إنما هو ما قدمنا ، وهو الأكثر ، فعليه يجب أن يكون العمل . وإقامة السبب مقام المسبب ، والمسبب مقام السبب ، باب طويل ، وقد أفردنا له في كتابنا (الخصائص) (١٤٤) بابًا ، فالتمسهُ منه ، إن شاء الله.

٦٧ - **أنشدني بعضهم : (اللوحة ٦٨ / أ)**

زَرعتُ الجُودَ في أرض العطايا
فأصبحت المراهبُ في حصـادِ (١٤٥)
وما وجبتْ عليَّ زكاة مـالٍ
وهل تجبُ الزَّكاةُ على جوادِ ؟

٦٨ - **مسألة : (اللوحة ٦٨ / أ)**

حكى سيبويه عنهم في أبُو أيُّوبَ : أبُويُّوبَ (١٤٦)

عليه من السؤال أن يقال :

إن الواو المضموم ما قبلها إذا كانت منفصلةً لا

تُدغَمُ ، نحو : ظَلَموا واقداً ، وقول الله سبحانه : ﴿ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ [الإسراء : ٧] فكيف أدغم واو (أَبُو) في الواو المبدلة من همـزة (أَيّوب) فـقـال : أَبُوُّوبَ ، وهناك من الانفصال ما تراه ؛ أو لا تراك لا تجيز في أَبُووخْزَةَ : أَبُوُّخْزَة ؟ .

الجواب : أن الذي قال في أبو أيوب : أَبُوُّوبَ إنما فعل ذلك ؛ تشبيهًا للهمزة في (أَيُّوب) بالهمزة المتصلة في (سَوْأَة) ، فكما قالوا في سَوْأَة : سَوَّة ، فكذلك قالوا في أَبُو أَيُّوب : أَبُوُّوب ؛ تشبيهًا للمنفصل بالمتصل في إبدال الهمزة – للواو قبلها – واوًا . وليس كذلك : ظلموا واقداً وأبو وخزة ؛ لأنه لا همزة بعد واو ظلموا وأبو [وخزة] ، فيشبه المنفصل بالمتصل .

وهذا البدل في (سوأة) إنما كان مع الإدغام ؛ فلذلك احتمل الإدغام في واو ظلموا ؛ ليتكامل التشبيه بين الموضعين . ولم يكن مثل ذلك في نحو (أبو وخزة) ، فيحتمل فيه ما ذكرته . وقد أفردنا في كتابنا (الخصائص) لما أجرى من المنفصل مُجرى المتصل ، ومن المتصل مُجرى المنفصل – بابًا (١٤٧) ، وهو كثيرٌ جداً .

وأدغم أبو عمرو (١٤٨) في قراءته بالإدغام قول الله تعالى ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هو وقَبيلُهُ ﴾ [الأعراف : ٢٧] وجاز الإدغام في المنفصل من قوله : ﴿ هو وقَبِيلُهُ ﴾ من حيث كانت واو (هو) ليست كواو (ظلموا) ؛ لأن واو (هو) مفتوحة ، فقويَ الاعتماد فيها ؛ لحركتها . وواو (ظلموا) ساكنة عند كل قوم وفي كل لغة ، فلم يجز إدغامها لضعفها ، وليس كذلك ﴿ هو وقَبيلُهُ ﴾ ، وذلك أن أصله فتح الواو ، وإنما أسكنها تَوَصُّلاً إلى الإدغام – على العِبْرَة في كل حرف أريد إدغامه – ولأنه لابُدَّ من إسكانه إن كان متحركًا ، فلما سكنت الواو – فصارت في التقدير (هُوْ) – لم يكن ليمتنع من الإدغام ؛ اعتبارًا للفصل ؛ لما في ذلك من انتكاث الغرض ؛ ألا ترى أنه إنما أسكن ليدغم ، فلو امتنع للسكون لكان يكون تراجعًا ، فأمضى ما اعتزمه من الإدغام ؛ لئلا ينتقض غرضه ، وقد أفردنا في كتابنا (الخصائص) لتحامي انتقاض الغرض بابًا (١٤٩) .

وعلى ذلك أيضًا عندي قول الأخطل :

إذا شئتَ أن تلهُو ببعض حديثها
نزلن وأنزلن القطين المُولَّدا (١٥٠)

لو وقع بعد واو (تلهوْ) هذه – وقد أُسكنت ضرورةً كما ترى – واوٌ لجاز الإدغام جوازًا حسنًا ، فكنت تقول لزيد : أن يَلْهُوْ واقداً – تريد : أن يلهُوَ [وَاقداً] ، وذلك أن واو (يلهو) أصلها هنا الحركة ، وإنما أُسكنَت استخفافًا ، تريد: أن يلهُوَ . وليس كذلك واو (ظلموا) ؛ لأن أحدًا لا يحرك هذه الواو حركةً لنفسها ، اللهم إلا أن يخفف الهمزة بعدها ، فيُلقيَ حركتها عليها ، نحو : ظلموا أخاك ، فتقول: ظلموخاك ، وكذلك إن سكنت .

ولو أريد (أن يلهوْ واقدٌ) للإدغام لا للضرورة التي تقدمت ، كان الإدغام هنا أَحسن ؛ لأنه إنما أسكن ليدغم لا لضرورة الشاعر . فإذا كان إسكانها هو لأجل الإدغام لم يجز أن يتراجع ، كما بَعُدَ عن الإدغام الذي إنما أسكن، اعتزامًا له . بل كان يكون الإدغام هنا كأنه أقوى منه لو أسكن الواو ضرورةً للشعر ؛ ألا ترى أنه لما أسكنها الأخطل في قوله : (أن تَلْهُوْ ببعض حديثها) ضرورةً لا للإدغام ، فإذا كان إسكانها إنما هو للإدغام ضاق العذر في ترك الإدغام الذي إنما كان له ، ومن أجله الإسكان ، وكذلك قول الآخر :

أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلاَ أَبُ (١٥١)

الكلام هنا كالكلام في بيت الأخطل سواءً . وكذلك الكلام في : هِيَ يَقُومُ أَخُوها ، ونحو ذلك ، يجوز فيه الإدغام ، فتقول : هِيَّقُومُ أخوها ، وهُوَّقَفَ هنا . وكذلك من كان لغته إسكان الواو والياء . وأن يقول : هو أخوك وهي أختك ؛ وذلك أن الإسكان قليلٌ جداً ، وينبغي أن يكون أصل هذه اللغة تخفيفًا ، ثم استمرت .

فإذا وقع بعدهما ياء وواو ، اجتمع من يقول : هِيْ وهُوْ – لُغَةً ، ومن حرَّكَ فقال : هِيَ وهُوَ ، لا سيَّماً وصَاحِبُ اللغة قد يُرَاعِي لغة غيره . وقد بينا ذلك في كتاب (الخصائص) و أفردنا له هناك أيضًا بابًا (١٥٢) . وقد يجوز أن تعتبر من أسكن الواو والياء هنا بمنزلة ماهو عليه من ظاهر الإسكان ، فلا تدغم له وللانفصال . وكأن القولين معتدلان ، فافهم ذلك .

٦٩ – مسألة : (اللوحة ٦٩ / أ)

قد يجوز أن يكون إنما حَذَفَ الوَقْفُ التنوينَ في نحو : هذا زَيْدْ ، ومررت بزَيْدْ – من قبَل أن كُلَّ واحد من الوقف والتنوين جميعًا قد جرى مجرى صاحبه ، وذلك أن كل واحد منهما مُؤْذِنٌ بتمام الجزء ؛ ألا ترى أن المضاف لَمَّا كان محتاجًا إلى المضاف إليه ، فلم يَجُزْ الوقف عليه ،

حَذَفَ التنوينَ الآتي لتمام الاسم ، فإذا وَصَلْتَ إلى المضاف إليه نَوَّنْتَ ، فالتنوين عَلَمُ التمام ؛ ألا ترى أنك لا تقف عن نقصان .

فلما كان كل واحد من الوقف ومن التنوين مُؤْذِنًا بالتمام ، لم يُجْمَعْ بينهما في الوقف ؛ لأن عَلَمًا واحدًا كافٍ من الآخر في معناه ، لذلك لم يُنَوَّنْ الفعلُ ؛ لأن الفاعل من تمام جزئه ، فلما لم يَتِمَّ لم يُنَوَّنْ ؛ إذ كان التنوين عَلَمًا للتمام .

فإن قلت : فقد تقول : زَيْدٌ أخوك - فتنون زيدًا ، والكلام ناقص قيل : أَجَلْ ؛ إلا أن الاسم - الذي هو المبتدأ - قد تَمَّ ، فَنُوِّنَ .

فإن قيل : فالفعلُ قَبْلَ الفاعل أيضًا كالمبتدأ قبل الخبر ، فَهَلاَّ نُوِّنَ الفعل كما نُوِّنَ الاسم ؟

قيل : الفعل مع الفاعل كالجزء الواحد ، وقد دَلَّلْنَا على ذلك في كتابنا الموسوم بـ (سر صناعة الإعراب) باثني عشر دليلاً (١٠٣) ، فجرى مجرى المضاف والمضاف إليه ، في أن كل واحد منهما في حاجة إلى الاسم الثاني ، الذي هو الفاعل والمضاف إليه . وليس كذلك المبتدأ وخبره ؛ لأنه ليس اتصال المبتدأ بخبره في شدة امتزاج الفعل بفاعله ، والتنوين إنما يأتي عَلَمًا على تمام الجزء الذي صَحِبَهُ ، لاتمام الجملة ، فافهم ذلك .

٧٠ - مسألة : (اللوحة ٦٩ / ب)

قالت - وأبثثتها وجدي فبُحْتُ به :

قَدْ كُنتَ عِندي تُحِبُّ السِّتْرَ فَاستَتِرِ (١٠٤)

أَلَسْتَ تُبصِرُ مِن حَوْلي ، فقلتُ لها :

غَطَّى هَوَاكِ وما أَلقَى على بَصَرِي

٧١ - مسألة : (اللوحة ٦٩ / ب)

من باب قوله : .. .. ..

تلك الآيات والأبيات في هذا المعنى قول جميل :

إذا قُلْتُ : مابي يا بُثَيْنَةُ قَاتِلي

من الحُبِّ ، قالتْ : ثابتٌ وَيَزِيدُ (١٠٥)

٧٢ - مسألة : (اللوحة ٦٩ / ب)

متحرك المعتلّ كساكن الصحيح ؛ ألا ترى أن الواو والياء في النَّوَى والحيَا إنما صَحَّتا لأنهما أُجْرِيَتَا مُجْرَى الواو والياء في جَوْن وبَيْت .

وساكن المعتل قد أجرى مجرى ساكن الصحيح من عدَّةِ أَوْجُهٍ :

أحدها : اعتداد كل واحد منهما في وزن العروض اعتدادًا واحدًا ؛ ألا ترى الواوين في قوله :

يَقُولُونَ : لاَ تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ (١٠٦)

يقابلهما غيرهما من الصحيح وهو قوله : (بِسقْطِ) من قوله : (بسقْطِ اللِّوَى) (١٠٧) ومنها : قولهم في تكسير ثوب وعين : أَثْوُبٌ وَأَعْيُنٌ ، كأَكْلُب وأَفْرُخ ، فعلى هذا قالوا في المعنى الواحد : النَّأْيُ والنَّوَى ، وكأنهما مثال واحد . وحَسَّنَ ذلك أيضًا أن المتحرك في كثير من أحكام العربية يجري مجرى الساكن ، وقد دَلَّلْنا على ذلك في كتابنا (المُعْرِب) (١٠٨) وفي (الخصائص) وغيرهما . فكأن النَّأْي والنَّوَى مثال واحد ، فهذه طريق .

وقد استعملت العرب عكس ذلك ، فأجرت المعتل من الساكن مجرى المتحرك ، فقالوا : ثَوْب وأثواب ، كجبل وأجبال وشبح وأشباح ، وقدم وأقدام . وأَجْرَوْا ألف التثنية مُجْرَى الحرف المتحرك ؛ ألا ترى أن سيبويه لم يُقَدِّرْ فيها حركةً ، كما أن الحرف المتحرك لا تُقَدَّرُ فيه مع حركته حركةٌ أخرى ، وهو مذهب العرب : أن يسلكوا الطريق وضدَّها ؛ وذلك لسَعَة اللغة وانتشارها ؛ لأنها تأخذ وتؤخذ كل أَدَب بها (١٠٩) ، فاعرفه .

ومن ذلك باب في كتابنا (الخصائص) ترجمته هذا باب في أن سبب الحكم قد يكون سببًا لضده على وجه (١١٠) . من ذلك أن الإدغام يُقَوِّي المعتلَّ ، وهو أيضًا بعَينه يُضْعفُ الصحيحَ . ومنه أن الحركة نفسها تقوِّي الحرفَ ، وهي بنفسها تُضْعِفُهُ . وقد شرحنا ذلك هناك ، فَغَنِينا عن إعلانه هنا .

٧٣ - مسألة : (اللوحة ٧٠ / أ) قول شاعرنا :

يَرَوْنَ مِنَ الذُّعْرِ صَوْتَ الرِّيَاحِ

صَهِيلَ الجِيادِ وخَفْقَ البُنُودِ (١١١)

لا يجوز أن يكون (يرون) هنا من رؤية العين ؛ لاستحالة ذلك في المعنى ، ولا يجوز أيضًا أن تكون بمعنى يعلمون الأمر بخلاف ذلك ، فلم يبق إلا أن تكون (رأيت) بمعنى اعتقدت ، كقولنا : فلان يرى رأي الخوارج ، ويرى رأي أبي حنيفة ، ونحو ذلك : أي يعتقد اعتقاده .

وإذا كان كذلك وجب النظر في انتصاب (صَهِيلَ الجِياد) ، ولا يجوز أن تكون مفعولاً ثانيًا ؛ لأن (رأيت) هذه لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد ؛ ألا ترى إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾

[النساء : ١٠٥] فهذه منقولة من (رأيت) بمعنى اعتقدت ، وإنما معها مفعولان : أحدهما الكاف في (أراك) ، والآخر ضمير (ما) المحذوف : أي بما أراكهُ الله . ولو كانت متعديةً إلى مفعولين لوجب بعد النقل أن تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، فإذا بَطَلَ أن يكون مفعولاً ثانيًا ، وجب التماس وجْهٍ له ينتصبُ عليه .

ولا يَحْسُنُ البدل أيضًا ؛ لأن المعنى ليس عليه ؛ ألا ترى أنه يصير إلى أنه كأنه قال : يَرَوْنَ من الذعر صهيل الجياد وخفقَ البنود ، وليس المعنى هذا ، وإنما هو : يحسبون هذا هذا ، أو يظنون هذا هذا . و (رأيت) هذه لاتكون بمعنى حَسِبْتُهُ ، إنما هي لِحَاسَّةِ البصر أو العلم أو الاعتقاد . ففيه ما تراه .

وطريق جوازه عندي أن يكون أراد بـ (رأيت) هنا معنى الاعتقاد ، إلا أنه لما كان عظيمًا في نفسه ، ومتقدمًا في اعتقاده لَحِقَ عنده ...

٧٤ - مسألة : (اللوحة ٧١ / أ)

يجوز في قول جرير :

يا أَحسَنَ النَّاسِ كُلَّ النَّاسِ إِنْسَانَا (١٦٢)

غيرُ ما قالوه من أن (إنسانًا) هنا هو إنسان العين ، كقولك : يا أحسن الناس عَيْنًا ، وذلك أن يكون أراد : يا إنسانًا أحسنَ الناس ، فقدم وصف النكرة عليها ، فنصبه على الحال منها ، فهو كقولك : يا قائمًا زيدٌ - على حدِّ قولك : يا زيدٌ قائمًا ، ثم قدمت الحال على صاحبها ، فاعرفه .

٧٥ - مسألة : (اللوحة ٧١ / أ)

يشهد بصحة قول أبي الحسن في إجازته : زيدٌ كيف ؟ أن يكون في (كَيْفَ) ضمير مرفوع ، على حدِّ ارتفاعه بالفعل في قول بعض الأعراب : وما أدراك أين أنت أيْنَهُ ، فتَفَهَّمْهُ .

٧٦ - مسألة : (اللوحة ٧١ / أ)

قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح : ٤] هو مفعول من : نَزَلْتَ الدارَ ونحوها ، فكأنه أَحلَّهَا إيَّاهَا ، وجعلها مألفًا ومُقَامًا لها . فالظرف - إذن - متعلق بنفس (أنزل) لا بالسكينة ، ولا بمحذوف هو في الأصل حَالٌ منها ، على حدِّ قولك : كلمت زيدًا في الدار - والظرف حال لزيد - أي كلمته كائنًا في الدار هو . وليس في المعنى كقوله تعالى : ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤٥] ، لأنه عندنا من السُّكُونِ ، لا من السُّكْنَى والحلول ؛ ألا ترى أن السكون أبلغ من السكنى ؛ لأنه يجوز أن يسكن الدار وهو قَلِقٌ فيها وعلى مُشَارَفَةٍ لزواله عنها ، فإذا هو سكن فيها فقد اجتمع له إلى السكنى فيها السُّكُونُ إليها ؛ فلذلك قال : ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ أي هدأتم بها واطمأننتم إليها ، فهو أذْهَبُ في توبيخهم والاحتجاج عليهم من أن يكونوا سكنوها غيرَ وادعِينَ ، ولا مختارين لها .

وقوله سبحانه : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [الفتح : ٥] ليس ببدل من قوله : ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤] لأن ازديادهم إيمانًا من أفعالهم ، وإدخاله إياهم الجنات من أفعاله تعالى ؛ إذا اللام في قوله ﴿ لِيُدْخِلَ ﴾ متعلقة بنفس ﴿ يَزْدَادُوا ﴾ ؛ أي ليزدادوا إيمانًا للدخول إلى الجنات، أي يكون ازديادهم منه للدخول ومن أجل الدخول.

ويجوز أيضًا أن تكون متعلقة بنفس ﴿ إِيمَانِهِمْ ﴾ ، أي مع إيمانهم لأجل دخولهم الجنات ، كأنهم إنما آمنوا ليدخلوا .

ولا يحسن أن تكون اللام متعلقة بقوله ﴿ إِيمَانًا ﴾ ؛ لأن بعده ﴿ مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ وليس من صلة (إيمان) ، فهو أجنبي ، وإذا كان أجنبيًا لم يَجُزْ أن تتعلق اللام بنفس قوله : ﴿ إِيمَانًا ﴾ لما فيه من استحالة الفصل بين الموصول والصلة بالأجنبي .

قال : إن شئت علقتها بمحذوف يدل عليه جملة الكلام ، أي وقعت هذه الأشياء ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ، وحَسُنَ إضمار هذا الفعل مع جواز تناول الظاهر من أجل المعنى ؛ ألا ترى أنه يصير أجمع للمراد المقصود هنا [ولقوله] : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ﴾ [الفتح : ٦] ، وهذا واضح .

٧٧ - (اللوحة ٧١ / ب) مثل قول المتنبي :

مِنْ طَاعِنِي ثُغَرِ الرِّجَالِ جَآذِرٌ
ومن الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ وَخَلاَخِلُ (١٦٣)

وقال الأعشى :

إذا هُنَّ نَازَلْنَ أَقْـرانَهُنَّ
وكان المِصَاعُ بِما في الجُوَنْ (١٦٤)

أي : يقاتلن الشباب بالخِضَابِ والطِّيب .

وقول الآخر :

هل يَغْلِبَنِّي واحــدٌ أُقَاتِلُهْ
رِيمٌ علَى لَبَّاته سَلاَسِلُــهْ
سِلاَحُهُ يومَ الْوَغَى مكَاحله (١٦٥)

٧٨ – مسألة : (اللوحة ٧١ / ب) قوله :

وما ذكرتكِ النَّفسُ إلاَّ تَفرَّقَتْ
فَرِيقَيْنِ مِنْهَا عَاذِرٌ لي ولاَئِمُ (١٦٦)

ينبغي أن يكون أراد : (منها عاذر لي ومنها لائم) ، كقول الله سبحانه : ﴿ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٠] أي : ومنها حصيد ، فحذف أحد الظرفين لدلالة صاحبه عليه .

ولابُدَّ من تقدم (عاذر) أخرى ؛ لاختلاف معنى الصفتين في (عاذر ولائم) و(قائم وحصيد) ، إلا أنه أعاد الضمير على الإفراد فقال : منها ، حملاً على المعنى ؛ ألا ترى أن النفس إذا تفرقت فريقين ، فإنما هي الفريقان . وإذا كان كذلك صَحَّ ما قلناه من رده لفظ الفريقين بمعنى ماهي هما ، وهو النفس ، كقول الله سبحانه ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ [يونس : ٤٢] ، وقول الفرزدق :

نَكُنْ مِثْلَ من يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبانِ (١٦٧)

فإن (من يصطحبان) في مثل : اللَّذَيْنِ يصطحبان ، فاعرفه .

٧٩ – مسألة : (اللوحة ٦١ / ب)

قولهم : مررت بِرَجُلٍ عاقلٍ كاتبٍ – من غير عطف الصفة الثانية على الأولى – يؤكد ما ذهبنا إليه من أن الصفة الثانية صفة للموصوف بالصفة الأولى ، فالضمير في الصفة الثانية إِذَنْ عائد على الموصوف والصفة الأولى جميعًا ، وهذا يَدُلُّ أيضًا على شدة اتصال الموصوف بالصفة ، مضافًا إلى ما تَدُلُّ عليه من الأماكن من غير هذا الوجه .

٨٠ – مسألة : (اللوحة ٦١ / ب) قول بَشَّامَة بن الغدير :

دَرَسَتْ وقد بَقِيَتْ على حِجَجٍ
بعد الأنِيسِ عَفَوْنَهَا سَبْعُ (١٦٨)

قدم الظرف في وصف النكرة على الجملة ، والجملة على المفرد ، وأعدَلُ من هذا البيت ... قول الله سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ من آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ [غافر : ٢٨] ؛ ألا تراه قَدَّمَ المفردَ على الظرف ، والظَّرفَ على الجملة . وهكذا يجب في الترتيب ؛ لأن الموضع للمفرد ، والظرف [أقرب] إلى المفرد من الجملة ، والجملة فيما بعد .

وقال عَزَّ اسمُهُ : ﴿ وجَاَءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ [القصص : ٢٠] فقدَّمَ الظرف على الجملة – كما ترى – هذا إذا جعلتهما صفتين ، وكذا ينبغي . بقيَ في القسمة شيء آخر ، وهو : أن ترفع الصفة المفردةُ مُظهرًا ، نحو : مررت برجل قائمٍ أخوه – فهذا في الرتبة قبل الظرف وبعد الصفة المفردة الرافعة للمضمر ، نحو : مررت برجل ظريف ، فاعرفه .

٨١ – (اللوحة ٦١ / ب) قالوا :

عَلِقَ الشيء بالشيء ، وقالوا : غَلِقَ الرجلُ : إذا لم يَتَّجِهْ لأمرٍ ، ففصلُوا بين المعنيين باختلاف الحرفين ، وخَصُّوا أحدهما بالعين ؛ لأنه أَنْصَعُ من الغَيْن ، وذلك أن الشيء إذا قَلَّ فالمعنى ... (١٦٩) منه وخَلَصَ له ، كالرجل تَعْلَقُ رِجْلُهُ أو يَدُهُ ، وكالخُطَّافِ يَعْلَقُ بغيره ، ونحو ذلك ، وليس هكذا الغَيْنُ ؛ ألا ترى أن الغَلْق : انطباق الشيء وتَحَيُّزُهُ ، ولا يخُصُّ جِهَةً دون جِهَةٍ ، كالقلب لا يهتدي لوجْهَةٍ ، ولا يخضع لحالةٍ مختصةٍ . وكذلك غَلْقُ الرهن ؛ لأنه لا يُهْتَدَى له ، ولا يُنَصُّ على حالٍ مختصةٍ .. .. ..(١٧٠) .

الهوامش والتعليقات

١ – البيت من الكامل ، من معلقة عنترة العبسي ، ورواية الديوان :

حَلَّت بأرض الزائرين فأصبحت
عَسِرًا عليَّ طلابك ابنة مخرم

والزائرين : من زأر الأسد ، أي صاح ، وأراد بهم هنا الأعداء المخَوِّفِين . انظر ديوان عنترة ٩٨ .

٢ – انظر : الخصائص ١ / ١٧٤ وما بعدها .

٣ – الحديث في موطأ الإمام مالك (كتاب الحج : ١ / ٣٧٢) ، وكل من الحديث الشريف وكلام ابن جني هنا إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا والمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ الله فمن حَجَّ البَيْتَ أوِ اعتمَرَ فلا جُنَاحَ عليهِ أن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة : ١٥٨] وقد استدلَّ ابن يعيش بهذا الحديث على أن الواو لا ترتب ، فإن النبي ﷺ لم يأمر بتقديم الصفا على المروة ؛ لأن اللفظ كان يقتضي ذلك ، وإنما بين المراد ؛ لما في الواو من الإجمال . ويدل على ذلك سؤال الصحابة رضي الله عنهم للنبي عليه

الصلاة والسلام : بم نبدأ ؟ ولو كانت الواو للترتيب لفهموا ذلك من غير سؤال ؛ أنهم كانوا عربًا فصحاء ، وبلغتهم نزل القرآن الكريم [انظر : شرح المفصل ٨ / ٩٣] .

٤ – الضُّحُّ : ضوء الشمس ، ومثله الضُّيح – في رواية أبي زيد – وجاء في حديث كعب بن مالك : «لومات يومئذ عن الضيح والريح لورثه الزبير» . قال ابن الأثير : هكذا جاء في رواية ، والمشهور الضح . قال : وإن صحت الرواية فهو مقلوب من ضحى الشمس وهو إشراقها . [انظر : لسان العرب : ضحح، ضيح] .

٥ – كذا في الأصل – والأولى أن يكون الفعل هنا (صَبَّ) حتى يوائم غرض المسألة. وفي لسان العرب [صوب]: صاب الماء ، وصَوَّبه : صَبَّه وأراقه .

٦ – القَطُّ هو : القطع عمومًا ، وقيل : قطع الشيء الصلب ، وقيل : القطع عرضًا ، أما القَوْطُ فهي المئة من الغنم إلى مازادت ، وخَصَّ بعضهم به الضأن . وقيل : هي القطيع اليسير منها . [انظر : لسان العرب : قطط ، قوط] .

٧ – لم ترد (ضِيفَةُ الوادي) – بالتاء – فيما بين يَدَيَّ من معاجم اللغة .

٨ – السُّلَال – ومثل السِل (بضم السين وكسرها) : داء يَهْزِل ويُضْنِي ويقتل .

٩ – في لسان العرب [فيل] : فال رأيه يفيل فيلولةً ، إذا أخطأ وضعف ، ويقال : ما كنت أحب أن يُرى في رأيك فيالة . ورجل فِيلُ الرأي : ضعيفه .

١٠– في لسان العرب [هنن] : هَنَّ يَهِنُّ : بكى بكاء مثل الحنين، قال:

لما رأى الدار خلاءً هنَّا   وكاد أن يُظْهِرَ ما أجَنَّا

والهنين مثل الأنين ، يقال : أنَّ وهَنَّ ، بمعنى واحد .

١١ – في لسان العرب [ضيم] : الضيم : الظلم ، وضامه حَقَّه ضَيْمًا : نقصه إيَّاه .

١٢– يقال : انقضَّ الجدارُ انقضاضًا ، وانقاض انقضاضًا ، إذا تصدع من غير أن يسقط ، فإذا سقط قيل : تَقَيَّضَ تَقَيُّضًا . ويقال : قَوَّضَ البناءَ : نقضه من غير هدم . وتقوَّض هو : انهدم مكانه [انظر : لسان العرب : قضض ، قوض] .

١٣– في لسان العرب [شيق] : الشِّيقُ : الشَّقُّ في الجبل، أو سُقْعٌ مُسْتَوٍ دقيق في لَهَبِ الجبل ، أو أعلى الجبل ، ومنه قوله :

شَعَواء تُوطِنُ بين الشِّيقِ والضِّيقِ

انظر : لسان العرب [غرر]

١٥– في لسان العرب [شوك] : الشوكة : السلاح ، وقيل : حِدَّةُ السلاح ، ورجل شاكي السلاح وشائك السلاح ، قال أبو زيد : هو شاكِ السلاح ، وشائك . قال : وإنما يقال : شاكٍ ، إذا أردت معنى فاعل ، فإن أردت معنى فعل قلت : شَاكٌ – للرجل.

١٦– انظر : لسان العرب [هفف ، هوف ، هيف] .

١٧– في لسان العرب [عدد] : يقال : عَادَّتْهُ للسعة ، إذا أتته لعِدَادٍ ، وفي الحديث : «مازلت أُكْلَةُ خَيْبَرَ تُعَادُّني فهذا أوانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي» أي تراجعني ويعاودني ألم سمها في أوقات معلومة . ويقال : به عِدَادٌ من ألم ، أي يعاوده في أوقات معلومة . وعِدَادُ الحمى : وقتها المعروف الذي لا يكاد يخطئه .

١٨ – في لسان العرب [قيص] : قاص الضرسُ قَيْصًا ، وتَقَيَّصَ وانقَاصَ : انشَقَّ طُولاً فسقط . وقيل : هو أن ينشق طولاً أو عرضًا .

١٩ – في لسان العرب [دمس] : الديماس (بفتح الدال وكسرها) : الحَمَّام ، وفي الحديث في صفة الدجال : «كأنما أُخْرِجَ من دِيمَاس» . قال بعضهم الديماس : الكِنُّ ، أراد أنه كان مُخَدَّرًا لم يَرَ شمسًا ولا ريحًا . وقيل : الديماس : السَّرَبُ المظلم . وفي اللسان أيضًا : فإن فتحت الدال جمع على دياميس ، مثل شيطان – وشياطين . وإن كسرتها جمعت على دماميس ، مثل قيراط وقراريط .

٢٠ – في لسان العرب [دبج] : الديباج (بكسر الدال وفتحها]) : ضرب من الثياب ، والجمع : ديابيج ودبابيج ، قال ابن جني : قولهم : دبابيج يدل على أن أصله (دِبَّاج) ، وأنهم إنما أبدلوا الباء ياءً استثقالاً ؛ لتضعيف الباء ، وكذلك الدينار والقيراط .

٢١ – اجلَوَّذَ الليل : ذهب ، واجلَوَّذَ البعير : مضى وأسرع في سيره، واجلَوَّذَ المطرُ : امتدَّ وقت تأخره وانقطاعه . ومصدره اجْلِوَّاذًا، واجْليواذًا . [انظر لسان العرب : جلذ] .

٢٢ –البيت من الوافر ، لم يُدْرَ قائله .

والدياوين : جمع ديوان – وهو مجتمع الصحف – وأصله (دِوَّان) فعوض من إحدى الواوين ياء ؛ لأنه يجمع على (دواوين) في الكثير الغالب ، وحكى بعضهم في الجمع (دياوين) – كما هنا – فأقَرَّ الياء بحالها ، وإن كانت الكسرة قد زالت من قبلها . فعل ذلك كراهة تضعيف الياء لو قال : دواوين . [انظر : لسان العرب : دون] .

٢٣ – الياء في (عيد) أصلها الواو ، أُعِلَّتْ بالقلب ياءً ؛ لوقوعها ساكنة بعد كسرة – كما في ميزان – وكان القياس أن تعود الواو عند زوال موجب قلبها ياء ، وذلك إذا جمعت على أفعال ، فكان يقال : أعواد ، أو في التصغير ، فكان يقال : عُوَيْد إلا أنهم كرهوا الإلباس بجمع (عُود) وتصغيره ، فأقَرُّوا الياء المبدلة على كل حال .

٢٤ – جاء في الأصل قوله : والآخر أن يكون واحد ديوان : (دِيَّان) أو (ديوان) ولا وجه له .

٢٥ – «في الأصل : كما استغنوا بـ (ملحة عن مليحة)» والتصحيح من الخصائص [١ / ٢٦٧] .

٢٦ – توضيح الاستغناء في هذه المُثُل أن الجمع (ملامح) المستعمل ينبغي أن يكون مفرده (مَلْمَحَة) ولكنه لم يستعمل ، إذ المستعمل هو (لمحة) . وكذلك الجمع (مذاكير) ينبغي أن يكون مفرده (مِذْكير) ، ولكنه لم يستعمل ، إذ المستعمل هو (ذَكَر) .

وكذلك الجمع (حوائج) ينبغي أن يكون مفرده حائجة ، ولكنه لم يستعمل - على المشهور - إذ المستعمل هو (حاجة) .

٢٧ - الضَّيْوَنُ هو : السِّنَّوْرُ الذَّكَرُ ، أو دُوَيْبَّةٌ تشبهه . وهذه الكلمة من نوادر اللغة ، خرجت على أصلها ، كما قالوا : رجاء بن حَيْوَة . وإن كان (ضَيْوَن) أَنْدَرَ ؛ لأنه اسم جنس ، و (حَيْوَة) علم ، والعلم يجوز فيه ما لا يجوز في غيره . وجمع الضَّيْوَن ضَيَاوِنُ . [انظر : لسان العرب : ضون] .

٢٨ - البيت من البسيط ، ولم أهتد إلى قائله .

٢٩ - البيت من الطويل ، ولم أهتد إلى قائله .
والنُّؤْيُ هو : الحفير حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل يمينًا وشمالاً ، ويبعده . والحَنَفُ هو : الاعوجاج في الرجل ، والأحنف هو الذي يمشي على ظهر قدمه من شقّها الذي يلي خنصرها ، والمراد هنا : المائل مطلقًا . والمأطور : هو الذي انحنت أطرافه . والقَرَا : الظهر . والمراد هنا : مسلك الحفير ، والجُنَّة : الوقاية والاحتماء ، وعالته : غلبته ، والوليدة : الأَمَة .

٣٠ - عجز بيت من الكامل ، من معلقة عنترة بن شداد ، والبيت تامًا هو :

فتركتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ
ما بين قُلَّةِ رأسه والمعصم

[انظر : تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ٤٤٥ ، شرح القصائد العشر] .
للتبريزي ٢٠٤ ، ديوان عنترة (١٠٢) والرواية فيه : (يقضمن حسن بنانه والمعصم) .

٣١ - البيت من الكامل ، لم يُدْرَ له قائل ، والموهبة : النقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء . ورواية (على شهد) وردت في الصحاح [وهب] ، أما في سائر المظان فقد ورد (على خمر) .
[انظر : لسان العرب : وهب ، همع الهوامع ٥ / ١١٦] .

٣٢ - البيت من الوافر ، ولم أهتد إلى قائله .

٣٣ - البيت من الطويل ، ولم أهتد إلى قائله .

٣٤ - صدر بيت من المتقارب ، ينسب إلى ابن الخرع ، والبيت تامًا هو : **لها حافر مثل قعب الولي**
ـد تتخذ الفار فيه مغارا
[انظر : المحتسب ١ / ٩٣ ، ٢ / ٢٤٥] .

٣٥ - البيت من الوافر ، لم يُدْرَ له قائل . و (النواصف) هي : مجاري الماء في الوادي ، واحدتها ناصفة . [انظر : لسان العرب : حسن] .

٣٦ - البيتان من الوافر ، لم يدر لهما قائل .
و (أَرْمَلَ) : افتقر . و (الأصرمان) : الليل والنهار - والكلام على المجاز . و (المَقِيل) : اسم مكان من قال يقيل ، بمعنى سكن وقت الظهيرة من حرّ الشمس وحَمْوِها .

٣٧ - البيت من الوافر ، لم يُدْرَ له قائل ،
و (المِعْزَى) : جماعة الماعز (اسم جنس) وهي ذوات الشعر من الغنم خلاف الضأن . و (الرباب) بضم الراء جمع نادر مفرده (الرُّبَّى) من المعز ، وهي التي ولدت حديثًا ، لم تجاوز العشرين يومًا من ولادتها .

٣٨ - رجز ، لم أهتد إلى قائله .
و (الفَحَج) : تباعد ما بين أوساط الساقين في الإنسان والدابة . و (دَمَكَ) الأحجار : طحنها و (يدحض) : تزلق رجله عن السير . و (الجَلَدُ) : القوة والشدة ، ورجل جَلْدٌ : قويٌّ صُلْبٌ . و الجعظار (بكسر الجيم) : القصير الرجلين الغليظ الجسم ، أو القليل العقل .

٣٩ - رجز ، لم أهتد إلى قائله .

٤٠ - هو : محمد بن سعيد بن ضمضم ، شاعر أعرابي فصيح ، كان علماء زمانه يأخذون عنه لغة الحجاز .

٤١ - هو : زبان بن عمار ، بصري من أئمة اللغة والأدب وأحد القراء السبعة ، توفي سنة ١٥٤هـ .

٤٢ - الحادي : سائق الإبل ، والحُداء : غناء خاص ، للإبل عند السير .

٤٣ - البَنَّةُ هنا : الريح الطيبة تنبعث من مرابض الإبل والبقر والظباء ، وتطلق (البَنَّة) في الأصل على الرائحة مطلقًا : طيبة أو منتنة .

٤٤ - رجز ، ورد في لسان العرب [ركا] غير منسوب ، وهو هناك برواية (السجل والنطفة و الذنوب) . ومعناه فيه : استقى تارة ذَنُوبًا ، وتارة نطفة ، حتى رجع الحوض ملآنَ كما كان قبل أن يشرب منه .

٤٥ - حيَّاكَ الله : ملّكك ، أو أبقاك ، أو أصلحك ، أو قرّبك ، أو أضحكك . (وبيَّاك) : قربك . وبعضهم يرى أن (بيَّاك) إتباعٌ لـ (حيَّاك) ولا معنى له منفردًا . وقال الأحمر : بيَّأكَ الله وبوَّأكَ منزلاً ، إلا أنها لما جاءت مع حيَّاكَ تركت همزتها ، وحولت واوها ياء : أي سكنك منزلاً في الجنة وهيأك له .

٤٦ - البيت من الطويل ، ولم أهتد إلى قائله .

٤٧ - البيت من الوافر ، وهو في لسان العرب [طوق] غير منسوب . والخاتام : لغة في الخاتم المعروف . والطاق : ضرب من الملابس ، قال ابن الأعرابي : هو الطيلسان ، وقيل : هو الأخضر منه ، وجمعه طِيقَانٌ .

٤٨ - رجز للعجاج ، وقد ورد الشطر الأول منه في لسان العرب [نزف] ، وورد الشطران معًا في أراجيز العرب للبكري [٥٠] ومعناه فيه : أخذ من الخمر إبريقًا ، فَصَبَّ عليه ماء فمزجه . و(النزف) هو الماء . و (الرصف) : الحجارة المرصوفة . يريد : ماء يسيل على الحجارة .

٤٩ - هو الإمام أحمد بن يحيى (ثعلب) المتوفى سنة ٢٩١هـ .

٥٠ - البيت من الطويل ، ولم أهتد إلى قائله .
و (تُنْتَج) : تلد ، و (البلقاء) : الناقة التي لا تحمل ، (والشوائل) : جمع شائلة وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر ، فجف لبنها ، أو مفرده

(شائل) وهي الناقة التي تشُولُ بذنبها أي ترفعه للِّقاح ولا لبن لها أصلاً .

٥١ – الكر (بضم الكاف) : من المكاييل ، يقدر بستين قفيزًا ، أو أربعين إردبًا .

٥٢ – طَرَقَتْ الناقةُ : استقبلت ماء الفحل ؛ للحمل – والمقصود هنا : حملت ناقتهم من إنسان ، أو حملت به ، وهو أمر محال على كل حال .

٥٣ – البيت من المتقارب ، ولم أهتد الى قائله .
والأُطم (بضم فسكون) : بناء مرتفع ، وجمعه آطام . وقد ضمت الطاء في البيت ضرورة شعر . والمعنى : دعوناهم لمنازلتنا في الحرب فلم يجيبوا ، وهزموا .

٥٤ – البيت من البسيط ، ولم أهتد إلى قائله .

٥٥ – كلمة مطموسة في المصورة .

٥٦ – ورد في هذه المسألة بعض الألفاظ الغريبة ، وفيما يلي تفسيرها :
العثْوَلُ : الرجل العيي الفدم الثقيل المسترخي ، أو الكثير شعر الجسد والرأس .
والقِرْشَبُّ : الضخم الطويل من الرجال ، أو الأكول ، أو المسن ، أو السيئ الحال .
والحبَنْطى : الغليظ القصير البطين .
والكَوَأْلَلُ : القصير مع غلظ وشدة .
والحبَرْكى : الطويل الظهر ، القصير الرجلين ، كأنه مقعد .
والسبَهْلَلُ : الباطل ، أو الفارغ ، أو الضال الحائر .
والسفَرْجَلُ : نوع من النبات في حجم البرتقال ، لكنه حمضي الطعم .
والجِرْدَحْلُ : من الإبل : الضخم الغليظ .
والعلَكْدُ : الغليظ الشديد العنق والظهر من الإبل وغيرها .
والهَلَقس : الشديد من الناس والإبل .

٥٧ – انظر : كتاب سيبويه [٣ / ٤٣٠ – تحقيق هارون] .

٥٨ – في الأصل : وعثيل ، ولا وجه له .

٥٩ – انظر : كتاب سيبويه [٣ / ٤٣٦ – تحقيق هارون] .

٦٠ – خَيَّرَ سيبويه في تصغير (كَوَأْلَل) بين حذف الواو وحذف إحدى اللامين ، فقال [٣ / ٤٣٦] : إن شئت حذفت الواو ، وقلت : كُوَيْلِل وكُوَيْليل – وتقديرها : كُعَيْلِل وكُعَيْليل – وإن شئت حذفت إحدى اللامين فقلت : كُوَيْئِل وكُوَيْئيل – وتقديرها : كُوَيعِل وكُوَيعيل – ، لأنهما زائدتان ألحقتاه بـ (سَفَرْجَل) ، وكل واحدة منهما بمنزلة ما هو من نفس الحرف .

٦١ – كذا ، ولعل المقصود : انتهى السؤال .

٦٢ – البيت من الكامل ، ولم أهتد إلى قائله ، والمنقع : مكان النقع وهو الإرواء بالماء . والأجواد : مـن جيدَ الرجل يُجَادُ فهو مَجُودٌ ، إذا عطش ، والجُودَةُ : العطشة ، ومنه قول الباهلي :

ونَصْرُكَ خاذلٌ عني بطيءٌ
كأنَّ بكم إلى خَذْلي جُوادًا

أي عطشًا .

٦٣ – جرت عادة ابن جني أن يضع هذا الحرف (ع) في بعض مسائل كتابه ، ولعله يقصد بها (تعليقة) له ، أو الحرف الأول من اسمه (عثمان) .

٦٤ – البيت من الطويل ، ولم أهتد إلى قائله ، وقوله : شح عارم – كذا بالأصل .

٦٥ – انظر : الخصائص (باب في أن المجاز إذا كثر ألحق بالحقيقة) ٢ / ٤٤٧ وما بعدها .

٦٦ – البيت من الطويل ، وهو في الخصائص [٢ / ٤٥٤] غير منسوب .

٦٧ – البيضة : الخوذة توضع على الرأس لتقيه السلام . و(الحرباء) : مسمار الدرع . و (صليل) الحرباء : صوته ؛ وذلك أن يضرب الدرع بالسيف فلا تنفذ فيه الضربة وترتد ، فيكون لذلك صوت . و (الصفيحة) السيف العريض .

٦٨ – كذا بالأصل ، ولم أدرك سر هذا التنزيل .

٦٩ – جزء بيت من الطويل ، لم أهتد إلى قائله ، أو تكملته .

٧٠ – كذا بالأصل ، ولم أهتد إليه في مصدر آخر .

٧١ – أي ضمت همزة الوصل في أول الفعل ؛ حَمْلاً على ضمة ما بعده وهو الحرف الثالث .

٧٢ – أي ضُمَّتْ الدال من (شُدَّ) وكسرت الراء من (فِرَّ) وفتحت النون من (ضَنَّ) [وهي كلها أفعال أمر من مضعف الثلاثي] حَمْلاً على مجانسة حركة أول المضعفين في كل منها . ففيه حمل الثاني على الأول ، وانظر : الخصائص [٢ / ١١١] .

٧٣ – وجه المشابهة – على ما يفهم مما ذكره في الخصائص [١٠٨/٢] – أن حركة العين عاقبت في بعض المواضع تاء التأنيث ، فَهُمْ إذا ألحقوا التاء أسكنوا العين ، وإذا حذفوها حركوا العين . وأكثر ما يكون ذلك فيما دل على داء . قالوا : حَبِطَ حَبَطًا ، وقالوا : حَقِلَ حَقْلَةً ومَغِلَ مَغْلَةً . ومن ذلك : جَفْنة وجَفَنَات : لما ألحقوا التاء بالمفرد سكنوا عينه ، ولما حذفوها في الجمع حركوا العين ، فلما تعاقبت التاء وحركة العين جَرَيا لذلك مجرى الضدين المتعاقبين ، فلما اجتمعا في (فَعَلَة) ترافعا أحكامهما ؛ فأسقطت التاء حكم الحركة ، وأسقطت الحركة حكم التاء ، فآل الأمر بالمثال إلى أنه صار كأنه (فَعْل) وفعل باب تكسيره أفْعُل نحو أكمة وأكُم .

٧٤ – انظر : الخصائص [٢ / ١٠٨ وما بعدها] ويفسر الشيخ محمد علي النجار (ترافع الأحكام) بقوله : «إنه قد يجتمع في الكلمة أمران يقضي كل منهما إذا انفرد بحكم في اللغة تكون عليه الكلمة ، فيكون ذلك داعيًا إلى إلغاء تأثيرها ، فكأن هذا رفع حكم هذا ، وهذا رفع حكم هذا وأبطله . فمن ثم صاغ ابن جني لهذا الأصل ترافع الأحكام . ويقرب من هذا قول

الأصوليين وأرباب الاستدلال : «إن الأمرين إذا تعارضا تساقطا» .

٧٥ – رجز ، قائله رؤبة بن العجاج . وليل غاضٍ : مظلم ، وقد ورد : ليل مُغْضٍ – اسم فاعل من (أغْضَى) على القياس – وهي لغة قليلة . انظر : المحتسب ٢ / ٢٤٢ ، لسان العرب (غضا) .

٧٦ – رجز ، للعجاج . انظر : لسان العرب (دلا) .

٧٧ – البيت من الطويل ، قائله خفاف بن ندبة ، يصف فرسًا . وأرض الدابة : أسفل قوائمها . والسماء : ظهره ، واستحمام أرضه من العرق . وقوله (مَوْبُوع) أي ساكن لا يجتهد . وواعد مصدق : أي يَعِدُ راكبه بمواصلة العَدْو ، ويصدق في وعده ، ولا يَخِيسُ فيه . [انظر : لسان العرب (ودع) ، الخصائص (٢/ ٢١٦ – مع الهامش)] .

٧٨ – رجز ، لم يُدْرَ قائله ، و (مزعوق) : أي مذعور ذكي الفؤاد ، وقيل : هو هنا بمعنى : مبالغ في غذائه . [انظر : لسان العرب (زعق)] .

٧٩ – عجز بيت من الطويل ، ورد غير منسوب في لسان العرب (وثق) ، وأورده الشيخ النجار في هامش الخصائص (١٩٣/١) ضمن ثلاثة أبيات لبشر بن أبي خازم ، مع اختلاف بعض الألفاظ .

٨٠ – عجز بيت من الكامل ، قائله لبيد بن ربيعة ، والبيت تامًا هو :

أَوْمُذْهَبٌ جَدَدٌ على ألواحه
النَّاطقُ المبروز والمختوم

[انظر : لسان العرب (برز)] .

٨١ – رُبَّيْدان : نبت . وهَيْرَدان : اللص – قال ابن منظور : وليس بثَبَت وعَرَيْقُصان ، واحده عَرَيْقُصانة . والعَبَيْثَران : نبات كالقيصوم في الغبرة ، إلا أنه طيب للأكل له قضبان دقاق طيب الريح – ومثله العَبَوْثَران . والتَّرْقُوَة : العظمة المشرفة بين ثغرة النحر والعاتق تكون للناس وغيرهم . والقَمَحْدُوَة : الهَنَةُ المشرفة فوق القفا ، إذا استلقى الرجل أصابت الأرض من رأسه . [انظر : لسان العرب في مواد هذه الكلمات] .

٨٢ – هو : أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، تلميذ سيبويه وأحد علماء البصرة في اللغة والأدب ، توفي سنة ٢١٠هـ .

٨٣ – هو : أبو علي الحسن بن أحمد ، إمام العربية في عصره ، وأستاذ ابن جني ، توفي سنة ٣٧٧هـ .

٨٤ – صدر بيت من البسيط ، قائله شاعر من أهل هَرَاة عندما افتتحها عبدالله بن خازم سنة ٦٦هـ . وعجزه هو : (وأسعدُ اليومَ مشغوفًا إذا طَرِبَا) . [انظر : كتاب سيبويه ٣ / ١١٢ ، لسان العرب (هرا) ، ابن يعيش ٩ / ١٠] .

٨٥ – رجز ، ورد في لسان العرب (وذم) غير منسوب . وأوْذَمَ : أوْجَبَ . ويُسْم : متلطخة بالذنوب – يريد : أحرم بالحج وهو مُدَنَّسٌ بالذنوب .

٨٦ – صدر بيت من البسيط ، ورد في لسان العرب (عقد) غير منسوب .

٨٧ – صدر بيت من الطويل ، من قصيدة للنابغة الذبياني – ويروى البيت هكذا :

لَكَلَّفْتَني ذَنْبَ امرِئٍ وتركته
كذى العُرِّ يُكْوَى غيره وهو راتع

و (العُرّ) : الجَرَب . يُكْوَى غيره : يُعَاني غيره – وهو الجمل السليم يعالج بالكي – يريد : أن المذنب يرتع فرحًا ، والمتهم المظلوم يواجه الخوف والعذاب . [انظر : ديوان النابغة ٥٦] .

٨٨ – البيت من الرمل ، من قصيدة لعديّ بن زيد ، يخاطب بها النعمان بن المنذر ، وكان قد حبسه . [انظر : ديوانه ٩٣ ، المحتسب ١ / ١٤٤ ، ٣٣٥] .

٨٩ – رجز ، للعجاج . والخَرّار : المصوت . والصُّرّار : طير ، ويريد به : المنجنيق . يقول : أصم وقعها تلك الطير . [انظر : الحلبيات ٢٥٣ ، ديوان العجاج ٤١٩] .

٩٠ – البيت من الطويل ، للفرزدق . وابن غَرّاء : هو ضرار بن مسلم أخو قتيبة الذي خلعه سليمان ابن عبدالملك عن ولاية خراسان . [انظر : ديوانه ٨٧٢ ، الحلبيات ٢٤٨] .

٩١ – في لسان العرب [حدا] : وفي حديث ابن عباس : لا بأس بقتل الحِدَوْ والأَفْعَوْ – وهو لغة في الوقت على ما آخره ألف ، تقلب الألف واوًا ، ومنهم من يقلبها ياء : يخفف ويشدد . والحِدَوْ : هي الحِدَأ ، جمع حِدَأة : الطائر المعروف .

٩٢ – أي : يطيف به ، ويعكف على خدمته وقضاء حوائجه .

٩٣ – أي : يتركه ، يقال : أَجَمَّ العنبَ ، أي قطع كل ما فوق الأرض من أغصانه ، وأَجَمَّ فرسه : أي ترك ركوبها ، وانصرف إلى غيرها .

٩٤ – يقصد بالضمير في (إنها) الأشعارَ التي يعكف على اختيارها أو على تنقيحها ؛ لتبقى بين الناس أبَدَ الدهر .

٩٥ – البيت من الطويل ، من معلقة امرئ القيس . وعقرت : ذبحت ، والعذارى : الأبكار . [انظر : ديوانه ١١٢ ، مغني اللبيب ٢٧٥] .

٩٦ – يهجو امرأة – والمئبر : الإبرة . والإشْفَى في الأصل : مِخْرَزُ الإسكاف – يريد : أنها دقيقة الساقين ، هزيلة اليدين . [انظر: الخصائص ٢ / ٢٢١ ، ٣ / ٩٥ – المخصص ١/ ٨١، ١٠٦/١٥] .

٩٧ – البيت من الكامل ، من قصيدة للمتنبي يمدح سيف الدولة ، وقد أنشده إياها وهو بآمِدَ ، وكان منصرفًا من بلاد الروم . و (يتقيّلون) : يستريحون وقت الظهيرة عندما يشتد الحر . و (المُطَهَّم) : الفرس الحسن التام كل شيء منه . و (أَجْلَ الظليم) : أي من أجل صيد ذكر النعام . و (رِبْقَة السِّرْحان) : أي إيقاع الذئب في الشرك . [انظر : ديوان المتنبي ٢٨٩] .

٩٨ – عجز البيت من الرمل ، من قصيدة لامرئ القيس في وصف الغيث ، والبيت تامًا هو :

ديمةٌ هطلاءُ فيها وَطَفٌ
طَبَقُ الأرض تَحَرَّى وتَدُرّ

والدِّيمةُ : المطر الدائم . والهطلاء : الغزيرة . والوَطَف : الاسترخاء . وطَبَقُ الأرض : تَعُمّ الأرض وتطبقها . وتَحَرَّى : أصلها تتحرى ، حذفت إحدى تاءيه تخفيفًا ومعناه : تقصد . وتَدُرّ : تصب الماء . [انظر : ديوان امرئ القيس ٧٨ ، لسان العرب (طبق)] .

٩٩ – رجز ، لم أهتد إلى قائله .

١٠٠ – عجز بيت من الكامل ، لأبي كبير الهذلي ، والبيت تامًا هو :

أزُهَيْرُ إن يَشِبِ القَذَالُ فإنه
رُبَّ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بهيضل

الهمزة للاستفهام . و (زُهير) : يريد زهيرة و (القذال) : ما بين الأذنين والقفا . و (الهيضل) : الجيش . و (المرس) : الخبير بفنون الحرب . [انظر : المحتسب ٢ / ٣٤٣ ، الخصائص ٢ / ٤٤٠] .

١٠١ – أي في قول الراجز ، وهو جندل بن مثنى الطهوي :

وكَحَلَ العينين بالعواور

ووجه الجمع بين العواور ورُبَ مخففة الباء أن في كل منهما حذفًا ، فـ (العواور) جمع مفرده عُوّار وقياسه (العواوير) فحذف الياء ، و (رُبَ) مخففة من (رُبَّ) مشددة الباء .

١٠٢ – هو : أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، المتوفى سنة ٣٨٤هـ – وكتابه هو (الجامع في تفسير القرآن) ذكر بروكلمان أنه مفقود ، إلا الجزء السابع منه فهو موجود في باريس .

١٠٣ – يريد : مُوَثَّقًا قويًا فائقًا أقرانه ، من قولهم : ناقة أُجُدٌ : أي قوية مُوَثَّقَةُ الخَلْق .

١٠٤ – في الأصل : ولا أحد – ولا معنى للسياق عليه .

١٠٥ – أبو عثمان هو : بكر بن محمد بن بقية المازني المتوفى سنة ٢٤٧هـ – وأبو العباس هو : محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ .

١٠٦ – هو كتاب (مسائل الغلط) ، قال عنه بروكلمان [٢ / ١٦٧] : وهو نقد قليل الأهمية لكتاب سيبويه ، وصفه المبرد نفسه في شيخوخته بأنه من عبث الشباب ، وقد ذكره السيوطي في : المزهر [٢ / ٢٣٣] .

١٠٧ – هو : أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي ، المتوفى سنة ٢٢٥هـ .

١٠٨ – أبو بكر هو : إما محمد بن السري بن السراج المتوفى سنة ٣١٦هـ ، وإما محمد بن الحسين بن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ . ومعنى جمشه : داعبه بكلام خفي ونحوه .

١٠٩ – هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج المتوفى سنة ٣١٦هـ – وكتاب الإغفال المشار إليه هنا صنفه أبو علي الفارسيّ للرد على الزجاج في كتابه معاني القرآن ، وهو بعنوان : الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني .

١١٠ – هو : أبو الحسن محمد بن أحمد بن كَيْسَان ، من تلاميذ المبرد ، توفي سنة ٣٢٠هـ .

١١١ – هو : محمد بن الحسن الشيباني ، من أصحاب أبي حنيفة الفقيه المشهور صاحب المذهب ، توفي سنة ١٨٩هـ .

١١٢ – البيت من الطويل ، من معلقة زهير بن أبي سلمى .[انظر : ديوانه ١١١] .

١١٣ – كلمة مطموسة في المصورة .

١١٤ – صدر بيت من البسيط ، ولم ينسب إلى أحد ، وعجزه هو :

ربَّ العباد إليه الوجه والعمل

[انظر : كتاب سيبويه ١ / ٣٧ ، الخصائص ٣ / ٢٤٧] .

١١٥ – صدر بيت من البسيط ، وعجزه هو :

فقد تركتك ذا مال وذا نشب

وينسب هذا البيت إلى عمر بن معد يكرب ، أو أعشى طرود ، أو العباس بن مرداس ، أو خفاف بن ندبة ، أو زرعة بن السائب . [انظر : كتاب سيبويه ١ / ٣٧ ، مغني اللبيب ٤١٥] .

١١٦ – صدر بيت من الوافر ، قائله لجيم بن صعب ، وعجزه قوله :

فإن القول ما قالت حذام

و (حذام) امرأته . ويروى البيت : فصدقوها بدلاً من (فانصتوها) . [انظر : مغني اللبيب ٢٩١ ، شرح ابن عقيل ١ / ٦٣ ، لسان العرب : حذم] .

١١٧ – انظر : الخصائص باب الحمل على المعنى [٢ / ٤١١ وما بعدها] .

١١٨ – صدر بيت من الطويل ، قائله دريد بن الصمة ، وعجزه قوله:

سراتهم في الفارسي المُسَرَّد

[انظر : لسان العرب (ظنن)] .

١١٩ –من مجزوء الكامل ، ورد في قصيدة منسوبة إلى الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، ومنها :

يا بؤس للدهر الذي ... ما دام مختلفًا طباعه
قد قيل في أمثالهم ... يكفيك من شر سماعه

[انظر : ديوانه ٣٣] .

١٢٠ – في الأصل : «متكئين على الأرائك» – وهو خطأ ، والكلام على الآيات [٣٤ – ٣٦] من سورة المطففين ، قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

١٢١ – في الأصل : «متكئين» – وهو خطأ .

١٢٢ – في الأصل : «لو فعل ذلك فعل ينظرون لانتقض المعنى» . وفيه اضطراب .

١٢٣ – في الأصل : «فادت إلى النفي» .

١٢٤ – من الآية ٣٤ من سورة النمل ، قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ : إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ .

١٢٥ – انظر : الخصائص باب في الرد على من ادَّعى على العرب عنايتها بألفاظها وإغفالها المعاني . [١ / ٢١٥ وما بعدها] .

١٢٦ – البيت من المتقارب ، من قصيدة للخنساء . [انظر : ديوانها ٥٩] .

١٢٧ – شطر بيت من البسيط ، ولم أهتد إلى قائله أو تكملته .

١٢٨ – البيت من الطويل ، ولم أهتد إلى قائله .

١٢٩ – البيت من الوافر ، قائله حازم بن غالب بن الحارث العكلي . [انظر : همع الهوامع ٢ /١٧٥ ، شرح ابن عقيل ١/ ١٣٥] .

١٣٠ – البيت من الوافر ، من قصيدة للنابغة الذبياني يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر . [انظر : ديوانه ٦١] .

١٣١ – مطلع قصيدة من الكامل ، وهي للمتنبي يمدح مساور بن محمد الرومي ، والبيت تاماً هو :

جَلَلاً كما بي فَلْيَكُ التبريح
أَغِذاءُ ذا الرَّشَأ الأَغَنِّ الشِّيحُ ؟

[انظر : ديوانه ٧٠] .

١٣٢ – كذا بالأصل .

١٣٣ – البيت من الرمل ، وهو غير منسوب في ضرائر الشعر للقزاز (١٠٢) برواية :

ولقد يغني بها جيرانك الـ
ممسكو منك بحبل الوصال

١٣٤ – جزء بيت من المنسرح ، وهو لعمرو بن امرئ القيس الخزرجي – جد عبد الله رواحة – والبيت كاملاً هو :

الحافظو عورة العشيرة لا
يأتيهم من ورائهم وكف

و (الوكف) : العيب والإثم ، ويروى (نطف) بدلاً منه . [انظر : الضرائر للألوسي ٧١ ، ضرائر القزاز ٧٧] .

١٣٥ – صدر بيت من الطويل ، من قصيدة لزهير بن أبي سلمى في مدح سنان بن أبي حارثة المري ، والبيت كاملاً هو :

هنالك إن يُسْتَخْوَلُوا المالَ يُخْوِلُوا
وإن يُسألُوا يُعْطُوا وإن يَيْسِروا يُغْلُو

ويروى الشطر الأول : (هنالك إن يُسْتَخْبَلوا المال يُخْبِلوا)

والاستخبال والاستخوال : أن يستعير الرجل من صاحبه إبلا فيشرب ألبانها وينتفع بأوبارها . ويخبل أو يخول : يعير الفرس أو الناقة .

ويَيْسروا : من الميسر .

يقول : إذا قامروا بالميسر يأخذون سمان الجزر فيقامرون عليها ، لا ينحرون إلا غاليه . [انظر : ديوان زهير ٨٦ ، لسان العرب (خول)] .

١٣٦ – هذا في وصف فحل الإبل ، والمصعب : الذي لم يُذَلَّلْ . والبيت من أرجوزة طويلة لأبي النجم ، أولها : (الحمدلله الوهوب المجزل) . [انظر : لسان العرب (فيل) ، الخصائص ١ / ٩٨] .

١٣٧ – النوك (بضم النون وسكون الواو) : الحمق ، والرجز غير منسوب في : المخصص ١٤ / ١٨٤ ، لسان العرب (سمك – نوك)] .

١٣٨ – بياض بالأصل .

١٣٩ – لم يرد في اللسان (زوي) أن الزِّيَّ بمعنى الأدب نَصّاً ، وإنما الوارد أنه بمعنى الشارة والهيئة واللباس ، كقول الراجز :

ما أنا بالبصرة بالبصري ولا شبيهٌ زَيُّهُمْ بِزَيِّي

ويمكن حمله على معنى (الأدب) بطريق المجاز والتَّبَع .

١٤٠ – الأُرْفَة (بضم فسكون) : الحدُّ بين الشيئين من الأرضين وغيرها ، وجمعها أُرَفٌ . وكذلك العَلَمُ هو : الحدّ الفاصل بين شيئين ، أو المنار الذي ينصب في الفلوات تهتدى به الضالة [لسان العرب : أرف ، علم] . ولو مثل ابن جني بـ (العَلَمة والعَلَم) لكان أدقَّ في تشبيهه بما يلي بعده ؛ لاتحاد المادة في اللفظتين .

١٤١ – انظر : ديوانه ٩٠ .

١٤٢ – البيت من البسيط ، و (القنان) : جمع قنة وهي أعلى الجبل . و (القُودُ) : جمع أَقْوَد أو قَوْداء ، وهو المرتفع في السماء . و (الداميم): المفاوز، جمع (دَيْمُومَة) ، أي دائمة البعد . [لسان العرب : قنن] .

١٤٣ – يقصد بـ (الأول) الفعل (رأيت) قبل أن ينقل إلى معنى أخبرني .

١٤٤ – انظر : الخصائص ٣ / ١٧٣ وما بعدها – باب في الاكتفاء بالسبب عن المسبب ، وبالمسبب عن السبب .

١٤٥ – البيتان من الوافر ، وقد وردا في ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي (٩٣) غير منسوبين .

١٤٦ – انظر : كتاب سيبويه [٣ / ٥٥٦] قال : «واعلم أن من العرب من يقول في أَوْ أنت : أَوَنْتَ – يبدل – ويقول : أنا أرميُّ بَاكَ ، وأبو يُّوب – يريد : أبا أيوب ، وغلاميُّ بِيك . وكذلك المنفصلة كلها إذا كانت الهمزة مفتوحة» .

١٤٧ – انظر : الخصائص [٣ / ٩٣ وما بعدها] .

١٤٨ – هو أبو عمرو بن العلاء .

١٤٩ – انظر : الخصائص [٣ / ٢٣١ وما بعدها] – باب في الامتناع من نقض الغرض .

١٥٠ – البيت من الطويل ، من قصيدته في مدح يزيد بن معاوية . و (القطين) : الخدم والأتباع . و (المولّد) : الذي عاش بين العرب من أصل أعجمي . والبيت من جملة أبيات في نسوة يشبب بهن . والمعنى : إذا أردت الاستمتاع بحديثهن وهن

سائرات في هوادجهن نزلن ونزل معهن الخدم . ويروى رفعن في موضع نزلن أي : رفعن في السير وعجلن ، أو رفعن السُّجُف [انظر : ديوان الأخطل ٧٣ ، الخصائص ٣٤٢/٢] .

١٥١ – عجز بيت من الطويل ، قائله عامر بن الطفيل ، والبيت كاملاً هو :

فما سودتني عامر عن وراثة
أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

[انظر : الخصائص ٢ / ٣٤٢ ، خزانة الأدب ٣ / ٥٢٧] .

١٥٢ – انظر الخصائص [٢ / ١٤ وما بعدها] – باب في العربي يسمع لغة غيره : أيراعيها ويعتمدها أم يلغيها ويطرح حكمها .

١٥٣ – انظر : سر صناعة الإعراب [١ / ٢٢٠ – ٢٢٦] وفيه أن أبا علي الفارسي استدل على شدة اتصال الفعل بالفاعل بأربعة أدلة ، وزاد ابن جني عليها خمسة أدلة ، فيكون المجموع تسعة أدلة ، وليس اثني عشر دليلاً – على ما ذكره هنا .

١٥٤ – البيتان من البسيط ، لعمر بن أبي ربيعة ، ورواية عجز البيت الأول في ديوانه هو :

قد كنت عندي تحت الستر فاستتر

[انظر : ديوانه ٢١٩] .

١٥٥ – البيت من الطويل . [انظر : ديوانه ٢٥] .

١٥٦ – عجز بيت من الطويل ، من معلقة امرئ القيس ، وصدره قوله :

وقوفاً بها صحبي على مطيهم

[انظر : ديوانه ١١١] .

١٥٧ – جزء بيت من الطويل ، وهو مطلع معلقة امرئ القيس ، والبيت هو :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُول فَحَوْمَلِ

[انظر : ديوانه ١١٠] .

١٥٨ – (المُعْرِب) كتاب له في شرح القوافي ، وقد أشار إليه من قبل في هذا المخطوط . وانظر كلامه عن إجراء المتحرك مجرى الساكن في : الخصائص [٢ / ٣٢٨] .

١٥٩ – كذا بالأصل .

١٦٠ – انظر : الخصائص [٣ / ٥١ وما بعدها] .

١٦١ – البيت من المتقارب ، من قصيدة كتبها المتنبي للوالي ، وهو في الاعتقال . [انظر : ديوانه ٨٤] .

١٦٢ – شطر بيت من البسيط ، والبيت كاملاً هو :

أَلَسْتِ أَحْسَنَ من يمشي على قدم
يا أحسن الناس كُلَّ الناس إنسانا

[انظر : ديوانه ٤٩١] وفيه : (يا أملح) بدلاً من (يا أحسن) .

١٦٣ – البيت من الكامل ، للمتنبي . والثُّغَرُ : جمع ثُغْرَة وهي نُقْرَة في النَّحْر . والجآذر : جمع جُؤْذَرٌ ، وهو ولد البقرة الوحشية – والدمالج : جمع دُمْلُج وهو المِعْضَدَ من الحَلْي . والخلاخل جمع خَلْخَل وهو الخَلْخَال المعروف للنسر [انظر : ديوانه ١٩٩] .

١٦٤ – البيت من المتقارب ، للأعشى الكبير . و (الأقران) . جمع قرين وهو المثيل . و (المِصَاع) : العراك . و (الجَوْن) مفرده جونة وهي سُلَيْلَة مغشاة بالجلد تكون للعطارين [انظر : ديوانه ١٩١] .

١٦٥ – رجز لم أهتد إلى قائله .

١٦٦ – البيت من الطويل ، ولم أهتد إلى قائله .

١٦٧ – عجز بيت من الطويل ، وصدره هو :

تَعَشَّ فإن عاهدتني لا تخونني

[انظر : ديوانه ٨٧٠] .

١٦٨ – البيت من الكامل .

١٦٩ – كلمة مطموسة في المصورة .

١٧٠ – مقدار أربعة أسطر مطموسة في المصورة .



التراث الشعبي في دول الخليج العربية ببليوغرافيا مشروحة لأحمد عبدالرحيم نصر وآخرين

أمين سليمان سيدو
مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض

التراث الشعبي في دول الخليج العربية : ببليوغرافيا مشروحة ، تحرير وتصنيف أحمد عبدالرحيم نصر ؛ جمع : يوسف عايدابي ، إبراهيم عبدالله غلوم ، أحمد عبدالرحيم نصر ، محمد رجب النجار ، مراجعة القسم المركزي للمعلومات .– ط١ .– الدوحة : مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية ، ١٩٩٣م .– ٣٣٤ص .

أصبح علم الببليوجرافيا فرعًا معرفياً من علوم المكتبات والمعلومات ، له قواعده العلمية ، وأسسه الفنية ، التي تمنحه خاصية مميزة ، وتجعله في مصاف العلوم العملية والتطبيقية ، بالإضافة إلى أنه يتجاوز هذه العلوم في أنه يحمل تأشيرة دخول مفتوحة إلى عالم المعرفة في أي زمان أو مكان .

ومن هذه القواعد والأسس :

١ – التغطية الموضوعية . ٢ – التغطية الزمنية .
٣ – التغطية المكانية . ٤ – طريقة التنظيم .
٥ – الأدوات الفنية .

وعلى ضوء هذه الركائز الأساسية الخمس لعلم الببليوجرافيا ، يتساءل المرء : ما الغاية الأساسية من العمل ؟ ومن هم المستفيدون ، أو الفئات المستفيدة منه ؟ .

وفي ظل وجود القوائم الببليوجرافية ، وغياب الناقد الببليوجرافي لا يمكن بحال من الأحوال الارتقاء بمستوى العمل الببليوجرافي ، ولا أبالغ إن قلت : «النص الإبداعي» ففيه إبداع لا يكتشفه إلا اثنان :

الأول : هو الببليوجرافي الفنان الذي عانى من عملية البحث والتجميع ، والتقصي ، والتنظيم ... إلخ .

الثاني : هو الباحث الذي عانى – ويعاني – من شقاء البحث في موضوعه ، فيجد بغيته في العمل الببليوجرافي .

يقول لوسيان فيفر : «غالبًا ما يكافأ المفهرس بعقوق المستفيدين من عمله . لكنه حسبه إدراكًا أن عمله عظيم الفائدة ، وأنه يولِّد من خلاله عملاً آخر لينال عندها مكافأته الحقة ! !» .

ونحن مع لوسيان فيما قاله ، ونقدر خطوة مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية في إصدارها لعمل ببليوجرافي موسوم بـ «التراث الشعبي في دول الخليج العربية : ببليوغرافيا مشروحة» حرره وصنفه أحمد عبدالرحيم نصر ، وراجعه القسم المركزي للمعلومات بالمركز .

وقد قُسِّمَ هذا العمل حسب أسماء الدول الأعضاء في المجلس على النحو الآتي :

– دولة الإمارات العربية المتحدة : جمع يوسف عايدابي . تصنيف أحمد عبدالرحيم نصر .
– دولة البحرين : جمع إبراهيم عبدالله غلوم . تصنيف أحمد عبدالرحيم نصر .
– المملكة العربية السعودية : جمع وتصنيف أحمد عبدالرحيم نصر .
– دولة قطر : جمع وتصنيف أحمد عبدالرحيم نصر .
– دولة الكويت : جمع محمد رجب النجار . تصنيف أحمد عبدالرحيم نصر .

وألحقت بالعمل قائمتان أخريان . جاء في المقدمة :

«رأينا أن نضيف إلى ذلك وفي الملحق الأول المرفق أيضًا بهذه الببليوغرافيا عروض الكتب وكلمات رؤساء التحرير ، والرسائل الواردة إليهم من القراء ، والمقابلات والتحقيقات مع حاملي التراث الشعبي أو المهتمين به أو دارسيه إذ حوت معلومات حول التراث الشعبي ..» ص ٩ .

أما عن الملحق الثاني فقد جاء في المقدمة أيضًا ما يلي : « .. لم نستطع الحصول على الأعمال نفسها للاطلاع عليها وكتابة نبذة عنها . وقد فضلنا أن نضمن هذه الأعمال في الملحق الثاني بهذه الببليوغرافيا ..» ص٩.

وقد تمّ تقسيم هذا العمل جغرافياً بأسماء الدول الأعضاء في المجلس كما أشرنا سابقًا ، وأُدرج تحته ثلاثة كشافات كالتالي :

١ - كشاف العناوين : وفيه سرد ببليوجرافي للمواد ، مع إعطاء مستخلص لكل مادة ، وهي ما تعرف بالببليوجرافيا الشارحة .

٢ - كشاف المؤلفين : وقد حصر فيه أسماء المؤلفين والكتاب والمشاركين والمحررين والمحققين ، وأسماء الهيئات ... وسواهم .

٣ - كشاف الموضوعات : وهو حصر لرؤوس الموضوعات ، مع الإشارة إلى أرقام المواد في كشاف العناوين .

هذا هو الهيكل العام الذي بنيت على أساسه هذه القائمة الببليوجرافية المشروحة عن التراث الشعبي في دول الخليج العربية .

فإذا ما أدخلنا هذه القائمة تحت مجهر التشريح الببليوجرافي ، بات من الضروري أن نلتزم بالقواعد الأساسية التي تقوِّم النص الببليوجرافي ، وتميِّز جوانب القوة والضعف في الموضوع .

١ - **التغطية الموضوعية** : قبل أن نبدأ بالتحليل الموضوعي للمادة الببليوجرافية التي بنيت على أساسها هذه القائمة ، لابد أن نحدِّد مفهوم التراث الشعبي ، أو الفولكلور كمصطلح وشيج الصلة به .

فقد أورد فوزي العنتيل في كتابه «الفولكلور ماهو ؟» ما قاله (باسكوم) نقلاً عن قاموس الفولكلور : «إن اصطلاح الفولكلور قد أصبح في الاستخدام الأنثروبولوجي - يعني : الأساطير ، وقصص الخوارق ، والحكايات الشعبية ، والأمثال الشعبية ، والألغاز ، والنظم، وكذلك ألوانًا مختلفة من أشكال التعبير الفني التي تستخدم الكلمة المنطوقة كأداة لها ، وعلى هذا فإنه من الممكن تحديد الفولكلور بأنه فن قولي» .

وعلى هذا الأساس كما يشير لطفي الخوري في كتابه «في علم التراث الشعبي» بأن التراث الشعبي علم من العلوم الإنسانية ، والغاية من دراسته فهم وظيفته الاجتماعية في حياة الإنسان الذي عبر عن طريقه ، وكل بأسلوبه ، عن تطلعاته وتفسيره للمجتمع الذي يعيش فيه ، معللاً المظاهر الطبيعية أو الاجتماعية أو الاقتصادية بالأسلوب الذي يراه أكثر ملاءمة لإدراكه وفهمه لها ، فالتراث الشعبي ليس مجرد دراسة الثقافة الروحية للشعب ؛ بل إنه أكثر التصاقًا بثقافته المادية بأوسع معانيها .

واستنادًا لما قاله باسكوم والخوري ، فإن الإطار العام للتراث الشعبي أو (الفولكلور) ومفهومه الأنثروبولوجي والأدبي ، وأشكاله المادية والفنية ، هو الثقافة الشعبية .

وعلى الرغم من أنه قد أشير في مقدمة هذا العمل بأن هذه الببليوجرافيا « .. تشمل الأعمال المتصلة اتصالاً مباشرًا بالتراث الشعبي والأعمال المبثوثة في تضاعيفها المادة التراثية الشعبية أيضًا ككتابة الرحالة ، والكتابات الأدبية كالقصص والروايات ، والكتابات التاريخية والجغرافية والتراجم ... إلخ ، التي تأتي فيها المادة عرضًا ودون قصد» ص ٥ .

أتساءل هنا هل تخلو مادة من الكتابات التاريخية ، والجغرافية ، والاجتماعية ، والأدبية وغيرها من الإشارة إلى حدث تاريخي ، أو موقع أثري ، أو شخصية تراثية ، أو استشهاد ببيت من الشعر الشعبي ، أو مثل شعبي ، أو بيان عادة اجتماعية ، أو ظاهرة اجتماعية من ظواهر السلوك ... إلخ ؟ .

إذا كان الأمر هكذا كما أشير إليه ، فإن جُلَّ إنتاجنا الفكري منذ أن بدأ التدوين وحتى الآن يعدّ تراثًا شعبياً ؛ لأنه مبثوثة في تضاعيفه المادة التراثية الشعبية ؛ فلماذا لم تُضَم في هذا العمل ؟ .

استعرض ها هنا نماذج من مواد أدرجت تحت المملكة العربية السعودية في هذه القائمة على سبيل المثال لا الحصر ، وعُدَّت موادًا من التراث الشعبي :

عنوان المجد في تاريخ نجد [٣٠١] ، معجم مدينة

الرياض [٤٠٩] ، نبذة تاريخية عن نجد [٤٤٣] ، نجد وملحقاته [٤٤٥] ، الرياض سفيرة المدن ، من حديث نوركهارت عن الخيل العربية قبل ١٧٠ سنة [١٥٢] ، مذكرات طالب [٣٩٢] ، عمارة مكة والمدينة وما نصيب عبدالرحمن كتخدا منها [٢٩٦] ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري [٦٠] ... إلخ .

وهناك أعمال من صميم التراث الشعبي لم تشملها هذه القائمة ، مثل :

- ديوان ابن سبيل . جمعه وأشرف عليه محمد بن عبدالعزيز بن سبيل .
- من الشعر النجدي : ديوان إبراهيم بن جعيثن ومحمد العبدالله العوني . جمعه محمد العبدالرحمن اليحيى ، رتبه وفسر بعض ألفاظه عبدالله بن خالد الحاتم .
- الملحمة الشعبية في تأسيس الملك عبدالعزيز آل سعود للمملكة العربية السعودية . تأليف عبدالله العلي الزامل .
- ديوان شعر : لسعود بن بندر .
- قصائد نبطية : شعر خالد الفيصل .
- همس القلوب : شعر . محمد عبدالله الفيصل .
- ديوان الدرر اليتيمة من أشعار النبط القديمة : مختارات .
- ديوان واحة الشعر الشعبي : من أشعار قبيلة الدواسر وحكمهم . تأليف عبدالله بن حمير بن سابر الدوسري .
- شاعرات من البادية . لعبدالله بن محمد بن رواس .
- شعراء من الرس . تأليف فهد المنيع الرشيد .
- ديوان عبدالمحسن الصالح . مقدمة ودراسة عبدالعزيز الخويطر .
- ديوان الوائلي : شعر وأنساب قبيلة عنزة . لعبدالله بن عبار العنزي .
- ديوان الصقري : من الأدب الشعبي السعودي . لعبدالله ابن سعود الصقري .
- ديوان عذاب جريح . لسعد عبدالله العتيبي .
- دمعة غريب . لمتعب عيسى العنزي .
- مقاليد الهوى : شعر شعبي . لصالح بن إبراهيم العوض .
- أبها القلب الجريح : شعر عبدالرحمن عبدالله الغامدي .
- سفر – على كف – القدر : شعر . عبدالرحمن عبدالله الغامدي .
- الليل والحرمان : شعر . عبدالرحمن عبدالله الغامدي .
- لمن نبوح بالأشواق ؟ : شعر. عبدالرحمن عبدالله الغامدي .
- ديوان شاعر هوازن . لعبدالرحمن العطاوي .
- الشعر الشعبي شعر أم زجل ؟ المعركة الأدبية التي دارت على صفحات الجزيرة . لتوفيق علي وهبة .
- شعر في رحلة الفضاء . جمع وإعداد وتنسيق ضامن عبيد العنزي .
- عزف على الرموش : شعر . عناد المطيري .
- بقايا الابتسامات . لمحمد بن عبدالله بن بليهد .
- ديوان النبط الحديث في نجد. لسعد بن حمد بن حربول.
- أجراس : شعر . علي حسين الفيفي .
- رجع نجمك قمر ساطع : شعر . علي المصطفى .
- الحلوة الحائرة : شعر شعبي . لعبدالله عبدالرحمن السلوم .
- نفحات زمان . لمتعب العنزي .
- أي بني : مقارنة بين ماضينا وحاضرنا . لعبدالعزيز عبدالله الخويطر .
- رحلة مع الشاعر بادي بن دبيان السبيعي . لفراج بن محمد السبيعي .
- أمل خالد : شعر شعبي . لخالد السبيعي .
- الهواجيس . لمريم راشد السبيعي .
- رشة عبير : مقطوعات من التراث الشعبي الحديث : شعر أحمد عبدالله السعد .
- أنين وحنين : شعر . الشريف منصور بن سلطان .
- شعاع الراحلين : ديوان شعر . من شعر آل الحفظي بعسير وبعض معاصريهم : قصائد تراثية . جمع وتحقيق عبدالرحمن إبراهيم الحفظي .
- لحظات اعتراف : شعر نبطي . لفهد الشمري .
- ديوان ابن شيحان . أشرف عليه راشد بن محمد بن جعيثن .
- العشق يتوهج ثلاثياً : شعر . جواد الشيخ ، عبدالرحمن المريحي ، محمد المبيريك .
- زهرة حنان . لريم الصحراء .
- نسيم الكوثر : شعر . علي القحطاني .
- أمل باكر : شعر . ناصر بن جريد .
- سمار الليالي : شعر . سليمان بن عبدالله بن حانور .

- من فنون البادية : شعر . نايف زايد الحربي .
- أصداء التجني : شعر جندل حمد .
- غلطة عمر : شعر . سعد عبدالله الخريجي .

وما أشرت إليه هو جزء مما أغفلته هذه القائمة .

٢ - **التغطية الزمنية**: إن تحديد المدة الزمنية التي يغطيها العمل مهم لنجاحه ، وبقدر ما يكون العمل الببليوجرافي شاملاً للأدب المنشور في المجال ، خلال مدة زمنية محددة ، بقدر ما يكون العمل راقيًا ، ويمكن أن يعول عليه في قضايا البحث العلمي المتخصص .

جاء في المقدمة «... لا ندعي أن هذه الببليوجرافيا للدول الخمس مكتملة ، وتقدم كل ما نشر باللغة العربية ، أو ما ترجم إليها حتى عام ١٩٨٧م بالنسبة للبحرين وقطر والكويت وعام ١٩٨٨م بالنسبة للإمارات والسعودية . بل نقول إنها ترصد ما وصلت إليه الأيدي» .

وفي ذلك إشارة واضحة وأمينة بأن العمل غير مكتمل، والمدة الزمنية غير محددة ، ولو أنني أرى أنه لو بُذِلَ جهد أكبر في عملية البحث الببليوجرافي ، لجاء العمل أقرب إلى الشمول والواقعية .

فما وصلت إليه الأيدي يعني البحث الشامل في الموضوع ، لكن الببليوجرافي قد يشير إلى ذلك ظناً منه أن شيئًا ما ذا صلة بالموضوع لم يهتد إليه ، ولكن بعد بحث طويل، وجهد كبير .

وأعتقد أن هذا العمل يغطي ما وصل إلى الأيدي ، وليس ما وصلت إليه الأيدي ! !

ولكن التغطية الزمنية للعمل الببليوجرافي شرط من شروط نجاحه وقبوله .

٣ - **التغطية المكانية**: إن التحديد الجغرافي (المكاني) للعمل هو إطار محدد لحركة الببليوجرافي في المجال الموضوعي ، وهذا ما يوضح بجلاء في البنى التحتية في جغرافية الوعي الثقافي المدرك للموضوع وتكون جزءًا رئيسيًا ثانيًا بعد الموضوع في العنوان ؛ لأن العناوين هي دلالات معرفية مختزلة لمحتوى المادة المدروسة ، ويفترض ألا تكون مضللة للقارئ .

فعنوان هذا الكتاب «التراث الشعبي في دول الخليج العربية : ببليوغرافيا مشروحة» واضح في دلالته على الغلاف ، ولكنه ليس دقيقًا في دلالته المكانية .

إن دول الخليج العربية ، تطلق - كما هو معروف - على :

١ - دولة الإمارات العربية المتحدة .
٢ - دولة البحرين .
٣ - سلطنة عمان .
٤ - المملكة العربية السعودية .
٥ - دولة قطر .
٦- دولة الكويت .
٧ - العراق .

ونظرة تأملية إلى عنوان هذا العمل ، تومئ بأنه يتمحور داخل دول مجلس التعاون الخليجي ، بالإضافة إلى العراق أو توحي بأنه يغطي دول مجلس التعاون الخليجي فقط . مهلاً .. لا هذا ، ولا ذاك .

فالعراق الدولة غير العضوة في مجلس التعاون الخليجي ، وسلطنة عمان الدولة العضوة في مجلس التعاون الخليجي ، لا يدخلان في إطار جغرافية «دول الخليج العربية» في هذا الكتاب .

ويظل العمل مبتورًا وقاصرًا ، إذا لم يغط المنطقة الجغرافية المحددة للبحث .

٤ - **طريقة التنظيم**: أشير في مقدمة العمل تأسيًا بالببليوجرافيين والمتخصصين في علوم المكتبات والمعلومات، بأن هذه القائمة الببليوجرافية تتبع «التقنين الدولي للوصف الببليوجرافي» .

ولكن هل التقنين الدولي الذي اعتمد عليه في عملية الضبط الفني للمواد (الوصف الببليوجرافي) يوصي بأن يكون المدخل الرئيسي للمادة بالعنوان ؟

يضيف محرر العمل ومصنفه قائلاً : «راعينا الترتيب الهجائي لما ينضوي (ينطوي) تحت كل محور ..» .

والترتيب الهجائي بلاشك ضرورة من الضرورات الفنية لبناء العمل الببليوجرافي ، ولو اتُبع في تنظيم العمل الترتيب الهجائي للمواد كما جاء في المقدمة ، لكان العمل منظمًا ونافعًا بشكل أكثر ، ولم يتبع الترتيب الهجائي في العمل كما أشير إليه .

ورتبت المواد التي اندرجت تحت (كشاف العناوين) بطريقة غير منظمة ، وليست هناك رءوس موضوعات مقننة أدرجت تحتها هذه المواد كما هو معروف لدى الببليوجرافيين ؛ وإنما جُعل كشاف مستقل للموضوعات (كشاف الموضوعات) وضع بجانب كل موضوع أرقام

المواد التي تحيل المستفيد إلى المادة ، ولكن هذه الطريقة غير مجدية ، ولا تفي بالغرض المنشود .

إضافة إلى أن الموضوعات المصاغة لا صلة لها بقوائم رءوس الموضوعات المعروفة !

ماذا يعني رأس موضوع (عام) و (الإبداع والمعاناة) و (المفاهيم والمصطلحات) ... إلخ ؟

إن رءوس الموضوعات تكون عادة واضحة ودالة على المادة ، أو المواد التي تندرج تحتها .

فهل استخدام رأس موضوع (عام) له دلالة علمية أو فنية ؟

وهكذا بالنسبة للزراعة ، والطب ، والفلك ، والإبداع والمعاناة ، والمفاهيم والمصطلحات ... إلخ .

أما (كشاف المؤلفين) فإنه يُتّبع فيه عملية قلب الأسماء المعرّفة - التي تبدأ بأل التعريف - وكذلك التي تبدأ بـ (أبو) ، و (ابن) ، مثل :

أبو داهش ، عبدالله محمد حسين .

الأحيدب ، عبدالعزيز محمد .

ابن جنيدل ، سعد بن عبدالله ... إلخ .

وما عدا ذلك فقد تركت الأسماء كما هي ، مثل :

حامد دمنهوري .

حسن عبدالله نصيف .

صالح بن محمد بن مشيليح ... إلخ .

إن القوائم الببليوجرافية تتبع طريقة واحدة ، إمّا قلب جميع الأسماء ، أو ترك الأسماء كما هي دون اللجوء إلى عملية قلب .

والتقنين الحديث الذي أشير إليه في مقدمة العمل ، واعتمد عليه يوصي بقلب الأسماء .

كما أن هذا العمل لم يفرق بين كاتبين معروفين ، يجمعهما لقب واحد هو (الظاهري) [الظاهري ، أبو تراب عبدالرحمن بن عقيل الظاهري ، أبو عبدالرحمن محمد بن عمر ..] .

فأبو تراب الظاهري العالم اللغوي المعروف غير أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري العالم الموسوعي المعروف أيضًا .

إن أبا تراب الظاهري اسمه الكامل عبدالجميل عبدالحق الهاشمي ، ويكنى بأبي تراب الظاهري .

أما أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري فاسمه الكامل محمد بن عمر العقيل ، ويكنى بأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري .

وما نُسب إلى أبي عبدالرحمن من مواد - بشكل صحيح - في كشاف العناوين فرّقه كشاف المؤلفين لالتباس في الأسماء .

٥ - **الأدوات الفنية** : إن الببليوجرافي الذي يريد النجاح لعمله ، ويتوخى الاستفادة منه ، من قبل الباحثين والدارسين والمهتمين ، لابد من أن يبني عمله على أسس علمية ، وذلك باستخدام الأدوات الفنية المقننة ، من أهمها :

١ - قوائم رءوس الموضوعات .

٢ - القوائم الببليوجرافية والكشافات .

٣ - التقنينات الحديثة للوصف الببليوجرافي ... إلخ.

هذه الأدوات الرئيسة الثلاث بالإضافة إلى البحث الدقيق الشامل للموضوع والمراجع والتأني في النشر تعطينا قائمة ببليوجرافية .

وإغفال الأدوات الفنية في العمل الببليوجرافي ، هو بحد ذاته إغفال لمرجعية البحث ، ولا يمكن أن ينسب عمل ما إلى علم الببليوجرافيا ، أو أن يستمد صفته منه ، إذا لم يلتزم بقواعده العلمية ، وأسسه الفنية .

وختامًا رغم الملاحظات الفنية على هذا العمل ، سيظل مفيدًا ونافعًا لكثير من المهتمين بالتراث الشعبي سواء من الدارسين له أو جمهور المستفيدين منه .

التعلم في المكتبات لبامبر

سماء زكي المحاسني
دار الكتب الظاهرية – مجمع اللغة العربية – دمشق – سورية

Bamber, Anthony L / Look up and learn .- London : British Library Association, 1992 .

صدر في أواخر العام المنصرم ١٩٩٢م كتاب جديد في علم المكتبات والمعلومات ، عن جمعية المكتبات في بريطانيا *Thet Library Association* ، وذلك في سلسلة الكتب التي تصدرها هذه الجمعية ، وتنفيذًا للخطة التي تهدف إليها في نشر الكتب الجديدة والمفيدة التي توضح لذوي الاختصاص المكتبي وللمهتمين بعلم المكتبات والمعلومات أسس العمل في المكتبات ، وهي أدوات مساعدة لهم في التدرب على استخدام المكتبة وفي التمرس بفن المكتبات ، كما أنها بمثابة أدلة إرشادية دعت إليها الحاجة إلى تدريب الكبار وتعليمهم وتعريفهم بأثر المكتبات في التعليم المفتوح open learning ، وهي تتيح الفرصة للمكتبيين لتقديم الخدمة المكتبية للكبار الذين يسعون لكسب العلم والمعرفة من خلال المكتبات .

أما البحوث التي قدمها الكتاب في شرحه لهذا الموضوع ، سعيًا وراء الهدف الذي أراده ، – وهو تدريب الكبار على الاستفادة من المكتبة – فقد شملت جوانب عديدة كالمتعلمين والمواد المكتبية ، وخطة التزويد والموظفين، والإرشاد أو التدريب .

ويؤكد المؤلف في **الفصل الأول** من كتابه على أهمية المكتبات في «التعليم المفتوح» ، وهو التعليم الذي يتيح للمتعلم التأهيل العلمي دون الالتحاق بمدرسة أو جامعة رسمية ، ودون التقيد بمدة محددة للدراسة ، ويسعى فيه المرء لتعميق معرفته ، التي لم تتح له الظروف تعميقها في الدراسة الرسمية ، عن طريق استخدام المواد المكتبية التي تتيحها له المكتبات ومراكز البحث والمعلومات ، وهنا تقوم المكتبة بدور كبير في تهيئة وتقديم الخدمة المكتبية لأولئك الذين تشملهم برامج التعليم المفتوح .

وعلى المكتبات مهما اختلفت أنماطها أن تستجيب لمتطلبات أولئك المتعلمين الكبار ، وقد رأينا كثيرًا من المكتبات العامة التي أصبحت تتفهم دورها في تعليم الكبار بمعناه الواسع ، وهي تقدم خدماتها نتيجة لوضعها الطبيعي في المجتمع الذي توجد فيه .

أما أمين المكتبة فيجب أن تتوفر لديه القدرة والكفاءة من أجل تقديم الخدمة المكتبية لطالب المعرفة سواء كان ملتحقًا بمدرسة أو كلية ، إذا كان منتسبًا إلى مدرسة لتعليم الكبار .. ولا شك أن تعليم الكبار يتطلب مجموعات محددة من المواد التعليمية ، وهو لا يتطلب نصوصًا مقررة Text - books، لكن الشخص الذي يرتاد المكتبة سيشعر بالسعادة عندما تقدم له المكتبة المعونة في الموضوع الذي يبحثه من خلال أمين مكتبة كفء ، وسوف تؤدي المكتبة مهامها بوصفها مركز تجمع لهذا النمط من المواد المكتبية المهيئة للكبار .

وينهي المؤلف الفصل الأول من كتابه بالخطوات الأساسية التي ستسلكها المكتبة في خدمة برنامج «التعليم المفتوح» . open library Service ، وهي :

١ - الالتزام بالتعليم كهدف أساسي .

٢ - إدراج المواد التي تساعد في خدمة التعليم المفتوح كجزء من مجموعة المكتبة .

٣ - تقديم خدمة فردية إلى كل شخص من الكبار .

٤ - تقرير مستوى الخدمة المكتبية التي ستقدمها المكتبة للمستفيد .

٥ - توضيح مستويات الخدمة أياً كان نوعها في نظر المستفيد من جهة ولموظفي المكتبة من جهة ثانية .

وينتقل المؤلف في **الفصل الثاني** إلى البحث في أنماط المستفيدين من خدمة التعليم المفتوح والنتائج التي حدثت نتيجة لتطبيق هذه الخدمة في المكتبات البريطانية وهي عشر مكتبات عامة .

وهذه البرامج ألقت الضوء على مدى التنوع في أنماط الأشخاص الذين استطاعوا بواسطة التعليم المفتوح أن يغيروا حياتهم ووجهات نظرهم .

وقد نظمت جائزة عرفت باسم جائزة المتعلم المستقل في إحدى المكتبات وذلك من قبل برنامج برجامون للتعليم المفتوح Pergamon ، بالاشتراك مع جمعية المكتبات كإسهام في الأسبوع القومي للمتعلمين الكبار لعام ١٩٩٢م .

وكانت الفائزة فتاة لم تلتحق من قبل بمدرسة رسمية لكنها استخدمت المكتبة والمواد المكتبية التي هيأتها المكتبة للكبار ، وذلك لتحسين قدرتها الكتابية وتمكنت من إتقان إحدى اللغات الأجنبية .

وهناك أنماط أخرى من الناس استطاعوا الاستفادة من المكتبة ، ويشير المؤلف إلى ضخامة عدد أولئك الذين فاتهم التعليم المدرسي الرسمي لأسباب عديدة ، والذين هم بأمس الحاجة إلى ما يسمى «الفرصة الثانية» للتعلم خارج نطاق المدرسة ، وهؤلاء يشكلون عدداً أكبر مما نتوقعه ، كما أن هذا العدد الكبير يشمل أيضاً أولئك الذين تركوا المدرسة في وقت مبكر ولم تتح لهم الفرص فيما بعد لإكمال تعليمهم .

ويطلق المؤلف على هؤلاء الذين سيتلقون تعليمهم من خلال المكتبة اسم «متعلمو المستقبل» Would - be learners ، ومنهم كبار في السن وهم بحاجة شديدة إلى مثل هذا العون من قبل المكتبة .

ولا ننسى أولئك المعاقين جسدياً ، الذين منعتهم ظروفهم الصحية من الالتحاق بالمدارس الرسمية ، وهناك أيضًا المتقاعدون عن العمل وهؤلاء يقبلون على العلم بشوق وشغف ، ولابد من النظر بعين الاعتبار إلى متطلبات هؤلاء المتعلمين سواء كانوا من المبتدئين أو من المتقدمين ، وهنا يأتي دور المكتبي في التعرف على المستويات المختلفة لهؤلاء المتعلمين ، وعليه دراسة مهاراتهم في القراءة وكتابة الملاحظات وفي التذكر وسبر قدراتهم في تفسير النصوص المقروءة وفي الكتابة .

ويجب على كل مكتبة أن تكون قادرة على الاستجابة لمتطلباتهم بتوفير الوقت الكافي لتفهم مستوياتهم التعليمية وتقديم الكتب التي تساعد على تنمية مهاراتهم .

ويوجد كثير من المتعلمين الذين ليست لديهم خبرة سابقة بكيفية الاستفادة من المكتبات للدراسة والمطالعة ، وينطبق هذا بصفة خاصة على المكتبات الكبيرة والأكاديمية.

ولا شك أن المتعلمين الكبار سيرحبون بحضور دورات تدريبية على كيفية الاستفادة من المكتبة مقابل دفع رسوم خاصة ، ويشمل التدريب نواحي كثيرة مثل أنواع مصادر المعلومات ، فهارس المكتبة ، تنظيم الرفوف ، استخدام القوائم البيليوجرافية ، استخدام الكتب ، الدوريات ، مجلات الاستخلاص ، استرجاع المعلومات بواسطة الحاسوب ، الكلمات المفتاحية وغيرها ، الإعارة بين المكتبات ، حقوق الطبع والاستنساخ .

ويقدم المؤلف في **الفصل الثالث** من الكتاب تفصيلات عن طرق الإرشاد المكتبي التي ستقدم للمتعلمين في برامج التعليم المفتوح ، ويوضح أن النشاطات المختلفة في هذا المجال تشمل الإعلام بواسطة النشرات والكتيبات التي تقدمها الهيئات التعليمية المحلية والكليات والجامعات، وهذه الهيئات يوجد منها في المملكة المتحدة أكثر من مئتي هيئة تعليمية إرشادية .

وهناك أيضاً تقديم النصح والإرشاد وخاصة بالنسبة لمساعدة المتعلمين في التعرف على كيفية استخدام المواد المكتبية والاستفادة منها ومن فهارس المكتبة والقوائم البيليوجرافية بالإضافة إلى تلك القوائم التي تعدها المكتبة كلما لزم الأمر ، والتي يفضل أن تكون مشروحة أو ذات ملاحظات Annotated lists .

وهناك أيضاً تقديم المعلومات عن المواد المتوافرة والتسهيلات المتاحة لاستخدامها ، وهذه المواد تشتمل على مجموعات الكتب للتعليم المفتوح "Open learning packages" ، والأدلة الدراسية المساعدة ، والدوريات والمراجع العامة ، بالإضافة إلى المواد السمعبصرية ، والحواسيب ، وبرامج الإذاعة والتلفزيون التي ترتبط موادها بمواد التعليم المفتوح وما إلى ذلك ..

ويعود المؤلف إلى الحديث بالتفصيل عن هذه المواد في الفصل الخامس من كتابه ، ويشير في نهاية الفصل الثالث إلى بعض المراجع القيمة التي تفيد المكتبيين الذين سيعملون من أجل برامج التعليم المفتوح ، ومنها كتب مهمة وحديثة مثل كتاب (دراسة حالات في الإرشاد التعليمي للكبار) ، تأليف «ليندا بتلر» ، كما يشير إلى تقرير مهم استفادت منه المكتبات العامة بصفة خاصة ، وهو تقرير عن عام ١٩٨٩ / ١٩٩٠م ، التزم به كل من الإرشاد التعليمي القومي وجمعية المكتبات وأعده كل من كارول بارنز وجون أليرد ، ويختص بالإرشاد التعليمي .

أما **الفصل الرابع** فينتقل فيه المؤلف إلى الحديث عن أثر المكتبات وفائدتها في تعليم الكبار ، فالمكتبات بصفة عامة تتمتع بملامح ومميزات تجعلها أماكن مثالية بالنسبة للمتعلم ، وهناك بحث حول مستويات الخدمة المكتبية levels of service التي ستقدمها المكتبة ، فالمكتبة ستكون بمثابة مركز اتصال واستعلام ، بالإضافة إلى كونها مركز استلام للمواد التي سيستفيد منها المتعلمون ، ومركزاً دراسياً للبحث والدراسة .

وهناك الدور الذي يقوم به أمين المكتبة ، وهو دور مهم جداً ، فعلى أمناء المكتبات تقع مهام معرفة كيف وأين ومتى يقدمون النصح والإرشاد ؟ ومتى وكيف يتم تقديم المعلومات لفئات المتعلمين على اختلاف أنماطهم ؟ .

ويوجه المؤلف عناية خاصة إلى أنماط المواد المكتبية المتاحة لهؤلاء المتعلمين في **الفصل الخامس** من الكتاب .

والنمط الأساسي بالطبع هو الكتاب ، لكن هناك أنواعاً أخرى كثيرة من المواد المكتبية مثل التقارير ، التسجيلات الصوتية ، برامج الحاسوب ، الأدلة الإرشادية ، الشرائح ، أفلام الفديو ، كتب الأدلة المدرسية .

وعندما تقرر المكتبة ما المواد التي سيتم اقتناؤها ، يجب أن تتخذ قرارات أخرى تتعلق بكيفية تنظيم هذه المواد واختيارها وطلبها ، وهل ستدخل هذه المواد في الفهرس العام للمكتبة ، أم سيكون لها فهرس مستقل ، وما هي سياسة إعارة هذه المواد ومدة إعارتها .

أما فيما يتعلق بخطة اختيار هذه المواد فإن أول ما يؤخذ بعين الاعتبار هو الميزانية المتوفرة لدى المكتبة ، التي سوف تخصص لهذه المواد بالذات .

أما كيفية الاختيار فتتم على أساس معرفة أمين المكتبة بالمكتبة والمستفيدين منها ، ولا يغفل المؤلف ناحية على جانب كبير من الأهمية وهي العمل على ضبط المواد التي تقتنيها المكتبة ، وصيانتها لتبقى في حالة جيدة .

ويخصص المؤلف **الفصل السادس** للحديث عن دور موظفي المكتبة بشكل خاص في برامج التعليم المفتوح ، وهناك أمران أساسيان يجب أن يحيط بهما أمين المكتبة : أولهما وجود خدمة مكتبية توفر للمستفيدين ، وثانيهما وجود مواد مكتبية تقدم تعريفاً لهذه الخدمة .

وعلى المكتبيين أن يتفهموا ضرورة التزام الخدمة المكتبية بالتعليم المفتوح ، ومن ثم يجب أن يلموا بأنماط المتعلمين واحتياجاتهم وبالمواد المتاحة لهم ؛ ولتحقيق هذه الغاية يجب أن تنتقي المكتبة أمناء مكتبات ذوي خبرة وكفاءة مهنية عالية ، وإلمام بكل جوانب الخدمة المكتبية حتى يتمكنوا من القيام بما يلي :

١ – تنمية وتطوير سياسة المكتبة تجاه المتعلمين .

٢ – التعاطف مع هؤلاء المتعلمين وتقديم الخدمة لهم حسب احتياجاتهم .

٣ – اختيار واقتناء مجموعة متنوعة من الكتب ومواد التعليم المفتوح التي تتلاءم مع اهتمامات المستفيدين .

٤ – تقديم النصح والإرشاد للمستفيدين من مصادر المعلومات المكتبية التي تتناسب مع متطلباتهم ورغباتهم .

٥ – شرح طرق الاستفادة من الحواسيب وغيرها من أساليب التقنية الحديثة في المكتبات .

وتجدر الإشارة إلى خطط التدريب العملية التي ختم بها المؤلف الفصل السادس من هذا الكتاب وإشارته إلى

أدلة التعليم المفتوح، كأدلة جيدة ترشدنا إلى المواد التعليمية بالإضافة إلى الدورات التي تقدم شرحاً من كبار موظفي المكتبة من الاختصاصيين، يوضحون فيه أسس هذه الخدمة المكتبية وفلسفتها، ومحاضرات يلقيها أخصائيون في حقل التدريب والتعليم.

ويتضمن **الفصل السابع** سبل نشر هذه الخدمة والدعاية لها لدى الجمهور، وإيضاح أن الهدف من هذه الدعاية هو تنشيط موظفي المكتبة وتشجيع المستفيدين في آن واحد، وسوف نحصل على نتائج جيدة مثمرة منها على سبيل المثال التعرف على أساليب حديثة في التعليم واكتساب مهارات جديدة، واستثمار إيجابي لأوقات الفراغ، علاوة على الحصول على كفاءات أفضل تؤدي إلى تطور في مجال العمل وتحسين في الدخل.

أما الدعاية في حد ذاتها، فيرى المؤلف أنها لا تقتصر على إصدار النشرات الدعائية رغم أهميتها في المرحلة الأولى، لكنها تعرف الجمهور بالخدمة التي تقدمها المكتبة وذلك بطريقة جذابة.

غير أن أي برنامج دعائي لابد أن يتضمن نشرة تتضمن معلومات عن أسس هذه الخدمة وعروضاً في المكتبة تتضمن بعض أفلام الفديو التي تستأثر باهتمام الجمهور، وكتيبات تتضمن تفصيلات عن مجموعات المواد التعليمية.

أما **الفصل الثامن** ففيه تقييم شامل للعمل ضمن خطط المكتبة التي أعدتها للخدمة المكتبية للمتعلمين الكبار، وإن أية خدمة مثالية في نظر المؤلف، يجب أن تكون ملتزمة بالتعليم كهدف أساسي للخدمة المكتبية، وملتزمة أيضاً بمستويات للخدمة المكتبية في كل مكتبة على حدة.

ومن أجل تقييم الخدمة المكتبية لابد من توافر سجلات إحصائية يتم جمعها كجزء من عملية الاحتكاك أو الاتصال بجمهور المستفيدين.

وتتعلق الإحصاءات بالموضوعات التالية: المجموعات المتوافرة وهنا يتم إحصاء الموجود بالفعل من هذه المجموعات على رفوف المكتبة شهرياً، وعدد المواد المعارة شهرياً والمعدل الموضوع من قبل مسئولي المكتبة للإعارات.

وهناك مثلاً إحصاءات خاصة بموضوعات مثل الإرشاد وخدمة المعلومات وبرامج التدريب وغير ذلك.

ويقدم المؤلف في **القسم الأخير** من الكتاب وهو **الفصل التاسع** تلخيصاً لما ورد في الفصول السابقة ومنه ما يتعلق بالمجالات الآتية:

- الالتزام بالخدمة المكتبية مهما كان نوع المكتبة بوصفها هدفاً أساسياً.
- التعرف على جماهير المتعلمين وأنماطهم.
- تقديم إرشادات ونصح واستشارة وما إلى ذلك.
- دور موظفي المكتبة.
- القيام بالدعاية والإعلام. - تقييم.

وينهي المؤلف الكتاب بقائمة مراجع استند إليها في بحثه، وقائمة أخرى ببليوجرافية تضم مراجع أخرى يمكن أن يستفيد منها القارئ والباحث للاستزادة بمعلومات أخرى حول الموضوع.

إن هذا الكتاب، الذي صدر في سلسلة الكتب التي تنشرها جمعية المكتبات البريطانية يلقي الضوء على قسم كبير من المستفيدين من المكتبات وهم المتعلمون الكبار أو الذين فاتتهم فرص التعليم المدرسي لأسباب عديدة، ويأتي هذا الكتاب كاستجابة لحاجيات هؤلاء الناس لإرشادات ولفرصة حقيقية فعلية تقدمها لهم المكتبة للاستفادة من خدماتها فيمكنهم عندئذ أن يصبحوا مؤهلين من الناحية العلمية بعد أن تقوم المكتبة بدورها في تقديم ماسماه المؤلف «الفرصة الثانية».

ولعل هدف المؤلف الأساسي من تأليف هذا الكتاب هو الحاجة الماسة إلى هذا البحث وغيره من الأبحاث التي تهتم بهذه الفئة من الناس، بعد أن لوحظ أن الخدمة المكتبية لهذه الفئة أخذت في التطور والنمو في كل أنماط المكتبات.

وقد لخص المؤلف في مقدمته هذا الهدف فقال: «أتمنى شخصياً أن يتيح هذا الكتاب للمكتبيين اختيار المستويات المناسبة للخدمة المكتبية التي تقدمها المكتبة للمتعلمين بحيث تتحقق الغاية المنشودة من هذه الخدمة».



التجارة والملاحة في الخليج العربي

علي بن دخيل الله الحازمي

الحازمي، على بن دخيل الله /التجارة والملاحة في الخليج العربي....- رسالة (دكتوراه) .- إشراف عبدالفتاح حسن أبو علية .- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ والحضارة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .- ٣١٠ ورقات .

تناولت الرسالة موضوع التجارة والملاحة في الخليج العربي فيما بين ١٢٣٦ - ١٢٩٠هـ / ١٨٢٠ - ١٨٧٣م ، وهي مدة تاريخية لم يتطرق لها البحث العلمي المتخصص، إذ إن الدراسات التاريخية في الخليج في هذه المدة الزمنية تركز على الوضع السياسي في الخليج مع إهمال النواحي الاقتصادية والاجتماعية بالرغم من أهميتها لفهم تاريخ المنطقة .

وقد قُسِّمَتْ الرسالة إلى ثمانية فصول ومقدمة وخاتمة ؛ تناول **الفصل الأول** العوامل المؤثرة في التجارة والملاحة الخليجية إبان تلك الحقبة الزمنية ، سواء السياسية منها أو الاجتماعية أو الاقتصادية . أما **الفصل الثاني** فقد تحدث عن المراكز التجارية المهمة في الخليج مثل البصرة والكويت والبحرين وبوشهر ولنجة وغيرها . وقد تحدث **الفصل الثالث** أيضًا عن السلع التجارية المصدرة من الخليج مثل اللؤلؤ ، والتمور ، والخيول ، وغيرها ، كما تناول أهم الواردات إلى الخليج مثل المنسوجات ، والسكر ، والشاي وغيرها ، وختمه الباحث بالحديث عن الميزان التجاري . أما **الفصل الرابع** فقد خصص للحديث عن تجارة الرقيق وذلك للرد على البريطانيين الذين يدعون بأن حربهم ضد الرق كانت إنسانية خالصة ، وقد حاول الباحث من خلال استقراء مراسلات المسئولين البريطانيين كشف بطلان ذلك الادعاء ، وإيضاح الأهداف الحقيقية لتلك الحملة على تجارة الرقيق، مع عدم نفيه بأن تلك الحملات البريطانية كانت من بين أهم الأسباب التي دفعت العالم إلى البحث عن حل لمشكلة الرق . أما **الفصل الخامس** فقد أوضح التنافس التجاري الاستعماري الذي كان يجري فوق مياه الخليج من أجل السيطرة والاستحواذ على المنطقة بين بريطانيا وفرنسا وروسيا وأمريكا . واستعرض **الفصل السادس** دور أهل الخليج في مجال الملاحة وصناعة وسائلها وتفوقهم في ذلك . أما **الفصل السابع** فقد كان الحديث فيه عن النقود التي كانت سائدة في الخليج إبان مدة البحث . وتناول **الفصل الثامن** الطرق التجارية البرية في الخليج ودورها في نقل التجارة الخليجية . وقد أشار الباحث في **الخاتمة** إلى أهم النتائج التي خرج بها في هذا البحث .

هذا وقد اعتمد البحث على مجموعة متنوعة من المصادر والوثائق البريطانية والعثمانية والعربية ، بالإضافة إلى مجموعة من المراجع العربية والأجنبية التي تناولت جوانب من موضوع البحث .



تحليل محتوى أدب الأطفال في ضوء معايير الأدب في التصور الإسلامي

نعمة عبدالله حويجي

حويجي ، نعمة عبدالله / تحليل محتوى أدب الأطفال في ضوء معايير الأدب في التصور الإسلامي .- رسالة (ماجستير) .- إشراف علي أحمد مدكور .- الرياض : جامعة الملك سعود ، كلية التربية ، قسم المناهج وطرق التدريس ، ١٤١٢هـ .- ٤١٨ ورقة .

حاولت الباحثة من خلال هذا البحث أن تسهم في الجهود المبذولة لتحسين الأدب المقدم للأطفال ؛ لأن أحداً لا يشك في أن الطفولة بمثابة أرض صالحة للاستنبات ، يجب أن يغرس فيها كل ما يتصل بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات ، ولأهمية مدة الطفولة في حياة الإنسان لابد أن نقدم لهم من الأدب ما يناسبهم في طفولتهم لأنه عامل من عوامل تربيتهم وتثقيفهم وتهذيب أخلاقهم ، وترقية وجدانهم واتساع دائرة خيالهم .

ويمكن القول إن هذا البحث تتجلى أهميته في أن أدب الأطفال له تأثير قوي في نفوسهم ؛ لأنه ينمي في أعماقهم أفكاراً واتجاهات نفسية وعقدية ، ويقوي قدرتهم على الملاحظة ، ويفتح أمامهم آفاقاً واسعة من المعرفة والاكتشافات .

وبالرغم من ذلك نجد الكثير منه بعيداً عن واقعهم ، وعن بيئتهم الإسلامية ، الأمر الذي لا يخدم أطفالنا ؛ بل يرسم لهم طريقاً مغايراً لمصالحهم وحاجاتهم ، ويعكس في أذهانهم ويغرس في وجدانهم صوراً وعالماً بعيدين كل البعد عن دينهم وأصالتهم وحضارتهم ، بالإضافة إلى أننا لا نعرف المعايير التي ينتج أو ينبغي أن ينتج على أساسها هذا النوع من الأدب ، ولا تلك التي يمكن أن نحكم بها على نوعية الأدب الموجود بالفعل ، لذا قامت الباحثة باختيار هذا الموضوع علّه يسد ثغرة في مكتبتنا الإسلامية العربية المقدمة للطفل ، خاصة أنها تخلو من دراسة مستقلة لهذا النوع من الأبحاث .

هذا وقد حددت الباحثة أهداف بحثها فيما يلي :

١ – تحديد المعايير الإسلامية الضرورية لهذا البحث.

٢ – معرفة مدى تطابق هذه المعايير على الأدب المقدم للأطفال فعلاً .

٣ – فتح آفاق جديدة للدارسين والباحثين حول موضوع أدب الأطفال عامة وأدب الأطفال في التصور الإسلامي خاصة .

٤ – تقديم تصور لما يجب أن يقدم للأطفال من أدب في ضوء المعايير الإسلامية التي سبق تحديدها .

وتتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية :

١ – ما المعايير الإسلامية للأدب والتي يجب أن تتوافر في أدب الأطفال ؟

٢ – ما مدى مطابقة الأدب المقدم لهذه المعايير ؟

٣ – ما الذي يجب عمله كي نقدم للطفل المسلم أدباً يتناسب مع فطرته ، ومع متطلبات نموه في مجتمعه المحلي والعالمي ؟ «أي مع التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة» .

ويقتصر البحث على تحليل محتوى مجموعة من قصص الأطفال المتوافرة في مكتبات المملكة العربية السعودية في ضوء المعايير الإسلامية لهذا اللون من الأدب .



التقنيات التقليدية في البيئة البدوية

مانع بن قراش الدعجاني

الدعجاني ، مانع بن قراش / التقنيات التقليدية في البيئة البدوية : دراسة إيكولوجية توثيقية عن البدو في منطقة الدهناء والصمان (المملكة العربية السعودية) .- رسالة (ماجستير) .- البحرين : جامعة الخليج العربي، كلية العلوم التطبيقية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .- ٢٤٢ ورقة .

جاءت هذه الدراسة في الوقت الذي توافرت فيه الأدلة القاطعة على الآثار السلبية والمدمرة للتقنيات الحديثة على البيئة ، وصادف ذلك انعقاد مؤتمر قمة الأرض في ريودي جانيرو حيث أجمع علماء العالم بتخصصاتهم العلمية المختلفة ورؤساء الدول الصناعية وغير الصناعية على خطورة التطور التقني على الحياة في كوكبنا هذا ... وارتفعت الكثير من الأصوات في دول العالم لتنادي بضرورة الاهتمام بالأساليب التقنية التقليدية ودراستها وتطويرها لأنها أكثر ملاءمة لبيئاتها .

إن موضوع هذه الدراسة هو التقنيات التقليدية في البيئة البدوية ، وهي دراسة ميدانية (دراسة إيكولوجية توثيقية عن البدو في منطقتي الدهناء والصمّان) لمنطقة بدوية محددة في المملكة العربية السعودية .

ولأهمية التقنيات التقليدية لما تؤديه من دور مهمٍّ في حياة البدو فقد جاءت هذه الدراسة توضح كيفية إنتاج هذه التقنيات وتبين الأشخاص الذين يقومون بإنتاجها ، كما تبين هذه الدراسة قدرة هذه التقنيات على تكيفها بالبيئة البدوية المحيطة وتأثيرها في تشكل مجمل النظام الاجتماعي المحيط الأمر الذي يكشف عن العلاقة بين البيئة والتقنيات التقليدية من ناحية وعلاقة هذه التقنيات التقليدية والمجتمع من ناحية أخرى .

كما جاءت دراسة التقنيات التقليدية في هذا المجتمع (البدوي) بهدف تطويرها والإبقاء على إيجابياتها ، وكذلك معرفة خصائصها الثقافية والاجتماعية والبيئية التي ربما تؤدي لتوضيح مدى الاستفادة منها بدلاً من إزالتها وإهدارها ، وعدم الاستفادة منها ، وبما أن عوامل التغيّر الذي نعيشه اليوم تسير بخطى متسارعة فإن دراسة هذه التقنيات تصبح دراسة إنقاذ وضرورة وقتية حتى لا يأتي اليوم الذي تندثر فيه هذه التقنيات وتضيع .

كما نهجت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على الوصف الدقيق للتقنيات البدوية والمبني على الملاحظة المباشرة ثم التحليل والتفسير لتوضيح العلاقات والارتباطات القائمة بينها وبين بيئتها الجغرافية والاجتماعية كما أن الباحث في هذه الدراسة قد أمضى مددًا طويلة ومتكررة في مجتمع الدراسة ، وذلك لمعايشة أعضاء المجتمع البدوي ومشاركتهم حياتهم عن قرب ولكسب ثقتهم بقدر الإمكان وهذا ما يعرف بمنهج (الملاحظة بالمشاركة) في علم الأنثروبولوجيا ، وفي العديد من المقابلات فقد استعان الباحث باستخدام بعض الوسائل الفنية مثل آلات التصوير وآلات التسجيل التي أسهمت إسهامًا جيدًا في تتبع مراحل وخطوات إنتاج التقنيات التقليدية في مجتمع الدراسة .

وتتكون هذه الدراسة من تسعة فصول تحتوي على (٨٤) أربعة وثمانين شكلاً توضيحياً لهذه التقنيات ، وتحتوي الفصول (الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن) على عرض شامل لهذه التقنيات التقليدية وبعض

التقنيات الحديثة التي يستعملها البدو في مجتمع الدراسة .

لقد أتاحت المادة المتوافرة من هذه الدراسة الميدانية والوصفية الأنثروبولوجية عن تقنيات البدو ... قاعدة مهمة وأساسية لكتابة مواصفات التقنيات التقليدية في مجالات السكن والطعام والمعيشة والرعي والعمل في المجتمع البدوي في شبه الجزيرة العربية . كما بينت الدراسة أن التغيّر الذي طرأ على الثقافة المادية في المجتمع البدوي تغير جزئي وبسيط وأن الكثير من السمات الثقافية التقليدية مازالت قائمة فحين عرف البدو الخيام الحديثة لم يتخلوا عن استعمال بيوت الشعر ، وحين عرفوا آلة الطبخ (البوتجاز) لم يستغنوا عن استعمال الحطب أو الجلة ... وهكذا .

لذا فإن التقنيات التقليدية والحديثة أصبحتا موجودتين جنبًا إلى جنب ، وأن هناك أنساقًا متعددة تتعايش مع بعضها البعض ... وأن البدوي يتعامل مع هذه الأنساق في ضوء كثير من العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .



التنافس الدولي في منطقة الخليج العربي

رسالة دكتوراه لعلي البهكلي

البهكلي ، علي بن محمد / التنافس الدولي في منطقة الخليج العربي في الفترة من عام ١٨٦١ إلى عام ١٨٩٩ - رسالة دكتوراه ، إشراف عبدالله بن يوسف الشبل - الرياض : قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٣هـ .

شهد الخليج العربي تنافسًا دوليًا منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي (بداية القرن العاشر الهجري) وحتى يومنا هذا . ونجم عن ذلك أزمات دبلوماسية عنيفة وصراع وحروب من أجل فرض الهيمنة والسيطرة على هذه المنطقة الحساسة من العالم .

ولا ريب أن الخليج العربي يتمتع بميزات سياسية واقتصادية واستراتيجية ، مما جعله محطّ أنظار الدول منذ أقدم العصور وحتى الآن ، هذا فضلاً عن أنه كان الطريق الرئيس المؤدي للهند منذ القدم ، كما زاد من أهميته ظهور النفط في أرضه علاوة على موقعه كطريق للتجارة الدولية بين الشرق والغرب .

ونظرًا لأهمية هذا الموضوع ، لما يشكله من آثار سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وثقافية ، على شعوب منطقة الخليج العربي ، ورغبة في بحث واستقصاء جوانبه المختلفة ، فقد اختار الباحث موضوع رسالته عن هذه المنطقة وهو بعنوان :

(التنافس الدولي في منطقة الخليج العربي في الفترة من عام ١٢٧٧ إلى عام ١٣١٧هـ ويصادف الأعوام من ١٨٦١ إلى ١٨٩٩م) .

وحاول جاهدًا عرضه بطريقة علمية منهجية تقوم على الاستقراء والمقارنة والتحليل والاستنتاج .

ويرجع سبب اختياره لهذه الفترة ، هو أن المنافسة الدولية فيها كانت أشدّ من تلك التي حدثت في المنطقة في نهاية القرن الثامن عشر ، وبداية القرن التاسع عشر

الميلاديين ، وذلك عندما هدَّد نابليون بونابرت الوجود الإنجليزي في المحيط الهندي والخليج العربي ، إضافة إلى أن السيطرة البريطانية على مياه الخليج العربي لم تتحقق إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، ذلك أن السياسة الإنجليزية كانت قد ركّزت جُلَّ اهتمامها في النصف الأول من ذلك القرن على قهر نابليون بونابرت في أوربا ، والقضاء على آماله في تكوين علاقات مع فارس (إيران) ، وبلاد العرب ، وأفغانستان ، والدولة العثمانية . هذا إلى جانب المتاعب التي كانت شركة الهند الشرقية الإنجليزية مشغولة بها في الهند .

لقد كانت بريطانيا في هذه الفترة ، تمثل أهمَّ القوى الدولية في منطقة الخليج العربي ، فقد أرستْ دعائم وجودها في مياه الخليج بحروب شنتها على القوى الدولية المنافسة لها والقوى المحلية والإقليمية المجاورة كذلك . بدأتها في عام ١٦٢٠م (١٠٢٩هـ) ، بمعركة (جاسك) في فارس ضد القوى البرتغالية ، واستمرت تصارع القوى الأخرى وتدافعها طيلة قرنين من الزمان ، أرسلت فيها العديد من الحملات ضد القوى البرتغالية ، والهولندية ، والفرنسية ، وضد الفرس ، وحاربت القوة العربية المحلية (القواسم) ، وقضت عليها في حملتها الثالثة والأخيرة على رأس الخيمة عام ١٨١٩م (١٢٣٤هـ) .

ومع إطلالة القرن التاسع عشر الميلادي ، عملت على ربط المنطقة بسلسلة من المعاهدات والاتفاقات السياسية والتجارية مع أمراء وشيوخ الخليج ، بدءًا من معاهدة السلام العامة عام ١٨٢٠م (١٢٣٥هـ) وانتهاءً بالاتفاقات الأبدية أو المانعة المعقودة خلال الأعوام ١٨٨٠م (١٢٩٧هـ)، و ١٨٩١م (١٣٠٨هـ) ، و ١٨٩٢م (١٣٠٩هـ) ، و ١٨٩٩م (١٣١٧هـ) ، حتى تمكنت من تحقيق غاياتها وفرض هيمنتها وتثبيت استراتيجيتها في منطقة الخليج . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن هذه الفترة جديرة بالبحث ، إذ لم تسبق دراستها بصورة علمية منهجية ، ذلك أن الدراسات التي تمت خلال تلك الفترة إما دراسات تاريخ الخليج بصفة عامة ، أو دراسة تأثير قوة من القوى الدولية في تاريخ هذه المنطقة ، فضلاً عن أن الدراسات الأجنبية في تاريخ الخليج تشكل نسبة أعلى من الدراسات العربية ، ومن هنا فإن الباحث قصد من دراسته لهذا الموضوع تكوين رؤية عربية إسلامية وتزويد المكتبة العربية بمرجع أصيل في هذا الباب .

من أجل ذلك قام بزيارات علمية إلى المراكز العلمية المتخصصة والمكتبات في كلٍ من واشنطن العاصمة ، ولندن ، والقاهرة ، فضلاً عن مراكز البحوث في المملكة العربية السعودية ، وجمع مادةً علمية وفيرةً تخدمُ موضوع البحث .

لم يكن الطريق ممهداً ، فقد واجهته صعوبات جمة أثناء جمع المادة العلمية جريًا وراء الحقيقة في مظانِّها من الوثائق والمراجع وغيرها . وعلى الرغم مما عاناه في الترجمة الدقيقة للوثائق الأجنبية إلا أنه بفضل الله وتوفيقه، استطاع أن يصل إلى ما سعى إليه وأن يجتاز ما اعترض طريقه في البحث .

وقد رجع في هذه الدراسة إلى كثير من الوثائق العربية والأجنبية ، كما رجع إيضًا إلى كثير من المصادر والمراجع المحلية والعربية والأجنبية ، فوجد زادًا طيبًا فيها. فبالنسبة للوثائق ، لا ريب أنها تميط اللثام عمّا غمُض من أمور ومعارف وحقائق ، وتكشف الكثير من الأسرار الغامضة والألغاز المحيرة ، فقد كانت تلك الوثائق النبراس الذي اهتدى به ، وكانت خير معين له في كتابة هذا البحث ، مع الأخذ في الحسبان ما ورد في الوثائق الأجنبية من آراء ووجهات نظر متحيزة ، ومن أهم الوثائق التي رجع إليها ما يلي :

١ - الوثائق غير المنشورة :

أ - الوثائق باللغة العربية :

١ - الوثائق الخاصة بالعلاقات العُمانية الزنجبارية - الأمريكية .

٢ - الوثائق الخاصة بالعلاقات العُمانية - البريطانية .

ب - الوثائق باللغة الإنجليزية :

١ - الوثائق التي تمَّ الحصول عليها من سجلات دار الوثائق العامة في لندن Public Records Office (PRO) شعبةُ وزارة الخارجية Foreign Office (F.O.) . ومن أمثلتها ما يلي :

- Anglo - French Rivalry in the Persian Gulf .

وهي وثائق تتعلق بالتنافس الإنجليزي – الفرنسي في منطقة الخليج العربي .

- The Trade in Arms with the Persian Gulf .

وهي وثائق خاصة بتجارة السلاح في منطقة الخليج العربي .

- The Agreement between the British and Kuwait, and the British Policy in the Persian Gulf .

وهي وثائق عن الاتفاقية المعقودة بين بريطانيا وإمارة الكويت عام ١٨٩٩م وعن السياسة البريطانية في منطقة الخليج العربي .

٢ – الوثائق التي تم الحصول عليها من سجلات دار وثائق وزارة الهند في لندن India Office Records (IOR) ومنها ما يلي :

- International Interest in Gulf Area before 1861.

وهي وثائق عن الاهتمام الدولي بمنطقة الخليج العربي قبل عام ١٨٦١م .

- International Rivalry and British Policy in the Persian Gulf .

وهي وثائق خاصة بالتنافس الدولي والسياسة البريطانية في منطقة الخليج العربي .

- British and Russian Ambitions in the Gulf Area .

وهي وثائق تتعلق بالأطماع البريطانية – الروسية في منطقة الخليج العربي .

- Anglo - French Rivalry in Muscat .

وهي وثائق عن التنافس الإنجليزي – الفرنسي في مسقط .

- British - Ottman Rivalry in the Persian Gulf .

وهي وثائق عن التنافس العثماني – البريطاني في منطقة الخليج العربي .

- European Countries and German activity in the Persian Gulf.

وهي وثائق عن نشاط الدول الأوربية وألمانيا في منطقة الخليج العربي .

- American activity in the Persian Gulf .

وهي وثائق خاصة بالنشاط الأمريكي في منطقة الخليج العربي .

- Western impact in the Persian Gulf .

وهي وثائق تتعلق بآثار التنافس الدولي على بلدان الخليج العربي .

٣ – الوثائق التي تم الحصول عليها من محفوظات الأرشيف الوطني الأمريكي في واشنطن دي . سي . أوراق وزارة الخارجية الأمريكية .

The National Archives of the United States, Papers of Department of State .

عن العلاقة العُمانية – الأمريكية ، في الفترة من عام ١٨٣٦م إلى عام ١٩٠٦م بعنوان :

National Archives Microfilm Publications, No.468 or No.T 100. Despatches from Untied States Counsuls in Zanzibar and Muscat 1836 - 1906 .

٢ - الوثائق المنشورة :

أ – الوثائق باللغة العربية :

١ – الوثائق التي أعدتها حكومة المملكة العربية السعودية ، بشأن مشكلة البريمي بعنوان : «التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبوظبي وبين المملكة العربية السعودية» ، ثلاثة مجلدات ، الأول (العرض) أو الأساس ، أي عرض للأسس التاريخية للمناطق المتنازع عليها . والثاني والثالث (الوثائق) ، وتتضمن التذييلات والخرائط والملاحق التي توضح وجهة النظر السعودية تجاه مشكلة البريمي .

٢ – الوثائق التي أعدها عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، عن علاقة محمد علي باشا بشبه

الجزيرة العربية بعنوان :

«محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤ - ١٢٥٦هـ / ١٨١٩ - ١٨٤٠م» ، الجزء الثاني .

ب - الوثائق المترجمة إلى اللغة العربية :

١ - الوثائق التي قامت حكومة قطر بترجمتها ونشرها بعنوان :

أ - وثائق التاريخ القطري (١) الشؤون القطرية من سنة ١٨٧٣ إلى ١٩٠٤م ، تأليف : جي . اي . سالدانا ، ترجمة أحمد العناني ، إشراف ناصر محمد العثمان .

ب - وثائق التاريخ القطري (٢) من الوثائق البريطانية والعثمانية ١٨٦٨ - ١٩٤٩م ، إعداد قسم الوثائق بمكتب سمو أمير دولة قطر .

٢ - مجموعة الوثائق التي قامت فتوح عبدالمحسن الخترش بدراستها وترجمتها ونشرها بعنوان :

«التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك ، دراسة وثائقية - مقارنة بالمؤرخين المحليين ، تأليف : جي . اي . سالدانا ، عن كتاب شؤون الكويت ١٨٩٦ - ١٩٠٤م» .

٣ - الوثائق التي قام جملل زكريا قاسم بدراستها وعرضها والتعليق عليها ونشرها بعنوان :

«مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي المحفوظة في دور السجلات البريطانية» .

جـ - الوثائق باللغة الإنجليزية :

١ - الوثائق المنشورة في مؤلف «أيتشيسون» Aitchison . C. u. , بعنوان :

A Collection of Treaties, Engagements and Sanads Relating to India and Neighbouring Countries, Vol. X1 .

ويضم هذا المجلد «الحادي عشر» الوثائقي ، مجموعات كاملة من الوثائق والمعاهدات الخاصة بعدن وبعض إمارات الخليج العربي مثل عُمان (مسقط) ، ومشيخات الساحل العُماني ، والبحرين ، والكويت .

٢ - الوثائق التي نشرتها حكومة بومباي Bombay Government بعنوان :

Arabian Gulf Intelligence, Selections from the Records of the Bombay Government, New Series, No. XX1V, 1856. Concerning Arabia, Bahrain, Kuwait, Muscat and Oman Qatar, United Arab Emirates and the Islands of the Gulf .

ويحتوي هذا الكتاب الوثائقي على مجموعات كاملة من الوثائق والتقارير السياسية والمعاهدات .

٣ - الوثائق التي نشرتها المملكة المتحدة United Kingdom بعنوان :

Arbitration Concerning Buraimi & Common Frontiers between Abu Dhabi and Saudi Arabia, Memorial Submitted by the Government of the United Kingdom and Northern Ireland, 2 Vols., 1955 .

وقد بلغ حصر الوثائق غير المنشورة والمنشورة نحو (٦٣) ثلاثة وستين عدداً .

أما المصادر والمراجع المحلية والعربية والمصادر والمراجع الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية ، فقد أورد الباحث ثبتاً بها في نهاية البحث .

ومن أهم المصادر والمراجع الأجنبية غير المترجمة إلى اللغة العربية ما يلي :

١ - Razik, Salil Ibn., History of the Imams and Seyyids of Oman, from A.D. 661 - 1856.

يعد هذا الكتاب من المصادر الأساسية في تاريخ عُمان من عام ٦٦١ إلى عام ١٨٥٦م ، وهو في الأصل مخطوطة عربية بقلم حميد بن رزيق الذي عاصر عهد السيد سعيد بن سلطان وعنوانها «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين» .

٢ - Curzon. George N., Persia and the Persian Question Vols. 1 & 2 .

وقد استفاد الباحث من المجلد الثاني لتناوله التنافس الروسي – البريطاني في فارس .

٣ – Kumar, Ravinder, India and the Persian Gulf Region 1859 - 1907 .

ويتضمن هذا المؤلَّف دراسة للسياسة الاستعمارية البريطانية في منطقة الخليج العربي .

٤ – Briton Cooper Busch., Britain and the Persian Gulf 1894 -1914 .

ويتضمن هذا المؤلَّف دراسة للدول الأوربية التي نافست بريطانيا في الخليج العربي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين ، مثل فرنسا وروسيا ، وألمانيا .

٥ – Dickson, H. R. P., Kuwait and Her Neighbours .

ويتضمن هذا المؤلف نبدة عن تاريخ الكويت ونجد ، كما أنه يتعرض للتنظيمات القبلية والاجتماعية .

وبلغ حصر المصادر والمراجع المحلية والعربية والأجنبية نحو (٢٩٥) مئتين وخمسة وتسعين عدداً .

وعلاوة على ذلك ، فقد رجع الباحث إلى رسالتين جامعيتين ، إحداهما باللغة العربية ، والأخرى باللغة الإنجليزية ، كما رجع إلى عدد من الدراسات والبحوث العربية والأجنبية ، فأعانته على المقارنة والتحليل والاستنتاج .

وقد بلغ حصر هذه الدراسات والبحوث نحو (١٣٥) مئة وخمسة وثلاثين عدداً .

وقد وجد الباحث مادة وافرة في الصحف والمجلات العربية والأجنبية وناقش آراءها وتوصل إلى نتائج وتحليلات مفيدة .

هذا وقد قسم الباحث البحث إلى ستة فصول وخاتمة، تحدث في **الفصل الأول** عن الخليج العربي في الاستراتيجية الدولية قبل عام ١٨٦١م (١٢٧٧هـ) ، وتطرق فيه إلى أهمية الخليج كطريق تجاري بين الشرق والغرب . وتناول فيه الأطماع البرتغالية ، والهولندية ، والفرنسية والبريطانية في الخليج ، حتى استطاعت بريطانيا إحكام سيطرتها عليه .

أما **الفصل الثاني** ، فقد تحدث فيه عن بريطانيا وسيطرتها على الخليج وعن أهدافها التجارية والسياسية والأمنية في المنطقة ، كما أوضح الوسائل التي اتبعتها لتحقيق سياستها .

وتحدث في **الفصل الثالث** ، عن موقف بريطانيا من النشاط الروسي والفرنسي في الخليج العربي ، كما تحدث عن استراتيجية روسيا ، وفرنسا ، ونشاطهما في الخليج ، ورد الفعل البريطاني إزاءَها .

أما **الفصل الرابع** ، فقد تناول الحديث فيه التنافس العثماني – البريطاني في الخليج العربي موضحًا دور الحملة العثمانية على الأحساء عام ١٨٧١م (١٢٨٨هـ) ، وموقف بريطانيا من النشاط العثماني في كل من قطر ، والبحرين ، وإمارات الساحل العُماني ، وسلطنة مسقط .

وتناول في **الفصل الخامس** ، النشاط الأمريكي الألماني في الخليج العربي ، وتحدث فيه عن نشاط الولايات المتحدة الأمريكية في الخليج بالتجارة والبعثات التنصيرية وموقف بريطانيا من ذلك . ثم تطرق للنشاط الألماني في الخليج موضحًا الامتيازات التي حصلت عليها ألمانيا من الدولة العثمانية ، كخط حديد برلين – بغداد ، وموقف بريطانيا من كل ذلك .

وعالج في **الفصل السادس** (الأخير) ، آثار التنافس الدولي على بلدان الخليج العربي ، موضحًا أثر قناة السويس على المنافسة الدولية في الخليج ، وأوضح الآثار السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، على شعوب المنطقة .

واستعرض الباحث في خاتمة البحث النتائج التي توصل إليها في الدراسة ، ومن أهم هذه النتائج ما يلي :

١ – شهد الخليج العربي في العصر الحديث أول غزو استعماري صليبي ممثلاً في دولة البرتغال ، التي سيطرت على منطقة الخليج ، فشملت عُمان ، وهرمز ، والبحرين ، والقطيف ، والبصرة . وقد استهدف البرتغاليون من وراء ذلك خنق العالم الإسلامي والقضاء على اقتصادياته ، واستمرَّ وجودهم في الخليج مدة تزيد على مئة عام ، حين استطاع أهل البلاد في منطقة الخليج طردهم انطلاقًا من روح الجهاد الإسلامي الكامنة في نفوسهم ضد الكفار .

كما قاومت الدول الإسلامية الممثلة آنذاك في دولة

المماليك ، والدولة العثمانية ، والدولة الصفوية ، الوجود البرتغالي ، غير أنها لم تستطع القضاء عليه بسبب عدم توحدها في مواجهة الغزو البرتغالي .

ونافست الدول الأوربية الممثلة آنذاك في الهولنديين ، والإنجليز ، والفرنسيين ، الوجود البرتغالي في منطقة الخليج ، وقد نجح الهولنديون ، والإنجليز ، بمساندة عرب المنطقة في إزاحة النفوذ البرتغالي عن الخليج .

٢ - أسست الدول الأوربية شركات تجارية احتكارية استعمارية ، فدخلت هذه الدول في صراع وتنافس مرير فيما بينها خاصةً بين هولندا وإنجلترا من أجل الانفراد بالنفوذ التجاري والسياسي ، حتى تمكنت بريطانيا من إخراج الهولنديين عام ١٧٦٥م (١١٧٩هـ) . كما وقفت بريطانيا ضدَّ فرنسا في محاولتها الرامية للسيطرة على الخليج فعقدت معاهدة مع سلطان مسقط عام ١٧٩٨م (١٢١٣هـ) ، وجددتها عام ١٨٠٠م (١٢١٥هـ) . كما عقدت ثلاث معاهدات تحالف مع روسيا القيصرية ، والدولة العثمانية، عامي ١٧٩٨م (١٢١٣هـ) و ١٧٩٩م (١٢١٤هـ)، وكذلك عقدت مع فارس اتفاقيتين تجارية وسياسية عام ١٨٠١م (١٣١٦هـ) . وبموجب هذه الاتفاقات استطاعت بريطانيا أن تحبط المخططات الفرنسية في منطقة الخليج ، ونجحت في طرد الفرنسيين من الخليج ، على إثر احتلالها لجزيرة موريشيوس في المحيط الهندي عام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ) .

ومنذ ذلك الوقت ، بدأت بريطانيا العمل على تحقيق سيطرتها على منطقة الخليج العربي بهدف تأمين وجودها الاستعماري في الهند ، واستخدام الخليج لأغراضها التجارية والملاحية وتأمين مواصلاتها البرية والبحرية ، وكذلك ربط مستعمراتها في الشرق والهند بإنجلترا الأم .

٣ - وانطلاقًا من سياسة بريطانيا ، فقد اتبعت الوسائل الآتية :

* وقفت بقوة أمام الدول الأوربية الطامعة في الخليج ، واستطاعت إبعادها عن هذه المنطقة وجعل الخليج بحيرة بريطانية .
* تصدت بريطانيا للقوى المحلية والإقليمية في منطقة الخليج ومنعتها من فرض نفوذها وهيمنتها مثل سلطنة مسقط وعُمان ، وفارس ، والقواسم ، والدولة السعودية الأولى والثانية ، ومحمد علي باشا والي مصر ، والدولة العثمانية .
* قامت بريطانيا بفصل إمارات ومشيخات الخليج العربي بعضها عن بعض ، كما فصلت زنجبار عن سلطنة مسقط ، لتحقيق أهدافها في تفتيت وتجزئة المنطقة والقضاء على قوتها البحرية .
* فرضت بريطانيا على أمراء ومشائخ منطقة الخليج العربي ، معاهدات السلم البحري ، ومعاهدات منع تجارتي الرقيق والسلاح ، وأتبعتها بمعاهدات مانعة وأبدية غير متكافئة لأنها فُرضت من جانب واحد بهدف إحكام قبضتها وسيطرتها على المنطقة .
* عمدت بريطانيا إلى تطبيق سياستها «فرق تسد» ، وأثارت النزعات القبلية والعنصرية والإقليمية والمذهبية ، بحيث تُبقي على تفرق هذه المشيخات .
* استأثرت بريطانيا بتجارة المنطقة التي يعتمد عليها كثير من سكان الخليج العربي وخاصة تجارة اللؤلؤ والنقل البحري ، مما أدى إلى فقر سكان المنطقة .
* فتحت بريطانيا الباب أمام البعثات التنصيرية الأمريكية لمنطقة الخليج العربي ، لما في ذلك من خدمةً لمصالح الدول الاستعمارية من أجل تنصير المسلمين وتغريبهم وإبعادهم عن التمسك بدينهم . غير أن محاولاتهم تلك قد باءت بالفشل .
* حاولت بريطانيا القضاء على عروبة الخليج بزيادة أعداد العناصر الأجنبية وخاصة الآسيوية منها في جميع المجالات ، كما أنها لم تهتم بالرعاية الصحية أو الاجتماعية في المنطقة .
* عمدت بريطانيا إلى تجهيل سكان إمارات ومشيخات الخليج العربي، شأنها في ذلك شأن الدول الاستعمارية، فحاربت اللغة العربية ، كما عمدت إلى التعليم في بعض الإمارات باللغة الإنجليزية ، لخدمة مصالحها الاستعمارية .
* وأخيرًا كان للسياسة البريطانية في منطقة الخليج العربي آثارٌ على سكان المنطقة في جميع مجالات الحياة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، مما ولَّد استياءً واستنكارًا كبيرين لدى أهالي منطقة الخليج ، وأدى إلى حدوث مقاومة

وانتفاضات تجاه الوجود البريطاني في المنطقة، انتهت باستقلال دول المنطقة، ومعظمها في مطلع السبعينات فيما عدا الكويت التي استقلت عام ١٩٦١م (١٣٨١هـ).

ومما تجدر الإشارة إليه، إن الرسالة تتكون من مجلدين، الأول خاص بالبحث باللغة العربية، والثاني خاصٌ بالملاحق باللغة الإنجليزية، وعددها ثلاثة وعشرون ملحقًا، تفصيلها كما يلي:

* ثمانية عشر ملحقًا خاصة بالوثائق المختارة باللغة الإنجليزية غير المنشورة.
* ملحق يتضمن الفهرست بالوثائق التي استخدمت في البحث باللغة الإنجليزية بنوعيها غير المنشورة والمنشورة.
* أربعة ملاحق بالخرائط الوثائقية المتعلقة بالبحث باللغة الإنجليزية غير المنشورة.

مع قائمةً بمحتويات تلك الملاحق في نهاية هذا المجلد.